المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

أهل السنة والجماعة فى المغرب وجهودهم فى مقاومة الانحرافات العقدية

<< من الفتح الاسلامى الى نهاية القرن الخامس >>

* * *

رسالة أعدها الطالب

ابراهيم على التهامى

لنيل درجة الدكتوراه

* * *

بإشراف الدكتور

سيد عبد العزيز السيلى

* * *



العام الجامعى

.. ١٤١٣ هـ ..

* الجزء الثانى *

* ثالثا : مقاومة علماء المغرب للفكر الارجائى *

****

تعريف الإرجاء :

الإرجاء فى اللغة يطلق على معنيين :

أحدهما : بمعنى التأخير كما فى قوله تعالى : (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) (الأعراف : ١١١) أى أمهله وأخاه . وكما فى قوله : (وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) (التوبة : ١٠٦) أى مؤخرون لأمر الله حتى يُنْزِل فيهم ما يريد . (١)

والمعنى الثانى : إعطاء الرجاء .

وكلا المعنيين له حظ فى المعنى الاصطلاحى . فعلى المعنى الأول يكون إطلاق اسم المرجئة على الجماعة صحيحا لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد ويجعلون مدار الإيمان على المعرفة بالله والمحبة له والإقرار بوحدانيته ولا يجعلون الإيمان مرتبطا بالعمل ويرون أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص .

وأما على المعنى الثانى : فظاهر فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . (٢)

فعلى هذا يكون هناك نوعان من الارجاء :

(١) - ارجاء الفقهاء : وهو القول بعدم دخول الأعمال فى الإيمان وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهو مذهب منسوب إلى أبى حنيفه وأصحابه . وهو شبهة نظريه أخطأ فيها بعض العلماء نتيجة ردود فعل خاصة أو فهم قاصر للنصوص .

(٢) - إرجاء المبتدعة : ويطلق على من يقول :الإيمان هو معرفة الله ويجعل ماسوى الإيمان من الطاعات وما سوى الكفر من المعاصى غير مضرة ولا نافعة . وهو شبهة فلسفية بحتة ليس لها فى الأصل أى مستند نصي ولهذا لم يزد العلماء

---

(١) لسان العرب (١/٨٤) .

(٢) الملل والنحل (١/١٣٩) تحقيق محمد سيد كيلانى . ط : مطبعة البابى الحلبى (١٣٨٧ / ١٩٦٧) .

فى تفكير أصحاب هذا الرأى و التشنيع عليهم . (١)

و قد يطلق الإرجاء على أهل السنة من خصومهم المعتزلة ـ الذين يزعمون تخليد صاحب الكبيرة فى النار لأنهم لا يقطعون بعقاب الفساق الذين يرتكبون الكبائر و يفوضون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم و إن شاء عفا عنهم .

المبحث الأول :ـ

دخول الفكر الإرجائى إلى المغرب و انتشاره به :

يستطيع الدارس لتاريخ المذاهب العقدية بالمغرب أن يلاحظ عدم ذكر لمذهب الإرجاء ولا لفرقتهم . ولم يكن للفكر الإرجائى رواج بالمغرب . كما هو شأن الفكر الإعتزالى أو الشيعى أو الخارجى . ولعل ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة هذا المذهب الحيادى و إلى طبيعة أصحابه الخاملين عن الدعوة لمذهبهم .

و تشير المصادر المغربية إلى أنه لم يعرف بالإرجاء فى المغرب إلا رجل واحد يدعى معمر بن منصور (٢) به ظهر الإرجاء و معه اختفى .

---

(١) حول مقاومة علماء السلف لظاهرة الارجاء ينظر رسالة الدكتور سفر الحوالى : ظاهرة الارجاء فى الفكر الإسلامى (ص ٢٦٢) و مابعدها .

(٢) ورد اسم معمر بن منصور فى طبقات الخشنى (ص ١١٢ - ١١٣) على أنه كان له سماع من ابن فروخ و من أسد بن الفرات . وكان أصح أصحاب أسد سماعا من أسد وكان سحنون يوجه إليه بالعشرة دنانير . و نحوها صلة ، و هو قريب من أسد بن الفرات فى المولد .

ثم يستدرك محمد بن الحارث الخشنى (ص ١١٣ - ١١٤) بقوله " سمعت ذكر معمر سماعا مستفيضا ولكن على ضد هذه الصفة التى ذكر أبو العرب فى كتابه (يريد طبقات علماء إفريقيا) فلست أدرى إن كان الذى سمعت ذكره هو ابن منصور هذا أو غيره . سمعت بعض الفقهاء يحكى عن عبد الله بن أحمد بن طالب قال : أتانى معمر فشكا إلىّ أن زوجته نفست وليس معه ما يقيم لها و يصلحها فأعطيته اربعين مثقالا لنفسه وعشرة مثاقيل أرسلت بها معه إلى النفساء خاصة . قال ابن طالب : فلقد بلغنى بعد هذا أن يوم عزلي عن القضاء كان فى داره =

وليس غريبا أن يتبنى هذا الرجل مذهب الإرجاء لما كان عليه من سوء الأخلاق وكان قد ألف تأليفا فى تحليل النبيذ . وكان يذهب إلى تقديم علي وتفضيله على أبى بكر وعمر رضى الله عنهم جميعا ، ويصرح بسب معاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهما ، ويصرح بالإرجاء .

ولذلك تناوله علماء المغرب الذين ترجموا له بشدة ووصفوه بما يستحقه . كما فعل الخشنى حيث قال : " لعنة الله عليه وعلى شيعته ومتبعيه " (١)

ويذكر ابن حزم الأندلسى فى كتابه القيم (الفصل فى الملل والاهواء والنحل) فى فصل : (شنع المرجئة) (٢)
أنه كان بالأندلس رجل يدعى محمد بن عيسى الصوفى الألبيرى (٣) يقول : إن المنافقين مؤمنون وكان له أتباع .

= شبيه بالعرس فرحا . ثم قال ابن طالب : ومعذور غير ملوم ، وكيف لا يكون هذا ونحن نلعنهم على المنابر . قال الخشنى : سألت ولد دحمان بن معافى أن يبيح لى تصفح كتب أبيه ففعل ، فرأيت فيها . قال دحمان : سمعت حمديس القطان يقول : سمعت ابن الزغواني يسأل معمرا فقال له : تقول بإمامة على . قال : نعم قال حمديس : يريد تقديمه على أبى بكر وعمر. قال : فقلت: تقول بالإرجاء . قال : نعم .فكأن الخشنى بإيراده لهذه الروايات يريد أن يفرق بين رجلين يحملان نفس الاسم ، فالأول محدث سمع من الكبار ، وأما الرجل الثانى فهو رجل مبتدع ، والله أعلم .

(١) طبقات علماء افريقيه (ص : ١١٤) .

(٢) (٤/٢٠٤ - ٢٠٥) .

(٣) قال عنه ابن حزم " كان ناسكا متقللا من الدنيا واعظا مغوها مهذارا قليل الصواب كثير الخطأ . رأيته مرة وسمعته يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يلزمه زكاة لانه اختار أن يكون نبيا عبدا والعبد لا زكاة عليه ولذلك لم يورث ولا ورث. فأمسكت عن معارضته لأن العامة كانت تحضره فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل " .

الفصل (٤/٢٠٥) .

المبحث الثانى :-
مقاومة علماء السنة المغاربة للفكر الإرجائــى :

وبالرغم من أن الإرجاء لم يكن له وجود بالمغرب ، ولم يكن له دعاة يحملونـه ويدعون إليه بالرغم من ذلك ، فقد حدثت حادثة لها دلالة واضحة على بغض علمـاء السنة المغاربة لكل من ينحرف عن منهج أهل السنة ، ومنهم المرجئة ، ومقاومتهـم المقاومة الشديدة وبشتى الوسائل .

هذه الحادثة هى حادثة يحي بن سلام (ت :) (١) الذى كان من كبار علماء السنة وخيارهم ، والذى قامت ضده ضجة عنيفة بسبب شبهة الإرجاء الـتى حامت حوله . وقاطعه طلبة العلم وجرح وطعن فى روايته . ولكن الله تعالى بـرأ ساحته من هذه التهمة وظهر أن اتهامه بالإرجاء كان خطأ ، وكم كان عجبه كبيرا عند ما سأله رجل قائلا : " يا أبا زكريا إنهم يقولون : إنك تقول بالارجاء فضرب يده علـى جدار القبلة وقال : " وربّ القبلة ما عبدت الله على شيء من الإرجاء قط، كيـف وقد حدثتكم أنه بدعة " (٢) .

وأصل هذه التهمة يرجع إلى تقصير الشيخ أبى معاوية الصمادحى (٣) فى نقل

---

(١) هو أبو زكريا يحي بن سلام . كان ثقة ثبتا لقى غير واحد من التابعين . ولـه مصنفات كثيرة فى فنون العلم . وكان من الحفاظ ، حيث كان لا يسمع شيئـا إلا حفظه . توفى بمصر سنة ٢٠٠ ودفن بالمقطم وكان مولده سنة ١٢٤ .
مصادر ترجمته : طبقات أبى العرب (ص: ١١١-١١٤) ، طبقات علماء افريقية للخشنى (ص: ٣٧-٣٩) ، رياض النفوس (١/١٨٨-١٩٢) رقم : ٧٩ ، معالم الإيمان (١/٣٢١-٣٢٨) رقم : ٨٥ .

(٢) طبقات أبى العرب (ص: ١١٢) وتروى هذه القصة بطريقة أخرى كما فى رياض النفوس (١/١٩٥) " عن أبى القاسم السدرى أنه كتب الى عيسى بن مسكـين يقول : " حدثنى عون بن يوسف قال : قلت ليحي بن سلام : إن الناس يرمونـك بالإرجاء" قال عون " فأخذ لحيته بيده وقال : " أحرق الله هذه اللحية بالنار إن كنت دِنْتُ الله عز وجل قط بالإرجاء " .

(٣) مرت ترجمته .

الرواية عنه وذلك أنه سأله قائلا : " يا أبا زكريا ما أدركت الناس يقولون في الإيمان ؟ "
فقال له : " أدركت مالكا وسفيان الثوري يقولون : الإيمان قول وعمل . وأدركت
مالك بن مغول (١) وفطر بن خليفه (٢) وعمر بن ذر (٣) يقولون : " الإيمان قول "
فأخبر الإمام سحنون بن سعيد (٤) بما ذكر يحي بن سلام عن عمر
بن ذر وفطر بن خليفه ومالك بن مغول من قولهم في الإيمان ولم يذكر له ما نقل عن
غيرهم كمالك وسفيان الثوري . فما كان من الإمام سحنون عندما ذكر له ذلك إلا أن رماه
بالارجاء لظنه أنه ما دام نقل هذا القول وحده واعترض عن غيره ، مع أن هناك قولا
آخر غيره وهو قول أهل السنة ، مادام الأمر كذلك فإنه يتبنى هذا القول ويذهب إليه
فقال : " هذا رجل مرجئ " . (٤)

---

(١) هو أبو عبد الله مالك بن مغول - بكسر وسكون المعجمة وفتح الواو - بن عاصم الكوفي ، محدث ثقة ثبت حدث عن الشعبي وزبيد اليامي وغيرهما ، وعنه : شعبة والثوري وابن عيينة وغيرهم كان من سادة العلماء . توفي سنة ١٥٩ وقيل سنة ١٥٨ .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٧/٣١٤) رقم : ١٣٣٩ ، الجرح والتعديل (٨/٢١٥-٢١٦) رقم : ٩٦١ ، سير أعلام النبلاء (٧/١٧٤-١٧٦) رقم : ٥٦ ، تهذيب التهذيب (١٠/٢٢-٢٣) رقم : ٣٥٠ .

(٢) هو أبو بكر فطر بن خليفة الكوفي المخزومي . الشيخ العالم والمحدث الصدوق ، حدث عن طاووس ومجاهد وطائفة وعنه السفيانان والفريابي ويحي بن سعيد القطان وغيرهم . كان ثقة لكنه رمي بالتشيع . توفي سنة ١٥٣ وقيل سنة ١٥٥ .
مصادر ترجمته التاريخ الكبير (٧/١٣٩) رقم : ٦٢٥ ، الجرح والتعديل (٧/٩٠) رقم : ٥١٢ ، سير أعلام النبلاء (٧/٣٠-٣٣) رقم : ١٤ ، تهذيب التهذيب (٨/٣٠٠-٣٠٢) رقم : ٥٤٨ شذرات الذهب (١/١٣٥) .

(٣) هو أبو ذر عمر بن ذر الهمداني الكوفي . كان ثقة لكنه رأس في الارجاء ، وكان واعظا بليغا . توفي سنة ١٥٣ .

مصادر ترجمته : ميزان الاعتدال (٣/١٩٣) رقم : ٦٠٩٨ تقريب التهذيب (ص ٤١٢) رقم : ٤٨٩٢ .

(٤) سبقت ترجمته .

ولم تقتصر هذه التهمة على أهل المغرب بل امتدت إلى المشرق حتى بلغت الحجاز ، كما ذكر ذلك عون بن يوسف الخزاعي (١) حيث أخبر أنه بينما كان في مجلس عبد الله بن وهب (٢) يسمع منه إذ مر في كتبه حديث يحيي بن سلام فقال عبد الله بن وهب : " اطرحوه لأنه بلغني أنه مرجئ " فقال عون : " فقمت أنا إليه و معي ثلاثة من أهل إفريقية (تونس) فشهدنا أنه بريء (٣) " و قال أيضا : " فأنا كاشفته (٤) عن ذلك فقال : معاذ الله أن يكون ذلك رأيي أو أدين الله به ولكن أحاديث رويتها عن رجال يقولون : " الإيمان قول ، وآخرين يقولون : الإيمان قول وعمل فحدثنا بما سمعنا " فقال ابن وهب : " فرجت عني فرج الله عنك " (٥) .

ولما رجع عون بن يوسف إلى القيروان من المشرق تلقاه يحيي بن سلام بحرارة بالغة شاكرا له موقفه مع عبد الله بن وهب و تبرئة ساحته مما رمي به من شبهة الإرجاء قائلا : " يا أبا محمد قد بلغني محضرك ، فجزاك الله خيرا و اللهما قلت إلا حقا و ما دنت الله به قط " (٦) .

هذه الحادثة فيها دلالة واضحة على حرص علماء المغرب على سلامة عقيدة من يأخذون عنه و يتلقون منه و تقصيهم لأحوالهم حتى يكون المنبع سليما ، و أيضا ليرتدع من رمي ببدعة و يتوب عن بدعته و يرجع عنها ، و هذا السلوك تعلموه كما سبق الحديث عنه - من إمامهم مالك رحمه الله الذى كان شديدا على أهل الأهواء و البدع .

و قد استمر هذا الحرص و هذا التقصي لأحوال يحي بن سلام حتى بعد وفاته

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) مرت ترجمتـه .

(٣) طبقات أبي العرب (ص : ١١٢) .

(٤) يعني أنه كاشف يحيي بن سلام و ناقشه في ذلك .

(٥) رياض النفوس (١ / ١٢٥) .

(٦) رياض النفوس (١ / ١٢٥) .

- رحمه الله - و يبد و أن ذلك كان لعدم قناعة بعضهم ببراءة يحي بن سلام مما رمى به من تهمة الإرجاء. كما فعل محمد بن أحمد بن تميم المعروف بأبى العرب (١) حين سأل يحى بن محمد بن يحى بن سلام (٢) حفيد يحي بن سلام المذكور ، عن قول جده فى الإيمان ، فأجابه بقوله : " كان جدى يقول : " الإيمان قول وعمل و نية " . قال أبو العرب : " وكان يحى ثقة صدوقا لا يقول عن جده إلا الحق " (٣) .

المقاومة عبر التأليف :

ولكن بالرغم من أن الفكر الإرجائى لم تكن له سوق رائجة فى المغرب ، ولم يكن له دعاة يحطونه و يدعون إليه ، فإن علماء المغرب تناولوه بالنقد و الرد فى مؤلفاتهم أمثال أحمد بن يزيد المعلم (٤) و يحي بن عون (٥) و يحى بن عمر (٦) و الإمام المازرى (٧) .

فقد ألف الإمام يحى ابن عمر كتابا فى الرد عليهم أسماه (كتاب فى الرد على المرجئة) (٨) . ولكن الكتاب لم يصل إلينا حتى نعرف ما ينطوى عليه من بحوث و مناقشات .

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) هو يحي بن محمد بن يحي بن سلام كان ثقة نبيلا ، قال عنه أبو العرب : " و يحي بن محمد الذى سمعنا منه كان صالحا ثقة صحبته سنين طويلة ما رأيته قط ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة على غلام له وكان محسنا فى علمه متواضعا فيه قليل الخوض فيما لا يعنيه " . توفى سنة ٢٨٠ وكان مولده قبل المائتين بسنتين .
مصادر ترجمته : طبقات أبى العرب (ص: ١١٣) ؛ طبقات الخشنى (ص ٣٨-٣٩) .

(٣) طبقات أبى العرب (ص: ١١٣) .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) سبقت ترجمته .

(٨) ترتيب المدارك (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥) .

أما احمد بن يزيد المعلم فقد تناولهم بالرد فى كتابه (السنة) (١) ، وناقشهم فى أهم القضايا التى يقولون بها وهى قضية الإيمان وأنه قول وعمل ، ولكنه اكتفى فى ذلك بنقل الأحاديث والآثار عن السلف فى كون الإيمان قولا وعملا ، وهو لا يعتبر المرجئة كفارا كما هو الشأن بالنسبة للمعتزلة والجهمية والروافض الذين يخرجهم جميعا من دائرة الإسلام ، ولكنه يعتبرهم (أى المرجئة) قوما خبثاء ، ويجوز الصلاة خلفهم (٢).

أما يحى بن عون فقد تناول هو الآخر الفكر الإرجائى بالنقد ولكن أسلوبه فى نقدهم يختلف عن أسلوب أحمد بن يزيد المعلم ، فهو لا يكتفى بسرد الأحاديث والآثار عن السلف فى كون الإيمان قولا وعملا ، بل نجده يلجأ إلى طريقة المناقشة ومقارعة الخصم بالحجة ، حتى إنه يلجأ إلى القياس للاستدلال على أن الإيمان قول وعمل ، حيث يقيس الإيمان على الشاهد ، فالشاهد لا تقبل شهادته حتى يزكيه اثنان ، وكذلك الإيمان لا يقبل حتى تشهد له الأعمال ، فالأعمال هى المزكية للإيمان والشاهدة على صحته . (٣)

أما الإمام المازرى فقد تناول الفكر الإرجائى بالنقد ، وفَنَّدَ مزاعم المرجئة من خلال شرحه لصحيح مسلم : المسمى (بالمعلم بفوائد صحيح مسلم) حيث لم يمُرَّ حديث فيه إشارة إلى موضوع الإيمان إلا وجه من خلاله نقده إليهم وأبطل دعاويهم وأشار إلى فساد مذهبهم .

من ذلك قوله عند شرحه لقوله عليه الصلاة والسلام : " من مات وهو يعلم أنه لا اله إلا الله دخل الجنة (٤)" وهو حديث يستند عليه الغلاة من المرجئة فى

---

(١) سبق الحديث عن هذا الكتاب في مقاومة الاعتزال .

(٢) السنة والنهى عن البدعة (ص ٢٩٥) .

(٣) كتاب الحجة (ص ١٧١٤) .

(٤) الحديث رواه مسلم فى كتاب الإيمان (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا) رقم الحديث : ٢٦ ، صحيح مسلم (١/٥٥) .

الترويج لباطلهم " لأنه يذكر العلم دون الاعتقاد .

ولكن الإمام المازرى يجعله حجة عليهم . كما هو حجة على غيرهم من الفرق ، كالخوارج والمعتزلة . وهو ما استنبطه المازرى من هذا الحديث .

ولكن لما كان حديثنا عن مقاومة الإرجاء فسأثبت ما يتعلق بهم وأذكر ما يتعلق بغيرهم من الفرق فى موضعه من البحث .

يقول الإمام المازرى - رحمه الله - يحكى مذهب المرجئة فى الإيمان " اختلف الناس فيمن عصى من أهل الشهادتين فقالت المرجئة : لا تضره المعصية مع الإيمان " .

ثم يرد عليهم قولهم بهذا الحديث فيقول : " وفى قوله - صلى الله عليه وسلم - وهو يعلم " الحديث . إشارة إلى الرد على من قال من غلاة المرجئة : إن مظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك بقلبه قال : وقيد فى حديث آخر بقوله : غير شاك فيهما (١) وهذا أيضا يؤكد ماقلناه (٢) " .

ويرد عليهم قولهم أيضا عند شرحه لحديث ابن الدخشم (٣) الذى جاء فيه " أليس يشهد أنه لا اله الا الله وأنى رسول الله ؟ فقالوا : إنه يقول ذلك وما هو فى قلبه . فقال صلى الله عليه وسلم : لا يشهد أحد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فيدخل النار (٤) " .

---

(١) هذه الزيادة وردت فى حديث لمسلم فى كتاب الإيمان (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا) ولفظه : " أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عنه الجنة " رقم الحديث : ٢٧ ، صحيح مسلم (١/٥٦-٥٧) .

(٢) المعلم بفوائد مسلم (١/٢٨٩) .

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا) رقم الحديث : ٣٣ ، صحيح مسلم (١/٦١ - ٦٢) .
وانظر الحديث بطوله أيضا فى جامع الاصول (٩/٣٦٥ - ٣٦٨) رقم الحديث : ٧٠١٠ .

يقول المازرى " ان احتجت به الغلاة من المرجئة فى أن الشهادتين تنفع وان لم يعتقد بالقلب قيل لهم : معناه أنه لم يصح عِند النبى صلى الله عليه وسلم ما حكوا عنه من أن ذلك ليس فى قلبه والحجة فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو لم يقل ذلك ولم يشهد بن عليه " (١) .

هذا ما توفر لى من خبر الإرجاء فى المغرب ، وفيه إشارة واضحة الى ماقلته وأكدته فى عدة مواضع من هذا البحث من أن علماء المغرب كانوا شديدى المقاومة لأهل البدع على اختلافهم ، وهذه الشدة هى التى مكنت - بفضل الله - للمذهب السنى بالمغرب وأذنت له بالانتشار وأن يظل هو المذهب السائد على الساحة المغربية دون منافسة من غيره إلى يوم الناس هذا .



(١) المعلم بفوائد مسلم (٢٩٢/١) .

الفصل الثاني

مقاومة علماء المغرب للتشيع

المبحث الاول : دخول التشيع الى المغرب

المبحث الثاني : الحديث عن المقاومة

المبحث الثالث : أسباب المقاومة

المبحث الرابع : أساليب المقاومة

المبحث الاول : دخول التشيع إلى المغرب[1] :

(١) تعريف الشيعة :

هم الذين شايعوا عليا ـ رضى الله عنه ـ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية ، إما جليا وإما خفيا ، واعتقدوا أن الإمامه لاتخرج عن أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره او بتقية من عنده .

وقالوا ليست الإمامه قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم بل هى قضية أصولية وهي ركن الدين لايجوز للرسول عليه الصلاة والسلام إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله .

ويجمع الشيعه على اختلافهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبرؤ قولا وفعلا وعقدا إلا في حالة التقية .

وهم خمس فرق : كيسانية وزيدية وامامية وغلاة واسماعيلية ، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه .

انظر عنهم : الملل والنحل للشهرستانى (ص١٤٩) من طبعه الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ـ مكتبه الانجلو المصرية (الطبعه الاولى ١٩٧٧)

ويعرف ابن حزم الشيعى بأن كل من وافق الشيعة في أن عليا ـ رضى اللهعنه ـ أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله علية وسلم وأحقهم بالإمامة ، وولده من بعده فهو شيعى ، وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، الفصل (٢ / ١٥)

لقد كانت بداية دخول التشيع إلى المغرب وانتشاره على يد الداعيين الذين أرسلهما الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ)[١] - كما قيل - و" أمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل[٢] محمد صلى الله عليه وسلم وينشرا فضلهم " ولا ندرى نحن مدى صحة هذه الرواية ، فقد وردت في رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ)[٣].

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم جميعا - ولد بالمدينة المنورة سنة ٨٠ أو ٨٣ وكانت أمه " أم فروة " حفيدة أبي بكر - رضي الله عنه - وهو الإمام السادس عند الشيعة . ولم يقم بدور سياسي ، وعاش في المدينة وبها توفي سنة ١٤٨ ودفن بالبقيع .
مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (ص ٢١٥) ، حلية الأولياء (٣/ ١٩٢- ٢٠٦) رقم ٢٢٦ ، وفيات الأعيان (١/ ٣٢٧-٣٢٨) ، وسير أعلام النبلاء : (٦/ ٢٥٥-٢٧٠) رقم : ١١٧ .

(٢) آل النبي صلى الله عليه وسلم: هم أهل بيته وقيل هم أتباعه تعميما للدعاء .

(٣) هو القاضي أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن حيون ، كان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الإمامية ، صنف عدة مصنفات منها : اختلاف أصول المذاهب " ابتداء دعوة الموحدين " وقد طبع تحت عنوان (رسالة افتتاح الدعوة) ، تحقيق وداد القاضي ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٠م ولها طبعة أخرى بتحقيق فرحات الدشراوى (الشركة التونسية للتوزيع (سنة ١٩٧٥م) ، وألف لآل البيت عدة مصنفات ، وله ردود على المخالفين " رد على أبي حنيفة " و " رد على مالك " و " رد على الشافعي " و "كتاب اختلاف الفقهاء " ينتصر فيه لأهل البيت ، قال عنه الذهبي : " وتصانيفه تدل على زندقته وانسلاخه من الدين ، أو أنه منافق نافق القوم " ويقول عنه ابن العماد في الشذرات (٣/ ٤٧) : " النعمان بن محمد بن ==

وهذه الرسالة يمكن اعتبارها تاريخا رسميا للدولة العبيدية وهي تصور الأئمة العبيديين ودعاتهم أتقياء، يرغبون عن المعاصي وعن كل نقيصة ولا هم لهم سوى الدعوة الى حب آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ونشرفضائلهم.[(١)]

بينما نجد مؤرخا سنيا وهو ابن عذارى[(٢)] صاحب (البيان المغرب) يذكر أن عبيد الله الشيعي[(٣)] المهدى عندما دخل إفريقيا "يعني تونس" أظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه حاشا علي بن أبي طالب

== منصور القيرواني، أبو حنيفة الشيعي ظاهرا، الزنديق، قاضي قضاة الدولة العبيدية. صنف كتاب ابتداء الدعوة وكتبا في فقه الشيعة تدل على انسلاخه من الدين، يبدل فيها معاني القرآن ويحرفها، توفى سنة ٣٦٣ هـ.

مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٥/٤١٥-٤٢٣) رقم ٧٦٦، لسان الميزان (٦/١٦٧)، رقم ٥٨٧، النجوم الزاهرة (٤/١٠٦-١٠٧)، الشذرات (٣/٤٧).

(١) انظر رسالة افتتاح الدعوة لأبي حنيفة النعمان (ص ٢١٦)، تحقيق: وداد القاضى، ط: دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) هو أبو محمد عبيد الله المهدى أول من قام من الخلفاء العبيدين الباطنيين الذين قلبوا الإسلام وأعلنوا الرفض وأبطنوا مذهب الإسماعيلية. وادعى أنه فاطمى من ذرية جعفر الصادق، وقد امتدت دولته خمسا وعشرين سنة أتى فيها بالدواهى من تعذيب وقتل، توفى سنة ٣٢٢ هـ وله ٦٢ سنة.

مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٣/١١٧-١١٩) رقم: ٣٥٧، النجوم الزاهرة (٣/٢٤٦-٢٤٧). شذرات الذهب (٢/٢٩٤)، سير أعلام النبلاء (١٥/١٤١-١٥٢)، رقم ٦٥ وغيرها من المصادر.

والمقداد بن الأسود (١) وعمار بن ياسر (٢) وسلمان الفارسي (٣) وأبا ذر الغفاري (٤) وزعم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ارتدوا بعده غير هؤلاء الذين سميناهم (٥).

---

(١) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك القضاعي الكندي، ويعرف بالمقداد ابن الأسود، شهد بدرا والمشاهد، له مجموعة أحاديث، وحدث عنه علي وابن عباس رضي الله عنهم، وتوفي سنة ٣٣.
مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٨/ ٥٤) رقم ٢١٢٦، المعارف (ص ٢٦٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٥-٣٨٩) رقم: ٨١.

(٢) هو الصحابي الجليل عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي حليف بني مخزوم من السابقين الأولين في الإسلام، وعذب في ذات الله هو وأبوه وأمه، هاجر إلى المدينة المنورة، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل في صفين سنة ٣٧هـ.
مصادر ترجمته: التاريخ الكبير (٧/ ٢٥-٢٦) رقم ١٠٧، المعارف: (٢٥٦-٢٥٨)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٨٩) رقم ٢١٦٥، أسد الغابة: (٤/ ١٢٩-١٣٥) رقم ٣٧٩٩، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦-٤٢٨) رقم ٨٤.

(٣) هو الصحابي الجليل، أبو عبد الله سلمان الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام صحب النبي وخدمه وحدث عنه، روى عنه ابن عباس وأنس بن مالك، وأبو الطفيل وغيرهم كثير، كان لبيبا حازما، من عقلاء الرجال وعبادهم، توفي سنة ٣٦ في المدائن في خلافة عثمان رضي الله عنه.
مصادر ترجمته: مسند أحمد (٥/ ٤٣٧-٤٤٤)، طبقات ابن سعد (٤/ ٥٤)، التاريخ الكبير (٤/ ١٣٥-١٣٦)، رقم ٢٢٣٥، حلية الأولياء (١/ ١٨٥-٢٠٨) رقم ٣٤، سير أعلام النبلاء (١/ ٥٠٥-٥٥٨) رقم ٩١.

(٤) هو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين الأولين، ومن نجباء الصحابة كان خامس خمسة في الإسلام، ثم رد إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم، هاجر إليه أبو ذر ولازمه وجاهد معه، توفي سنة ٣٢.
مصادر ترجمته: طبقات ابن سعد (٤/ ٢١٩-٢٣٧)، حلية الأولياء (١/ ١٥٦-١٧٠)، رقم ٢٦، الإصابة (٤/ ٦٢-٦٤)، رقم ٣٨٤، سير أعلام النبلاء: (٢/ ٤٦-٧٨) رقم ١٠.

(٥) البيان المغرب (١/ ١٥٩).

وهذه صورة أخرى ينقلها مؤرخ آخر عن انحراف العبيديين ، وهي صورة تنم عن حقد دفين لهذا الدين ولرسول هذا الدين صلى الله عليه وسلم ولصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكل من يقتدي بهم ويسير في طريقهم من أهل السنة ، يقول القاضي عياض[١] : "كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر كأنهم ذمة[٢] تجرى عليهم في كثرة الأيام محن شديدة ، ولما أظهر بنو عبيد أمرهم ونصبوا حسينا الأعمى السباب - لعنه الله تعالى - في الأسواق للسب بأسجاع لقنها يتوصل منها إلى سب النبي صلى الله عليه وسلم في ألفاظ حفظها[٣] . وعلقت رؤوس الأكباش والحمر على أبواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها أسماء الصحابة اشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قتل ومثل به[٤] . ."

فهذه الصورة والتي قبلها تختلفان تماما بل وتتناقضان مع الصورة التي قدمها القاضي النعمان عن هؤلاء القوم ، وسيأتي فيما يلي من البحث ما يعضد ويؤيد بل ويصدق ما قاله ابن عذارى والقاضي عياض ، عندما نتحدث عن المحنة التي تعرض لها علماء المغرب بسبب مواقفهم الجريئة والحازمة من انحرافات بني عبيد ،

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) المقصود أن أهل السنة إبان الحكم العبيدى الشيعى كانوا يشبهون أهل الذمة في ظل الحكم الاسلامى ، فى ذلهم وصغارهم .

(٣) من تلك الألفاظ التى كان يتلفظ بها عليه لعنة الله (العنوا الغار وما وعى ، والكساء وما حوى وغير ذلك ، والغار المقصود منه غار ثور الذى اختفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه - عن أعين المشركين التي كانت تطاردهم في قصة الهجرة ، وهذا اللفظ فيه سب للنبى صلى الله عليه وسلم وأبي بكر على حد سواء ، وكذلك فيه سب لآل البيت الذين حواهم الكساء .

انظر: ترتيب المدارك (٢/٣١٨) .

(٤) ترتيب المدارك (٢/٣١٨) .

ولا يفوتنا هنا التنبيه على أن الشيعة على اختلافهم يبيحون الكذب لأنفسهم من أجل تحسين صورتهم وإخفاء وجههم القبيح[1].

من هنا يمكننا القول إن هذه الرواية المنقولة عن الإمام جعفر الصادق، لا ندري مدى صحتها، لأننا ـ نحن أهل السنة ـ نعتقد أن الإمام جعفر الصادق كان من أهل السنة الذين يوالون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعا ولا يفرقون بين أحد منهم فلا يعقل أن يرسل داعيين ليمهدا بدعوتهما إلى قيام دولة باطنية ملحدة تضمر الكفر، وتظهر الإيمان وحب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الإمام الباقلاني عن العبيديين: " هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر "[2].

---

(١) وهذا السلوك لا يزال طبيعة بعض الشيعة إلى يومنا هذا، فهذا الخميني ـ عليه من الله مايستحق ـ يمجد بنصير الدين الطوسي وبأعماله فى كتابه (الحكومة الاسلامية) بالرغم مما ارتكبه هذا المجرم من سفك لدماء المسلمين حيث يقول عنه الإمام ابن القيم فى إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦٣)، " ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر، الملحد، وزير الملاحدة النصير الطوسي، وزير هولاكو شفي نفسه من أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل دينه، فعرضهم على السيف حتى يشفي نفسه وإخوانه من الملاحدة واشتفى هو، فقتل الخليفة (المعتصم بالله آخر الخلفاء العباسيين سنة ٦٥٦هـ) والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة.. ونصر فى كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب جل جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره.. إلى آخر كلامه، وقد توفي نصير الدين الطوسي سنة ٦٧٢هـ وقد نيف على الثمانين.

(٢) انظر: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (١/ ١٦٨) نقلا عن كتاب (كشف الأسرار وهتك الأستار) في الرد على البلاغ الأعظم والناموس الأكبر لبعض قضاة العبيديين، ويكشف لنا الإمام الباقلاني عن وثيقة مهمة وهي عبارة عن وصية الباطنية لداعيهم الذى يدعو لمذهبهم كيف يكون سلوكه مع جميع أصناف المدعوين على اختلاف أديانهم ومللهم ومذاهبهم وما هي

====

وعلى فرض صحة هذه الرواية فلا يعدو أن يكون إرساله لهذين الداعيين ، هو دعوة أهل تلك البلاد إلى الإسلام الذى جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم وسار عليه الخلفاء الراشدون - رضي الله عنهم - بعده.ومهما يكن الأمر ،فإن بجهود هذين الداعيين دخل التشيع الى المغرب الاسلامي ، وكان هذان الداعيان هما :

أبو سفيان الحسن بن القاسم (١) الذى نزل بإحدى المدن المغربية واسمها تالة وأقام فيها وابتنى مسجدا واشترى عبدا وأمة،وأظهر من العبادة والنسك والفضل

== السبل التي ينبغي لسه أن يسلكها حتى يستميل الناس لمذهبه الإلحادى. والذى يهمنا في هذا المقام من هذه الوسائل وسيلة التشيع فيقول : " وقالوا لكل داع لهم إلى ضلالتهم ماأنا حاك لألفاظهم وصيغة قولهم بغير زيادة ولا نقصان ليعلم بذلك كفرهم وعنادهم لسائر الرسل والطل فقالوا للداعي : يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلما أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك واجعل المدخل عليه من جهة ظلم السلف وقتلهم الحسين وسبيهم نساءه وذريته والتبرى من تيم وعدى ، ومن بني أمية وبني العباس وأن تكون قائلا بالبداء والتناسخ والرجعة والغلو ، وماأشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم فإنهم أسرع الى إجابتك بهذا الناموس ، فإن آنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشدا أوقفته على مثالب علي وولده وعرفته حقيقة الحق لمن هو وفيمن هو، وباطل بطلان كل ماعليه أهل ملة محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الرسل " الى آخر كلامه فى هذا المعنى .

ويقول الإمام ابن تيمية تعليقا على كلام الباقلانى في جعل الملاحدة من الباطنية التشيع مظهرا ومطية للوصول إلى غرضهم الخبيث : " وهذا بين ، فإن الملاحدة من الباطنية الإسماعيلية وغيرهم والغلاة النصيرية إنما يظهرون التشيع ، وهم فى الباطن أكفر من اليهود والنصارى فدل ذلك على أن التشيع دهليز الكفر والنفاق ".

انظر: منهاج السنة (٨/٤٧٩-٤٨٦).

(١) لا نعرف عنه شيئا سوى أن ابن خلدون ذكر أن أباه أوجده اسمه بكار.

انظر العبر (٧/ ٦٥) والقوى السنيه (١/ ١١٤).

ما اشتهر به بين الناس [١] فأقبلوا عليه من جميع الجهات ، فكان يروى لهم أحاديث في فضل أهل البيت وعلمهم ، وقد تَشَيَّعَ على يده عدد كبير من أهل هذه البلاد . [٢]

ونزل الرجل الثاني ، وهو عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالحلواني [٣] بإحدى المدن التونسية ، وفعل كصاحبه ، فتزوج وابتنى مسجدا وأظهر من العبادة والنسك ما اشتهر به ، ومضى ينشر دعوته في أوساط سكانها ، وتشيع به كثير من أهل تلك المدينة ، وقد وجد عدد كبير ممن كان يحمل الفكر الشيعي ويدين به ، وذلك قبل دخول أبي عبد الله الشيعي ، ولعل ذلك كان بتأثير دعوة هذين الرجلين وسريانها في المغرب ، فمن هؤلاء : يحيى بن يوسف المعروف بالأصم [٤] وامرأته

---

(١) وهذه الطريقة في التغرير بالعامة ، يلاحظ أنه يستعملها كل مبتدع حتى يستولي على قلوب الناس ويستطيع بالتالي أن يقدم لهم ما يريد من التعاليم .

(٢) القوى السنية (١/ ١١٩) ، وجاء في هامش اتعاظ الحنفاء ما لفظه "الحلواني وأبو سفيان أنفذهما جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام ، إلى بلاد المغرب في سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال لهما : إنكما تدخلان أرضا بورا لم تحرث قط ، فاحرثاها وكرماها وذللاها حتى يأتي صاحب البذر فيضع فيه حبه " ، فنزل أبو سفيان من أرض المغرب مدينة قرطاجنة ونزل الحلواني بموضع يسمى سوق جمار ، فلم يزالا يدعوان الناس لطاعة آل البيت حتى استمالا قلوب جمع كثير من كتامة إلى محبة آل البيت وصاروا شيعة لهم إلى أن دخل إليهم صاحب البذر أبو عبد الله الشيعي بعد مائة وخمس وثمانين سنة ، وكان من أمره ما كان ". اتعاظ الحنفا (ص ٥٤).

(٣) الحلواني : بضم الحاء وسكون اللام ، منسوب الى حلوان وهي مدينة من أواخر سواد العراق مما يلي بلاد الجبل (عراق الجبل) ، ولا يعرف عنه أكثر من ذلك .

(٤) مات قبل دخول أبي عبد الله الشيعي بزمن طويل ، وتخلف عن امرأته بعده أخوه ياسين . انظر القوى السنية (١/ ١١٩) .

وإسماعيل بن نصر المعادى [١] وأبو حيون المعروف بأبي المفتش [٢] وموسى بن مكارمة [٣]، ومحمد بن عمر المروزى [٤] وعبد الله بن كليب [٥] ومحمد بن محفوظ القمودى [٦]

ولم يقدر لهذين الداعيين أن يعودا إلى المشرق ،اذ ماتا حيث قاما بدعوتهما ، وبهما انتشرت الدعوة الشيعية في جزء كبير من بلاد المغرب وأصبحت تلك البلاد مهيأة لقدوم الداعي صاحب البذر التى سيبذر فيها دعوة آل البيت ومذهبهم ، هذا الداعي هو أبو عبد الله الشيعى [٧] الذى سيره

---

(١) أدرك أبا عبد الله الشيعى ودخل في دعوته هو وجماعه من أهل بيته.
نفس المصدر (١/ ١١٩).

(٢) لحق الحلوانى وهو صغير ، وأخذ عنه بعض الشيء ثم أخذ بعد ذلك عن رجاله ،ولحق أبا عبد الله الشيعي .
نفس المصدر (١/ ١١٩).

(٣) انظر القوى السنية (١/ ١١٩-١٢٠).

(٤) هو محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المرودى أو المروزى من جند خراسان ،أول قاضى شيعى فى القيروان ، ولاه أبو عبد الله الشيعى قضاء القيروان سنة ٢٩٦ هـ ، وتوفى سنة ٣٠٣ هـ.
انظر عنه : ابن عذارى (١/ ٢٠٧) ،طبقات الخشني (ص ٢٣٩) ، وقضاة قرطبة وعلماء إفريقية لمحمد بن حارث الخشني ، تحقيق عزت العطار (ص ٣٠٩).

(٥) هو من أهل مجانة ، قديم التشيع ، قتل سنة ٢٩٥ هـ.
القوى السنية (١/ ١٢١) ، تعليق رقم (١).

(٦) توفى سنة ٣٠٦ هـ ،انظر القوى السنية (١/ ١٢١) تعليق رقم (٢).

(٧) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا ،أصله من الكوفة ويعرف بالمعلم ذهب إلى اليمن التى كانت مركزا هاما للدعوة الشيعية ، وهناك اتصل بداعي ==

أبو الشلعلع [١] إلى المغرب سنة ٢٧٨ هـ ، وأمره بالمرور على ابن حوشب [٢] باليمن ليفيد من علمه ، فجاءه ولزمه وأفاد منه حتى صار من كبار أصحابه ، فعهد إليه ابن حوشب بالذهاب إلى المغرب للدعوة ، وقال له : " إن أرض كتامة [٣] من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وليس لها غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة [٤] "

وقبل التوجه إلى المغرب - كما أُمِر - مر أبو عبد الله الشيعي بمكة المكرمة - شرفها الله - وذلك أواخر ذي القعدة أو مستهل ذي الحجة من سنة ٢٧٩ هـ حيث

== الشيعة فيها واسمه ابن حوشب ، فأخذ يحضر مجالسه ويفيد منه ويمتثل لأمره ولما وثق به ابن حوشب أرسله للدعوة في المغرب ، قتله عبيد الله المهدي سنة ٢٩٨ هـ .

مصادر ترجمته : الكامل في التاريخ (٨ / ٣١-٣٧) ، الحنفا للمقريزي (٧٤ - ٧٧) ، وفيات الأعيان (٢ / ١٩٢-١٩٣) رقم ١٩٩ ، سير أعلام النبلاء : (١٤ / ٥٨-٥٩) ، رقم ٣٠ ، أعلام المغرب العربي (٢ / ٦٠-٦٣) .

(١) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح ويعرف بالشلعلع . انظر عنه هامش (٣) من النجوم الزاهرة (٤ / ٧٥) ، وكذلك هامش (٣) من اتعاظ الحنفا (ص ٣٠) .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار من أهل الكوفة يعرف بمنصور اليمن صاحب دعوة اليمن ، من ذرية مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، قيل توفي سنة ٣٠٢ هـ ، انظر عنه : اتعاظ الحنفا (ص ٥٢) والتعليق رقم (٤) وأيضا تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب لادريس عماد الدين (ص ٥٩) .

(٣) كتامة تطلق على قبيلة مغربية تمتد أرضها من حدود جبل أوراس في الجنوب الى سيف البحر ما بين بجاية وبونة (عنابة حاليا) شمالا (وهي من أعمال الجزائر اليوم) ومن بلادها سطيف (من أعمال الجزائر اليوم) وقسنطينة (عاصمة الشرق الجزائري اليوم) وبسكره وحيجل (وكلها من أعمال الجزائر اليوم) .

(٤) انظر ابن الأثير (٦ / ١٢٧) ، القوى السنية (١ / ١٣٢) .

لقي جماعة كتامة الذين يسروا له الطريق إلى المغرب ودخلها في لباس معلم للقرآن (١) .

وعندما تيقن أبو عبد الله من نصرة كتامة لدعوته أعلن بإمامتهم للرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وقال : " أنتم أنصار أهل البيت وشيعتهم " وأخبرهم عن نفسه بأنه صاحب البذر الذى ذكر لهم أبو سفيان والحلوانى ثم قال لهم " أنا لا أدعوكم لنفسي وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت " (٢) .

---

(١) ابن الأثير (٦/ ١٢٧) .

ويصف ابن عذارى (١/ ١٢٥) كيفية دخول أبى عبد الله الشيعى إلى المغرب وكيف أنه خدع رفقاءه من أهل المغرب الذين التقى بهم فى مكة ، بلسانه حين قال لهم عندما سألوه عن أمره " أنا رجل من أهل العراق ، كنت أخدم السلطان ، ثم رأيت أن خدمته ليست من أفعال البر ، فتركتها وصرت أطلب المعيشة من المال الحلال ، فلم أر بذلك وجها إلا تعليم القرآن للصبية فسألت أين يتأتى ذلك تأتيا حسنا فذكر لى بلاد مصر فقالوا له ، ونحن سائرون إلى مصر وهي طريقنا فكن صحبتنا إليها فصحبهم في الطريق فكان يحدثهم ويميل بهم الى مذهبه ويلقي إليهم الشيء بعد الشيء إلى أن أشربت قلوبهم محبته فرغبوا منه أن يسير إلى بلادهم ليعلم صبيانهم فاعتذر لهم ببعد الشقة وقال : إن وجدت بمصر حاجتى أقمت بها وإلا فربما أصحبكم إلى القيروان ، فلما وصلوا مصر غاب عنهم كأنه يطلب بغينه ثم اجتمعوا به وسألوه فقال لهم : لم أجد بهذه البلاد ما أريد فرغبوه أن يصحبهم فأنعم لهم بذلك (أى أنه وافق) ، فكانوا فى صحبته إلى أن وصلوا إلى القيروان "أهـ

(٢) انظر : ابن عذارى (١/ ١٢٧-١٢٨) ، ابن خلدون (٧/ ٦٥) ، القوى السنية (١/ ١٢٧) .

وقد اختلف العلماء والمؤرخون فى صحة نسب عبيد الله الشيعى إلى النسب الشريف فذهب جماعة إلى صحة هذا النسب منهم ابن خلدون وابن الأثير (ت ٦٠٣ هـ) والمقريزى (ت ٨٤٥) وغيرهم من القدماء والدكتور أحمد شلبى فى (موسوعة التاريخ الإسلامى) وإبراهيم شعوط فى (أباطيل ==

....

== يجب أن تمحى من التاريخ) ، ومن المستشرقين كارل بروكلمان وغيرهم من المحدثين .

وأما الذين ينفون ذلك النسب ويقولون إن القوم أدعياء ولا صلة لهم بالنسب الشريف فكثيرون لا يحصون عددا من الأقدمين والمحدثين ، ومن السنة والشيعة على حد سواء ، يقول الكوثري - رحمه الله - " فما دعواهم النسب الزكي إلا إفك وزور عند أمثال الباقلاني وعبد القاهر البغدادي وابن السمناني والاسفراييني وابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن حجر والشمس السخاوي والشمس ابن طولون وغيرهم " .

انظر: مقدمة (المقدمات الخمس والعشرون في إثبات وجود الله ووحدانيته وتنزهه) ص ٥ نعم ، هؤلاء وغيرهم أمثال جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل (ت ٦٩٧هـ) في (مفرج الكروب) الذي يقول : " إلا أن الذي اعتقدته وحققته من تواريخ كثيرة أن القوم أدعياء لا حظ لهم في النسب الهاشمي " .

مفرج الكروب (١/ ٢٠٤-٢٠٥) ، تحقيق جمال الدين الشيال ، الطبعة الأميرية بالقاهرة (١٩٥٧ م) .

وبدر الدين بن قاضي شهبه في (الكواكب الدرية في السيرة النورية ص ٢٠٤-٢٠٥) حيث يقول : " وكان هؤلاء الطائفة يدعون شرفاء فاطميين ، وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء أنهم لم يكونوا لذلك أهلا ولا نسبهم صحيحا ، بل المعروف أنهم بنو عبيد " .

وكذلك ابن خلكان يذهب إلى " أنه ليس بشريف وأنه مدع " النجوم الزاهرة: (٤ / ٧٧) ، بل حتى بعض المستشرقين نفوا النسب الشريف عن بني عبيد ، ونحن نعرف أن المنهج الاستشراقي يسره لو كان نسبهم صحيحا ، لأن حركة باطنية مثل الحركة العبيدية بالإضافة إلى كونها تنتسب لآل البيت هذا يمثل سندا قويا لأعداء الإسلام على اختلافهم في الترويج للحركات الهدامة وأعتقد أنهم لو وجدوا أدنى سند لإثبات هذا النسب لما تلكؤوا لحظة واحدة في ذلك .

فماذا يكون نسبهم إذا ان لم يكونوا شرفاء ؟ ==

....

== تكاد تتفق كلمة من نفى النسب الشريف عن بنى عبيد أنهم قرامطة ،كما يقول الباقلانى فى (كشف الأسرار وهتك الأستار) وأن الذى أحدث لهم هذا النسب هو أبو عبد الله الشيعى .

وبقول بدر الدين بن قاضي شهبة : "بل المعروف أنهم بنو عبيد . وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي ، وقيل : كان والد عبيد الله هذا يهوديا من أهل سلمية من بلاد الشام وكان حدادا " ،الكواكب الدرية فى السيرة النورية (٢٠٥) .

ويقول أبو شامة الحافظ في (أزهار الروضتين) : "لم يكونوا فاطميين وإنما كانوا ينتسبون إلى عبيد الله وكان اسمه سعيدا ،وكان يهوديا حدادا بسلمية بحمص بالشام . وجمال الدين على ابن ظافر (ت ٦١٣) في كتابه (أخبار الدول المنقطعة) تحقيق اندريه فريه . نشر مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (سنة ١٩٧٢م) حيث يقول : " هذه دولة (الفاطمية) عظم خطب الاختلاف في أحوال أربابها وقويت الشناعة بإبطال ما ادعته من انتمائها إلى العترة النبوية ،أما مذهب ملوكها فالكفر الصريح والنفاق الذى خالف الباطن فيه التصريح ، وهم أصل القرامطة الذين كان هلاك الدين على أيديهم وظهر خروجهم على أهل ملة الإسلام وتعديهم ،وأما النسب فقد ذكر الشريف العابد الحسيني الدمشقي (ت٣٩٨) (من أولاد جعفر الصادق رضي الله عنه) في كتابه : إن المنعوت بالمهدى منهم الذى هو أولهم كان اسمه بسلمية سعيدا ،وأنه سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح الأهوازى ، وأنه من ولد ديصان الثنوى ".

ويقول الإمام ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/ ٢٦٧) : " وكان أول من ملك منهم المهدى وكان من سلمية حدادا وكان يهوديا ".

والذى يؤيد هذا سلوكُ بني عبيد وسياستُهم المنحرفة فى المجالات المختلفة فقد كان سلوكهم لا يمت إلى الإسلام بصلة حيث تميز حكمهم بقتل العلماء، والعمل على إزالة ملة الإسلام وإشاعة الفاحشة وإباحة الخمر والفروج . ونشر الدعوة الباطنية فى الناس .

==

. . . .

== وزاد تعميق هذا الاعتقاد صلتهم المشبوهة باليهود والنصارى وميلهم إليهم الميل الشديد حيث مكنوهم من المناصب الكبيرة وأغدقوا لهم العطاء.

هذا فضلاً عن السياسات الدينية والمالية التي مارسوها حيث ابتدعوا في دين الله مالم ينزل به سلطانا ، وسبوا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعوا الألوهية والنبوة .

وأما السياسة المالية فقد تميزت بسطو خلفاء بني عبيد على الأموال وصرفها على ذواتهم ومتعهم وحواشيهم ، وصرفها أيضا على الأعياد التي كانوا أحدثوها مدة عهدهم ، وقد أدت تلك السياسة إلى إشاعة الفقر في الناس ، حيث غلت المعيشة غلاء فاحشا حتى أكل الناس الحمير والكلاب ، بل حتى أكلوا الصبيان ، وأكل بعضهم بعضا ، كما يقول ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة (٥/ ١٥-١٦) .

فهذه السياسات تؤيد المذهب الذى ينفي النسب الشريف ولكن كيف يخفى مثل هذا الأمر على ابن خلدون وهو من هو في علمه بالتاريخ .

يؤكد بعض العلماء أن ذلك منه كان لانحرافه عن آل البيت ، حيث يقول الامام السخاوى في (الاعلان بالتوبيخ) ص ٩٤ ،

"فائدة: كان ابن خلدون يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر وشهروا بالفاطميين إلى علي - رضي الله عنه - ويخالف غيره في ذلك ويدفع مانقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم".

ثم ينقل عن شيخه ابن حجر قوله : " وابن خلدون كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين إليهم لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعى الإلهية ، وبعضهم في الغاية من التعصب - حتى مثل في زمانهم بجمع من أهل السنة وكان يصرح بسب الصحابة في جوامعهم ومجامعهم ، فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل علي حقيقة التصق بآل علي العيب وكان ذلك من أسباب النفرة عنهم نسأل الله السلامة " والله أعلم .

==

عند ذلك أعلن أهل كتامة طاعتهم له ، وبدأ هو في تنظيم مجتمعهم - كما يزعم - على غرار ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم عند ما هاجر إلى المدينة المنورة من التآخي بين المؤمنين ، حيث أنشأ لهم دار هجرة وسماهم المؤمنين وغيرهم الكافرين.[1] الخ

وقد دخل في دعوته عدد كبير من الناس ، وكان أشد الناس عليهم هم المالكية وسيأتي ذكر الأسباب التي جعلتهم يقاومون هذه الدعوة .

ومن هنا بدأت مرحلة جديدة من الصراع بين الحق والباطل ، بين علماء السنة المغاربة من جهة والشيعة العبيديين من جهة أخرى ، ذهب ضحيته عدد كبير من خيرة علماء السنة وكانت الغلبة أخيرا للمذهب الحق ، وخرج العبيديون من هذه الأرض الطيبة بعد أن ضاقت بهم ليبحثوا عن موطن آخر ينشرون فيه بدعتهم ، فحطوا رحالهم في أرض مصر .

التشيع بالأندلس :-

بعد ما عرفنا الطريق التي دخل منها التشيع إلى المغرب من ناحية تونس ، ننتقل للحديث عن دخول التشيع إلى الأندلس ، وذكر دخول التشيع إلى الأندلس منفصلا لسببين اثنين : -

السبب الأول : بعد المسافة بين الأندلس ، وتونس .

= = وأما ابن الأثير فهو وهم منه ، وأما المقريزي فكان يثبت هذا النسب لظنه أنه منحدر منهم كما ذكره السخاوي في ترجمته .
وفي إنباء الغمر بأنباء العمر (٥/ ٣٢٧) هامش (١) كلام جميل حول هذه المسألة أعرضت عن نقله هنا لطوله ، ويذكر هنا للعلم أن حكم العبيديين لبلاد المغرب امتد من ربيع ثاني سنة ٢٩٧ هـ الى رمضان سنة ٣٦٣ هـ .
انظر: اطلس تاريخ الاسلام ، د . حسين مؤنس ص: ١٧٩ .

(١) القوى السنية (١/ ١٢٨) تعليق (١) .

السبب الثاني : أن الطريق التي دخل منها التشيع إلى الأندلس تختلف عن الطريق التي دخل منها إلى تونس ، وماوراءها من بلاد المغرب لذلك كان لابد من ذكر كل واحد على حده .

لقد تبين للشيعة - كما تبين لغيرهم من دعاة الأفكار المنحرفة - أن جماعات البربر في شمال إفريقية هم أصلح مايكون لدعوتهم ، فلذلك اتجهوا بدعوتهم إلى هذه البلاد ، وكانت أول محاولة قام بها شيعي في الأندلس هي المحاولة التي قام بها عمر بن حفصون (ت ٣٠٦هـ)[١] الذي ظهر في جنوب الأندلس وقام بثورات دامت سنين طويلة ، وقد اهتبل فرصة وجود الفاطميين بإفريقية (تونس) ليقيم دعوتهم بالأندلس .

ومن الرجال الذين ساهموا في نشر التشيع بالأندلس عباس بن ناصح الثقفي الشاعر[٢] الذي أوفده أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم (ت ٢٣٨هـ)[٣] إلى العراق لالتماس الكتب القديمة التي تتناول العلوم المختلفة من طب ونجوم ، وقد عاد إلى بلاده بأفكار يُشْتَمّ منها رائحة التشيع مثل القول بخروج المهدي ، والقول بالرجعة والأئمة السبعة إلى غير ذلك .

---

(١) هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر ، كبير الثوار ، ومنازع الخلفاء بالأندلس ، أصله من رنده توفي سنة ٣٠٦هـ .
مصادر ترجمته : الاحاطة في أخبار غرناطة (٤ / ٣٨-٤٢) .

(٢) كان عالما أثيرا عند الخلفاء المروانيين ولم أعثر على سنة وفاته .
مصادر ترجمته : البيان المغرب (١ / ٣٢٤-٣٢٥) .

(٣) ولي سلطنة الأندلس مابين سنتي ٢٠٦ و ٢٣٨) ، وكانت ولادته سنة ١٧٦هـ له من الأولاد أكثر من مائة من الذكور والإناث ، وكان عالما بعلوم الشريعة والفلسفة وكان من أهل التلاوة والاستظهار للحديث وكان يداخل كل ذي علم في فنه .
مصادر ترجمته : البيان المغرب (٢ / ٨٢) ، نفح الطيب (١ / ٣٤٤-٣٥٠) ، بغية الملتمس (ص ١٦) ، الكامل في التاريخ (٦ / ١٢٠٩) ، وانظر أيضا : دولة الاسلام في الأندلس لعبد الله عنان (العصر الأول - القسم الأول ص٤ ٢٥ ومابعدها) .

وكما انتشر التشيع على يد مثل هؤلاء فإنه انتشر أيضا بجهود الجواسيس الذين كان الفاطميون يستعطونهم للدعاية لمذهبهم في الأندلس ، وكان هؤلاء الجواسيس يسترون أهدافهم الحقيقية بستار من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم أو السياحة الصوفية .

ومن هؤلاء الجواسيس الذين كان لهم أثر كبير في نشر الفكر الشيعي بالأندلس أبو اليسر الرياضي (١) الذي يعتبره المؤرخون أول الجواسيس المشارقة بالأندلس ، ولا تذكر المصادر التي ترجمت له عنه كثيرا ، وذلك لأنه لما كانت مهمتهم سرية فإن الأخبار عنهم تكون قليلة (٢) فقد ذكروا عنه أنه كان أديبا محتالا ، دخل الأندلس في أيام

---

(١) هو إبراهيم بن محمد الشيباني يكنى بأبي اليسر ويعرف " بالرياضي " الكاتب أصله من بغداد وبها نشأ وقرأ على جلة محدثيها وفقهائها ، وتتلمذ على كبار أهل عصره كالجاحظ ودعبل الخزاعي وثعلب ، ثم تاقت نفسه إلى الترحال فقصد الأندلس ، أيام أميرها محمد بن عبد الرحمن ، ثم قصد إفريقية (تونس) واستقر بها أيام بني الأغلب وأصبح رئيسا لبيت الحكمة إلى أن غلب العبيديون على الملك ، فدخل في خدمتهم وانضم إلى دعوتهم ، واستمر في وظيفته تلك إلى أن توفي سنة ٢٩٨ هـ.
مصادر ترجمته : التكملة لابن الأبار (١/ ١٩٣-١٩٤) رقم: ٤٥٤ ط مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م ، نفح الطيب : (٣/ ١٣٤-١٣٥) رقم ٧٠ ، أعلام المغرب العربي (١/ ٢٩-٣٠) .

(٢) هذه الندرة في الأخبار عن هؤلاء الشيعة تلاحظ منذ بداية الحديث عن التشيع ولعل ذلك ناتج عن سببين :-
الأول : اختفاء هؤلاء ونشاطهم في السر خوفا من بأس أهل السنة وهي طريقة المبتدعة في كل عصر .
والثاني : عدم اهتمام أهل العلم بالترجمة لهم ، لأنهم في اعتقادهم ليسوا علماء .

الأندلس فى أيام الأمير محمد (١) مفتعلا كتابا على لسان أهل الشام . ولكن يبدو أن الأمير محمدا فطن لأغراضه الخبيثة ، فاحتفى به وأكرمه دون أن يمكنه من مباشرة نشاطه فاضطر إلى مغادرة الأندلس. (٢)

ولئن كان أبو اليسر هذا لم ينجح فى مهمته كل النجاح ، فإنه بلا ريب استطاع أن ينقل إلى هذه البلاد بعض الثقافة الأدبية الشيعية مثل شعر دعبل الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ) (٣) الذى كان من أهم ألسنة الشيعة بالمشرق إلى

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، ولد سنة ٢٠٧ هـ ، وتولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٢٣٩ وكان أميرا ذكيا فطنا بالأمور ، وفى عهده بدأت طلائع الثورة الجارفة التى اضطلع بمقاومتها مدة حكمه الذى امتد خمسة وثلاثين سنة توفى سنة ٢٧٣ هـ.
مصادر ترجمته : دولة الإسلام في الأندلس (١/٢٨٨-٣١٧) ، سير أعلام النبلاء (٨/٢٦٣-٢٦٤) و(١٣/١٧١-١٧٣) رقم : ١٠٢.

(٢) وذهب إلى مصر ، وكان يحكمها أحمد بن طولون الذى كان يتوجس خيفة من الدعوات الشيعية فكشف أمره وسجنه ولسنا ندرى كيف تخلص أبو اليسر من سجنه ، لكن الذى نعرفه هو أن أبا اليسر هذا نراه بعد ذلك بالقيروان متوليا على الكتابة فى أيام إبراهيم بن أحمد الثانى وعبد الله ابنه ثم لزيادة الله الثالث آخر ملوك الأغالبة .
ثم لما سقط دولة الأغالبة سنة ٢٩٦ ، وقبض عبيد الله الشيعي على ناصية الحكم استمر أبو اليسر على الكتابة له حتى وفاته سنة ٢٩٨ هـ.
انظر: التشيع فى الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية محمود على مكى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد ٢/سنة ١٩٥٤م ، العدد (١-٢) ص ١١٢.

(٣) هو أبو على دعبل بن على الخزاعي ، شاعر زمانه ، كان من غلاة الشيعة وله هجو مقذع وكان خبيث اللسان حتى إنه هجا قبيلته خزاعة . توفى سنة ٢٤٦ هـ.
مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (٨/٣٨٢-٣٨٥) ، رقم ٤٤٩٠ ، معجم الأدباء (١١/٩٩-١١٢) رقم : ٢٦ ، سير أعلام النبلاء (١١/٥١٩) ، رقم ١٤١ ، تهذيب ابن عساكر (٥/٢٣٠-٢٤٥).

كثير من رسائل الكتاب العباسيين.[١]

ولما توفى أبو اليسر خلفه في مهمته ابن هارون البغدادى[٢] الذى قدم هو الآخر متجسسا وقد تردد على الأندلس أعواما ، ووفق لما لم يوفق له سلفه أبو اليسر[٣] إذ اسكتتبه عبيد الله المهدي[٣] بعد أبي اليسر واستعان به على أمر دعوته ،فكان له في ذلك رأى جميل ونفع عظيم وكان له دور هام فى إذاعة تعاليم الشيعة العبيديين.[٤]

ومنهم من تأثر بالدعوة الشيعية وإن لم يكن له إسهام فى نشر تعاليمها فقد ذكر صاحب (البيان المغرب)[٥] أنه كان يوجد بالأندلس معلم للقرآن لم تحفظ المصادر اسمه قام في شرق الأندلس سنة ٢٣٧ هـ وادعى النبوة ،وكان يتأول القرآن على غير تأويله وقد قبض على هذا المتنبيء ،وحوكم بتهمة الزندقة وعرضت عليه التوبة فلما رفض إعلان التوبة طلب .وهذه النزعة إلى تأويل القرآن تدل على أنه كان متأثرا بالدعاية الشيعية.[٦]

---

(١) النفح (٤/ ١٣٠).

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن أحمد بن محمد بن هارون البغدادى ،أدخل الأندلس كتب ابن قتيبة وبعض كتب الجاحظ ،سمع منه بعض رجال الأندلس ثم انصرف إلى المشرق بعدما تردد فى الأندلس أعواما .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (١/ ٦١) رقم ٢٠١.

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) التشيع فى الأندلس (ص ٢٢).

(٥) (٢/ ١٣٤).

(٦) البيان المغرب(٢/ ١٣٤) ، وانظر تاريخ الفكر الأندلسي (ص ٣٢٥) للمستشرق آنخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ،ط ،دار النهضة المصرية (الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ م).

ومن تأثر بالاتجاه الشيعي محمد بن شجاع الوشقى (ت ٣٠١هـ)(١) الذى كان يرى جواز نكاح المتعة وهو بدون شك متأثر فى ذلك بالشيعة الإثني عشرية ، وقد قتل هذا الرجل مصلوبا .

ومنهم أيضا : محمد بن إبراهيم بن حيون (ت ٣٠٥هـ)(٢) الذى كان يتهم بالتشيع لشيء كان يظهر منه فى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما.(٣)

ومن الذين تأثروا بالتعاليم الشيعية أيضا : منذر من سعيد البلوطي (ت ٣٥٥هـ)(٤) فبالرغم من أن مذهبه في الفروع كان مذهب النظار والاحتجاج وترك

---

(١) هو محمد بن شجاع من أهل وشقة ، سمع من يحيى بن عمر ، كان حسن العلم بالمسائل ، قتل ببرشلونه سنة ٣٠١ هـ.
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٢٤) رقم ١١٥٨ ، جذوة المقتبس (ص ٦١) رقم ٠٧٣

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن حيون من أهل وادى الحجارة ، سمع من ابن وضاح والخشني ونظرائهما بالأندلس ورحل إلى المشرق فتردد هنالك نحوا من خمس عشرة سنة وسمع بمكة وبغداد وصنعاء ومصر والقيروان ، وكان إماما فى الحديث عالما حافظا للعلل ، توفى سنة ٣٠٥هـ .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ٢٦) ، رقم ١١٦٦ ، جذوة المقتبس للحميدى (ص ٤٠) رقم ١٥ ، بغية الملتمس (ص ٥٥) رقم ٤٢٠ وفيه حنون بدل حيون .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) هو أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي ، سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى وغيره ورحل حاجا سنة ٣٠٨هـ، فأقام في رحلته أربعين شهرا ، أخذ فيها بمكة ومصر ، ولي قضاء قرطبة وكان عالما فقيها وأديبا بليغا ، توفى سنة ٣٥٥هـ.
مصادر ترجمته : الجذوة (ص ٣٤٨ - ٣٤٩) رقم ٨١١ ، نفح الطيب : (١/ ٣٧٢-٣٧٦) ، البداية والنهاية (١١/ ٢٨٨-٢٨٩) ، شذرات الذهب: (٣/ ١٧) ، سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٧٣-١٧٨) رقم ١٢٧ .

التقليد ، وكان يميل إلى رأى داود الظاهرى ويحتج له ، إلا أنه فى الأصول كان يذهب مذهب أهل الكلام بصيرا بالجدل لهجا بالاحتجاج ، وقد تأثر ببعض الآراء الشيعية ، ومن مظاهر هذا التأثر مانقل عنه من آراء عمد فيها إلى تأويل القرآن الكريم تأويلات باطنية ، وكان فى ذلك متأثرا بالتأويلات الشيعية

ومنهم أيضا عبادة بن عبد الله بن عبادة (ت ٤١٩ هـ)[١] الذى كان يتشيع ويتعصب ضد بني أمية.[٢]

ولم يقتصر التشيع على الأفراد بل تعداهم إلى الدولة ، حيث قامت دولة الحموديين[٣] على أصول شيعية إلا أن تشيعهم لم يكن ظاهر المعالم ، كما هو الشأن بالنسبة للدولة الفاطمية أو الدولة البويهية[٤] فى ايران بل كان تشيعهم أقل تطرفا ليس فى الاعتقاد ولكن فى سلوكهم مع الرعية وسياستهم لها حيث انهم أخذوا من المذهب الشيعى بالقدر الذى يحقق لهم مصالحهم السياسية .

---

(١) هو أبو بكر عبادة بن عبد الله بن عبادة ينتهى نسبه إلى قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصارى ، ويعرف بابن ماء السماء ، شاعر ومؤرخ مشهور عاش في أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل الخامس . من مصنفاته : (أخبار شعراء الأندلس) توفى سنة ٤١٩ هـ أو ٤٢١ هـ.
مصادر ترجمته : المقتبس لابن حيان (ص ٥٠١) ، التعليق رقم ٢٤٧ ، جذوة المقتبس (ص ٢٩٣) رقم ٦٦٢ ، بغية الملتمس (ص ٣٩٦) رقم ١١٢٣ .

(٢) انظر مصادر ترجمته .

(٣) نسبة إلى خلفاء بني حمود بن ميمون بن أحمد بن على بن عبيد الله بن عمر ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب ، وقد امتد حكمهم على مدينة الجزيرة الخضراء وطنجه وسبته وملقة .
انظر : دائرة المعارف الاسلامية (٨ / ١٠٩ - ١١٠) .

(٤) بنو بويه : أسرة فارسية أسسها أبو شجاع بويه ، وكانت تسيطر على جزء كبير من فارس وفى سنة ٣٣٤ استولت على بغداد وكانت هذه الأسرة شيعية المذهب ، وفى عام ٤٤٧ دخل طغرل بك السلطان السلجوقي مدينة بغداد وقضى القضاء الأخير على حكم الدولة البويهية .
انظر عن هذه الدولة دائرة المعارف الاسلامية (٤ / ٣٠٣ - ٣٥٨) .

نعم إنهم كانوا يدينون ببعض المبادئ الشيعية مثل القول بأنه "لا تتم ديانة إلا بإمام" "وأنه يجب على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه" إلا أنهم لم يحاولوا فرض هذه المبادئ على غيرهم ، والسبب في كونهم أقل تطرفا ، هو بغض الناس لهم وكراهية الأندلسيين للاتجاه الشيعي ، لأن الاتجاه السني كان هو السائد على الأندلس.(١)

ولكن على الرغم من ذلك ، فقد انتشرت في عهد الحمود بين الدعوة الشيعية وثقافتها انتشارا واسعا ، وانتشرت كتبهم ومؤلفاتهم عن طريق الرحالة الشيعة الذين قدموا إلى الأندلس من بغداد التي كانت آنذاك مركزا مهما من مراكز الشيعة .

من هؤلاء الرجال الذين انتشر بهم المذهب الشيعي والثقافة الشيعية في تلك الفترة أبو الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرماني القرطبي (ت ٤٥٨ هـ)(٢) فهو أول من أدخل رسائل اخوان الصفا إلى الأندلس ، وهي رسائل ذات نزعة شيعية واضحة حتى أنها نُسِبَتْ إلى بعض الأئمة العلويين.(٣)

---

(١) نفح الطيب (١/٤١٠) ، الذخيرة ، القسم الأول : ٢/١٠، ١٦٤، ١٦٥) .

(٢) هو أبو الحكم عمر الكرماني ، من أهل قرطبة ، من الراسخين في علم العدد والهندسة ، دخل المشرق واشتغل بحران ، وهو أول من أدخل رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس ، توفي سنة ٤٥٨ هـ.
مصادر ترجمته : نفح الطيب (٢/٣٧٦) .

(٣) أثبتت المصادر المتعددة أن إخوان الصفا ينتسبون إلى الشيعة . وفي رسائلهم مما يدل على الاتجاه الشيعي ، فهي مليئة بالنقل عن آل البيت - عليهم السلام - وعباراتهم تدل على تشيعهم أيضا مثل قولهم :
" صلى الله على النبي الخاتم وعلى الوصي القائم وبنيه وعشيرته آباء الأئمة المهتدين وأمراء المؤمنين الموحدين" ، وغير ذلك مما يدل على الاتجاه الشيعي لإخوان الصفا وفكرهم .
انظر: الانسان في فكر اخوان الصفا (ص ٣٤) .
وقد ظهرت جماعة إخوان الصفا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . ==

وكذلك انتشر الأدب الشيعي الذى قوى فى عهد بني بويه ببغداد (أواخر القرن الرابع وبداية الخامس) الذى كان أزهى عصور الأدب الشيعي ، ففى ظله نشأ بديع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨ هـ)(١) ومن الشعراء الشريف الرضي (ت ٤٠٥ هـ)(٢) ومهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ)(٣).

== وهي جماعة دينية ذات نزعات شيعية متطرفة . وهي إسماعيلية ، وكان مركزها ومقرها بالبصرة ، وهذه الجماعة لا يعرف عن أفرادها شيء ، ورسائلهم التي تتضمن اثنتين وخمسين رسالة تقريبا انتشرت أول ما انتشرت فى أواسط القرن الرابع . انظر: دائرة المعارف الإسلامية (١/ ٥٢٧-٥٢٩).

(١) هو العلامة البليغ أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى الهمداني بديع الزمان صاحب كتاب المقامات ، له ترسل فائق ونظم رائق ، توفى سنة ٣٩٨هـ.
مصادر ترجمته : معجم الأدباء (٢/ ١٦١-٢٠٢) ، وفيات الأعيان : (١/ ١٢٧-١٢٩) ، رقم : ٥٢ ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٧-٦٨) رقم ٣٥ ، شذرات الذهب (٢/ ١٥٠-١٥١).

(٢) هو الشريف أبو الحسن محمد بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى الحسيني الموسوى البغدادى الشاعر ، له نظم فى الذروة وهو أشعر الطالبيين ، وهو الذى جمع نهج البلاغة المنسوب الى الإمام على - رضي الله عنه - توفى سنة ٤٠٦ ، وله سبع وأربعون سنة ، وكان شيعيا صلدا .
مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٦-٢٤٧) رقم : ٧١٥ ، المنتظم : (٧/ ٢٧٩-٢٨٣) رقم : ٤٤٠ ، وفيات الأعيان (٤/ ٤١٤-٤٢٠) رقم ٦٦٧ ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨٥-٢٨٦) رقم : ١٧٤.
فائدة : يقول الإمام الذهبي عن نهج البلاغة المنسوب للامام على - رضي الله عنه - : "كتاب نهج البلاغة المنسوبة ألفاظه إلى الامام على - رضي الله عنه - ولا أسانيد لذلك . وبعضها باطل ، وفيه حق ، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها ، ولكن أين المنصف". انظر السير : (١٧/ ٥٨٩).

(٣) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي ، الأديب الباهر ، الفارسي ، كان ==

وبعد فهذه جملة مختصرة عن دخول التشيع إلى المغرب الإسلامي ، أحببت أن أجعلها مدخلا لمقاومة التشيع من قبل علماء المغرب السنة .

ومن خلال هذا المدخل نعلم أن التشيع كان متركزا بشكل كبير في تونس وما يليها من البلاد ، بحكم وجود الدولة العبيدية الشيعية والتي فرضت مبادئها بالقوة واستعملت من أجل تحقيق ذلك كل وسائل الضغط من العسف والتقتيل وغير ذلك . ومن هنا فإن المقاومة السنية للتشيع ستكون في هذا الجزء من المغرب الإسلامي أقوى منها في الجزء الآخر . والله المستعان .

== مجوسيا فأسلم على يد الشريف الرضي ، فهو شيخه في النظم وفي التشيع ، وكان يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . توفي سنة ٤٢٨ هـ .
مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (١٣/٢٧٦) رقم : ٧٢٣٩ ، المنتظم : (٨/٩٤-٩٥) رقم : ١١٤ ، وفيات الأعيان (٥/٣٥٩-٣٦٣) رقم : ٧٥٥ ، البداية والنهاية (١٢/٤١-٤٢) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٤٧٢) رقم : ٣١٠ .

المبحث الثاني : المقاومة السنية للتشيع :-

١- مقاومة الدولة :-

في دراسة هذا الموضوع سأحاول إبراز جهود علماء المغرب في مقاومة التشيع بالمغرب الإسلامي ، ولست في هذه الدراسة مؤرخا أؤرخ للأحداث وإنما أحاول أن أعطى صورة لموقف علماء السنة من هذه البدعة في هذا الجزء من العالم الإسلامي الممتد ، كذلك لا أقصد في هذا الفصل إبراز موقف الدولة من هذه الدعوة ،لأن ذلك موضوع سياسي لا علاقة له بموضوعنا ،لكن لا بأس أن أعطى لمحة مختصرة حتى تكتمل الصورة لدى القارئ فأقول :

لقد كان موقف الدولة الأموية بالأندلس من الدعوات الشيعية موقفا حازما متشدداً تمثل في الوقوف في وجه الدعوة الشيعية بكل قوة ،إلا أن موقفها القوي هذا لم يلجئها إلى تجريح الأشخاص ،بل كان موقفهم من هذه الناحية يتميز بكثير من الاعتدال حيث لم يتعرض الأمويون لشخص الإمام علي - رضي الله عنه - بالسب والطعن على المنابر كما فعل إخوانهم بالمشرق ،مما أثار عليهم غضب أهل السنة فضلا عن الشيعة . لذلك نجد الإمام ابن حزم (١) - رحمه الله - مثلا رغم نزعته الأموية يعيب على الأمويين بالمشرق ما ارتكبوه في حق علي وآله - رضي الله عنهم - بينما نجده يعد من فضائلهم في المغرب امتناعهم عن ذلك (٢) .

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) ابن عذاري ،البيان المغرب (٢/ ٥٩) .

ولكن موقفهم هذا لم يمنعهم من الانتقاص من علي - رضي الله عنه - بطريقة أو بأخرى في أوقات التوتر السياسي . من أمثلة ذلك مايقصه الخشني [(١)] (ت ٣٧١) عن الأمير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣) [(٢)] في مسألة اشتغاله بتعيين قاض للجماعة في قرطبة ، فيذكر أن الأمير محمد رأى في المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين يَقْدُمُونَ فيسلمون على رجل بعينه ، ولم يذكر في الخلفاء الراشدين عليا - رضي الله عنه - [(٣)].

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني ، عاش السنوات الأولى من حياته في القيروان ، وسمع بها من أحمد بن زياد وأحمد بن نصر ، ثم رحل إلى الأندلس ونزل بقرطبة وتتلمذ على قاسم بن أصبغ ومحمد بن يحيى ابن لبابة وغيرهما ، وكان فقيها ومحدثا . توفي سنة ٣٧١ هـ وقيل غير ذلك . من مصنفاته : تاريخ قضاة قرطبة ، طبقات علماء إفريقية ، الرواة عن مالك . مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/ ٥٣١-٥٣٢) ، شذرات الذهب : (٢/ ٣٩) ، جذوة المقتبس (ص ٥٣) رقم : ٤١ ، بغية الملتمس (ص ٦١) ، وانظر مقدمة كتابه قضاة قرطبة .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) الخشني ، قضاة قرطبة (ص ٦) .

وعدم ذكر علي في الخلفاء الراشدين كان ظاهرة عند بعض العلماء ، ولعل ذلك كان منهم تقربا لبني أمية وإرضاء لهم ، وهذه القصة التي وقعت لمنذر ابن سعيد البلوطي - سبقت ترجمته - تشير إلى جانب من ذلك ، فقد ذكر المقرى في نفح الطيب (٣/ ٢٦٧) عن أبي عبيد القاسم بن خلف الجبيرى أن أباه استضاف بطرطوشة منذر بن سعيد البلوطي أيام ولايته للثغور الشرقية ، وذلك قبل أن يلي قضاء الجماعة (٣٣٩- ٣٥٥) ، فكان منذر إذا تفرغ نظر في مكتبة مضيفه ، فمر على يديه يوما كتاب فيه أرجوزة ، لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء الراشدين ويجعل معاوية - رضي الله عنه - رابعهم ولم يذكر عليا فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى الأمير عبد الرحمن بن محمد ، فلما رأى ذلك غضب وسب ابن عبد ربه وكتب ====

وقد أخذت مقاومة الدولة الأموية للتشيع أشكالا متعددة تمثلت في تشجيع المذهب السني على الانتشار، كما كان لها بالأندلس عيون وجواسيس منبثون في جميع أنحاء المغرب، فكان هؤلاء الجواسيس يوافون حكومتهم بما يهمها من أخبار هذه البلاد أولا بأول، وقد ساعد هؤلاء الجواسيس في مهمتهم وجود جاليات أندلسية ضخمة في كل مدينة، وكانت هذه الجاليات شديدة التمسك بالمذهب السني، الذي كان قد رسخ في المغرب، شديدة الكراهية والبغض للمذاهب البدعية على اختلافها ولا سيما المذهب الشيعي إلى حد الاستماتة في مقاومته - ولعل هذا السلوك هو الذي جعل حياة الدعوة الشيعية بالمغرب قصيرة، فعزموا على اخلاء هذا المكان والبحث عن مستقر آخر أنسب لدعوتهم.(١)

لقد استطاع الأمويون أن يصبغوا الأندلس بلون أموي، واستطاعوا أن يبذروا بذور الكراهية للتشيع والشيعة في نفوس الناس، علمائهم وعوامهم، وإن كان بعض العقائد الشيعية قد تسرب الى الأندلس إلا أن تأثيرها كان ضعيفا، وبقيت الأندلس سنية. ويلاحظ ذلك من خلال تراجم الأندلسيين لبعض من نسب إلى التشيع مثل قولهم

== في حاشية الكتاب هذين البيتين :-

أو ماعلى - لا بَرِحْتَ مُعْلِناً : : يا ابن الخبيثة - عندكم بإمام ؟
رب الكساء وخير آل محمد : : داني الولاء مقدم الإسلام

(١) هناك عدة أساليب أخرى استعملها الأمويون لمقاومة التيار الشيعي غير التي ذكرنامنها :-

١- أن الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠) أنشأ اسطولا بحريا قويا، وحصن سواحله وموانئه لصد أي هجوم مفاجيء يقوم به الفاطميون على بلاده انظر : نفح الطيب (١/ ١٧٥).

٢- تحالف مع أعداء الدولة الفاطمية من ملوك أوربا، فعقد معاهدة مع ملك إيطاليا الذي كان يريد الانتقام من الفاطميين بسبب تخريبهم ميناء (جنوة)، وكذلك مع أمبراطور الدولة البيزنطية الذي كان يرغب في استعادة جزيرة صقلية من حوزة الفاطميين.

==

"كان يميل إلى التشيع" و "كان يقول بنكاح المتعة" و "تركه الناس من أجل تشيع كان فيه" إلى غير ذلك من العبارات الدالة على اهتمام علماء المغرب بهذا الجانب اهتماما بالغا حتى قال المقدسي (ت ٤١٤ هـ)[(١)] في أحسن التقاسيم[(٢)] عن الأندلس في القرن الرابع: "إن الأندلسيين إذا عثروا على معتزلي أو شيعي فربما قتلوه".

وهنالك ملاحظة مهمة تجدر الإشارة إليها، وهي التعاون الذي كان قائما بين الدولة وبين العلماء، في تتبع المبتدعة ومحاكمتهم وقطع الطريق أمامهم حتى لا ينشروا فسادهم، ولا بأس هنا أن أشير إلى مثال على ذلك وهو مثال يدل أيضا على تشدد الدولة الأموية مع الشيعة ومع غيرهم من الزنادقة.

تذكر المصادر أنه كان بالأندلس رجل يدعى أبا الخير الاشبيلي الشيعي وكان هذا الرجل يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويعلن بذلك، وكان يقول: إن عليا - رضي الله عنه - كان أحق بالنبوة من النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه كثير من العلماء بذلك وبأشياء أخرى خطيرة، كإنكار البعث وقوله بأن الخمر حلال شربها وغير ذلك من المنكرات كطعنه في القرآن وقوله: إن النصف الأخير فيه خرافات وزعم أنه يستطيع أن يأتي بمثله.

== ٣ - إرسال عشرة آلاف دينار للأخشيديين بمصر لتوزيعها على علماء المذهب المالكي ولمحاربه الدعايه الشعيعيةهناك . انظر حول هذه الاساليب سياسه الفاطميين نحو المغرب والاندلس مقال لاحمد مختار العبادى (مجله المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه بمدريد) عدد ٥ سنه ١٩٦٦ هـ ص٢٠٧-٢٠٨

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي المعروف بالبشارى، مؤرخ رحالة ولد بالقدس، وتعاطى التجارة، فتجشم أسفارا هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد. توفى سنة ٤١٤ هـ، وفي معجم المؤلفين: توفى سنة ٣٧٥ هـ، وكانت ولادته سنة ٣٣٦ هـ.

مصادر ترجمته: معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٨-٢٣٩)، كشف الظنون (ص ١٦٠) هدية العارفين (٢/ ٦٢ - ٦٣).

(٢) (ص ٢٣٦).

وبناء على هذه الشهادات أفتى الفقهاء ، منذر بن سعيد البلوطي[١] وغيره بأن الرجل ملحد كافر، قد وجب قتله من غير أن يعذر ، ورأى جماعة غيرهم أنه يعذر ويستتاب ، ورفعوا الأمر بذلك إلى أمير المؤمنين الذى رأى أن الحق والصواب في قول من أشار بقتله بلا إعذار، لما استفاض من إلحاده وانتشار ذلك عنه فأمضى ذلك فيه وأمر بصلبه غضبا لله عز وجل ولكتابه العزيز ولرسوله صلى الله عليه وسلم ليكون تشديدا على من ذهب إلى مذهبه أو ثبت عليه سبب من أسبابه ، ولما نُفِّذَ فيه أمر الله تعالى كتب الفقهاء كتابا رفعوه لأمير المؤمنين يشكرونه فيه على موافقته على فتوى الفقهاء بسفك دم هذا الزنديق ، ويذكرون له فيه ماأظهره الناس من السرور والفرح " بما أمر به في الملحد من استئصاله وقطع شأفته " حيث كانوا " يتلاقون بالتهاني بما أَطْلَعَهم الله عز وجل من باطن أمير المؤمنين في الغضب لله عز وجل ولكتابه العزيز ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللسلف الصالح من صحابته - رضي الله عنهم - ولشدته وبطشه وعزيمته في الانتقام ممن طعن في الدين . إلى غير ذلك مما قدموه من فروض الطاعة وآيات الولاء ، فجاوبهم الأمير بكتاب نوه فيه بجهود العلماء في كشف المنحرفين والمبتدعة والزنادقة وطمأنهم أنه ماض على تلك السياسة مع كل منحرف عن منهج أهل السنة قال : " وقد بلغني أن جماعة على مذهبه وأمرت الحكام بالتشديد عليهم وإخافتهم "[٢]. فهذا القضية توضح مدى اهتمام الدولة الأموية فى الأندلس بتتبع الزنادقة والشيعة لقطع الطريق أمامهم ومدى تعاونها مع العلماء فى ذلك .

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) قضية أبي الخير الاشبيلي الشيعي ، لخصتها من نص ورد في كتاب (الإعلام بنوازل الأحكام وفقر من سير القضاة والحكام لابن سهل " الذى نشره فرحات الدشراوى ضمن سلسلة من " نصوص ودراسات فى تاريخ إفريقية والمغرب " نشره فى مجلة حوليات الجامعة التونسية الجزء الأول من سنة ١٩٦٤م

===

(٢) مقاومة العلماء المغاربة للتشيع :-

بعد ماعرفنا موقف الدولة الأموية من الدعوة الشيعية أنتقل للحديث عن العلماء ومواقفهم إزاء هذه الدعوة فأقول :-

إن موقف العلماء كان أقوى وأشد من موقف الدولة ، لأنهم كانوا يُصْدِرُونَ في مواقفهم من دافع ديني شرعي ، أما الدولة فكانت تصدر في مواقفها من مصالحها السياسية وقد أخذت مقاومة علماء المغرب للتشيع أشكالا متعددة ، وأنماطا مختلفة فمرة تكون المقاومة في شكل اعتزال لكل ماهو شيعي ، وكل ماله صلة بالتشيع ، ومرة كانت تأخذ شكل الجدال فتقع بين أهل السنة وبين الشيعة معارك جدلية عنيفة يقودها جماعة من الفريقين ، من أهل العلم والذكاء والشجاعة وبلغت في بعض الأحيان إلى أن تأخذ شكل المقاومة المسلحة ، يحمل فيها علماء السنة السلاح ويحضون العامة على ذلك لمقاومة هذا الدخيل اللئيم ، ولا نستغرب ذلك إذا عرفنا السبب الحقيقي لهذه المقاومة ، الذى كان يتمثل في سلوك الشيعة المخالف للإسلام فقد كان القتل والتعذيب من أبرز سمات حكم العبيديين ، ومقاومة كل ماهو سني ، بالإضافة إلى الإباحية (١) والشذوذ وغير ذلك من المخالفات التي وقعوا فيها ، وتارة تكون المقاومة بأساليب أخرى يأتي الحديث عنها .

== (ص ٦١ - ٦٨) ، والمجلة توجد منها أعداد بقسم الدوريات بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى .

وانظر أيضا : المعيار المعرب ، والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي (٢ / ٣٣١-٣٣٥) .

(١) من مظاهر انحلال العبيديين وإباحتهم للمحرمات ماذكره ابن عذارى في البيان المغرب (١ / ١٨٥) من " أن عبيد الله الشيعي وجه سنة ٢٠٩ هـ دعاته إلى الأطراف ليظهروا بها تحليل المحرمات ، وكان منهم شبيب بن سليمان بجبل ونشريس أمرهم أن يدخل الرجل على حليلة جاره فيطأها ، وزوجها حاضر ينظر إليه ، ثم يخرج فيبصق في وجهه ويصفع قفاه ويقول : تصبر فإن صبر عد كامل الإيمان وسمي من الصابرة فقام عليهم الناس وقتلوا بعضهم فكفوا " .

المبحث الثالث : الجوانب التى وقع فيها الانحراف :-

ويمكننا هنا أن نلخص مظاهر انحراف الشيعة العبيديين والتي أدت إلى قيام علماء المغرب عليهم فضلا عن الانحراف العقدى الذى كان السبب الأول فى هذه المقاومة فيما يلى :-

١ - إبطال بعض السنن المتواترة والمشهورة والزيادة في بعضها ، كما فعلوا في زيادة "حي على خير العمل" في الآذان ، وإسقاط صلاة التراويح [١] بعد أن ترك الناس يصلونها عاما واحدا ، ولهذا ترك أكثر الناس الصلاة في المساجد .

ويا ويح من يسقط عبارة "حي على خير العمل" من الآذان ، من ذلك ماروى أن عروس المؤذن (ت ٣١٧هـ) [٢] وكان مؤذنا في أحد المساجد ، شهد عليه بعض الشيعة أنه لم يقل في آذانه "حي على خير العمل" فكان جزاؤه أن قطع لسانه ووضع بين عينيه وطيف به القيروان ثم قتل [٣].

إلا أن بعض العلماء فطن لكيد العبيديين وأغراضهم الخبيثة من وراء ذلك وهو إخلاء المساجد من المصلين ، ودفعا لهذه المفسدة ، أذِنُوا للمؤذنين

---

(١) والسبب في إسقاطها - كما هو معلوم - اعتقادهم أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هو الذى ابتدعها ، وهم لا يعترفون لا بعمر ولا بغير عمر من الصحابة - رضي الله عنهم - ولا يوقرونهم ، بل يقولون فيهم أقبح الأقاويل ، ولست أدرى لو كان علي - رضي الله عنه - هو الذى جمع الناس على صلاة التراويح هل كانوا يوافقونه أم يخالفونه . الله أعلم .

(٢) مصادر ترجمته : رياض النفوس (١٥٢/٢) رقم : ١١١ ، معالم الإيمان (٣/٣) رقم : ١٨٢ ، طبقات الخشني (ص ٢٣٢) ، البيان المغرب : (١٨٢/١-١٨٣) .

(٣) انظر : المعالم (٣/٣) ، البيان المغرب (١٨٢/١-١٨٣) .

أن يزيدوا " حي على خير العمل " لأن تركها يؤدى إلى المفاسد العظام ، ومن هؤلاء العلماء أبو الحسن على بن محمد بن مسرور العبدى الدباغ (ت ٣٥٩ هـ)[١]، الذى كان من أهل الورع والعبادة والخشوع فقد فطن لغرض العبيديين ، فقال للمؤذنين : " أذنوا على السنة في أنفسكم فإذا فرغتم فقولوا : حي على خير العمل فإنما أراد بنو عبيد إخلاء المساجد ، لِفِعْلِكُمْ هذا - وأنت معذورون - خير من خلاء المساجد"[٢].

٢ - غلو بعض دعاتهم فى المهدي حتى أنزله منزلة الإله وأنه يعلم الغيب، وأنه نبي مرسل .
يقول بدر الدين بن قاضي شهبة[٣]: " وكان له (أى المهدى) دعاة بالمغرب يدعون الناس إليه وإلى طاعته ويأخذون عليهم العهود ويلقون إلى الناس من أمره بحسب عقولهم فمنهم من يلقون إليه أن المهدى ابن رسول الله وحجة الله على خلقه ، ومنهم من يلقون إليه أنه الله الخالق الرازق"[٤].

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ ،كان من أهل العلم والورع والتعبد والصيانة والإخبات ، ثقة حسن التقييد ، إماما فى الحديث والفقه توفى سنة ٣٥٩هـ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/ ٥٢٥-٥٢٨) .

(٢) ترتيب المدارك (٢/٥٢٦) .

(٣) هو أبو الفضل بدر الدين محمد بن أحمد الأسدى الدمشقي الشافعي المعروف بابن قاضي شهبة فقيه مؤرخ من آثاره : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، كفاية المحتاج إلى توجيه المنهاج ، توفى سنة ٨٧٤هـ .
مصادر ترجمته : معجم المؤلفين (٨/ ٢٣٢) ، كشف الظنون (ص ١٥٢١-١٥٢٢) إيضاح المكنون (١/ ١٦٩) (٢/ ٣٧٣، ٤٧٥) ، الضوء اللامع (٧/ ١٥٥ - ١٥٦) رقم : ٣٨٦ .

(٤) الكواكب الدرية فى السيرة النورية (ص ٤ - ٢-٢٠٥) بتحقيق الدكتور: محمد زايد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧١م .

أما زعمهم بأنه إله فيظهر في أفعال دعاته وأقوالهم وأشعارهم فقد كان هناك رجل يدعي أحمد البلوى النحاس[١] يصلي إلى رقادة أيام كون عبيد الله بها ، وهي منه إلى الغرب ،فلما انتقل إلى المهدية[٢] ، وهي منه إلى الشرق صلى إليها[٣] باعتبار أنها مثل مكة المكرمة ـ شرفها الله ـ وهذا الاعتقاد كان سائدا عند كثير من الناس يومها ،فهذا أحد شعراء بني عبيد يقول في المهدية بعد انتقال المهدى إليها[٤] :

ليهنك أيها الملك الهمام :: قدوم فيه للدهر ابتسام

لقد عظمت بأرض الغرب دار :: بها الصلوات تقبل والصيام

هي المهدية الحرم المؤقى :: كما بتهامة البلد الحرام

كأنّ مقام إبراهيم فيه :: ثرى قدميك إن عدم المقام

وإن لثم الحجيج الركن أضحى :: لنا بعراص قصركم التثام

لك الدنيا ونسلك حيث كنتم :: فكلكم لها أبدا إمام

ومن الشعر أيضا فى تأليهه ،مامدحه به محمد البديل[٥] حيث يقول :-

حل برقادة[٦] المسيح :: حل بها آدم ونوح

---

(١) لم أعثر على ترجمته.

(٢) سبق التعريف بها ص : ٢٤٠ .

(٣) انظر: البيان المعرب (١/ ٢٥٨-٢٥٩) .

(٤) البيان المغرب (١/ ٢٢١) .

(٥) انظر عنه : حوليات الجامعة التونسية ،ضمن مقال لمحمد البعلاوى ، شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية (١٠/ ١٦٥) .

(٦) رقادة : بلدة بتونس بينها وبين القيروان أربعة أيام ،أكثرها بساتين ،بناها إبراهيم بن الأغلب وبنى بها قصورا عجيبة وانتقل إليها ، ولا زالت دار ملك بني الأغلب حتى غلب عليها الشيعة فتركوها وسكنوا المهدية بعد مابنوها . انظر عنها : معجم البلدان (٣/ ٥٥-٥٦) ،الروض المعطار (ص ٢٧١) .

حل بهـا أحمد المصـفى :: حل بها الكبـش والذ بيح
حل بهـا الله ذ والمعالـى :: وكل شيء سـواه ريـح (١)

---

(١) البيان المغرب (١/ ١٦٠).
وقد استمر هذا التأليه حتى بعد ترك الفاطميين المغرب وذهابهم إلى مصر ولابن هاني شاعر المعز الفاطمي أشعار فى مدحه هي الكفر بعينه من ذلك قوله فيه :

وعلمت من مكنون علم اللـه ما :: لم يؤت جبريلا وميكائيـلا
لله فيك سريرة لو أعلنـت :: أحيا بذكرك قاتل مقتـولا
لولا حجاب دون علمك حاجـز :: وجدوا إلى علم الغيوب سـبيلا

وقوله أيضا :-

والنـور أنت وكل نـور ظلمـة :: والفوق أنت وكل فـوق دون
لو كان رأيك شائعا في أمـة :: علمت بما سيكون قبل يكـون

وقولـه :-

ماشئت لا ماشاءت الأقـدار :: فاحكم فأنت الواحد القهـار

وقوله أيضا :-

ولك الجوارى المنشآت مواخـرا :: تجرى بأمرك والرياح رخـاء

انظر مقال : مع ابن هانيء والقاضي النعمان ، مقال بقلم أحمد خالد ، مجلة الفكر التونسية (السنة ٢١ ، عدد ٧ ، ابريل ١٩٧٦م ، ص ٢٩) ، وانظر حسن المحاضرة (١/ ٥٩٩).
قال السيوطي : " وابن هانيء هذا كفره غير واحد من العلماء ، منهـم القاضي عياض فى الشفا لمبالغته في مدائحه ".
وانظر عن ترجمته : سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣١-١٣٢) رقم : ٨٨ ، وكذلك مصادر ترجمته فى الهامش.
وانظر عنه وعن أشعاره : أعـمال الأعلام (القسم الثالث) ص ٥٥ - ٥٧ ،
وانظر أيضا : ديوان ابن هانيء الأندلسي ، طبعة دار بيروت (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

أعمال

وأما زعمهم أنه كان يعلم الغيب ، فيظهر من أَيْمَانِ بعضهم ، حيث كان إذا أقسم يقول : " وحَقِّ عالم الغيب والشهادة مولانا الذى برقادة "[١]، وقد سخر بعض أحداث القيروان من تلك الأيمان ، وكتب هذين البيتين إلى المهدى وأرسلهما إليه فى بطاقة وهي قوله :-

الجَوْرُ قد رضينا :: لا الكفر والحماقة

يامدعى الغيوب :: من كاتب البطاقة

٣ - التسلط والجور وإعدام كل من يخالف مذهبهم ، هذا بالإضافة إلى ماذكرناه آنفا - على لسان القاضي عياض ، من طعنهم في الصحابة وتعليق رؤوس الأكباش الدالة - في زعمهم - على أسماء الصحابة ، وغير ذلك من الأفعال القبيحة والشنيعة التى كانوا يقومون بها .

٤ - منعوا الفتوى بمذهب مالك ، وقصروها على مذهب أهل البيت ، فبقى من يتفقه لمالك إنما يتفقه خفية[٢]، كما منعوا تعليم أصول الشريعة على مذهب أهل السنة ومنعوا شيوخ القيروان من إلقاء دروسهم فى جامع عقبة اللهم إلا دروس اللغة العربية وماليس له مساس بالعقائد الأمر الذى جعل شيوخ القيروان يركنون إلى إقراء تلاميذهم تلك العلوم فى بيوتهم ودكاكين حرفهم . يقول الدباغ : " كان ربيع القطان (ت ٣٣٣) ملتزما الإقراء فى الحانوت الذى يبيع فيه القطن ، وفيه كان يأتيه من يدرس عليه من الطلبة أومن يسأله ويستفتيه "[٣].

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب (١ / ٢٢١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢١٦) .

(٣) معالم الإيمان (٣ / ٣٠) .

٥ - فرض المهدي على الخطباء أن يدعوا له على المنابر بهذا الدعاء : فبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمير المؤمنين علي وعلى فاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - وعلى الأئمة من أولادهم ، بعد هذا يقولون " اللهم صل على عبدك ووليك وخليفتك العالم بأمر عبادك في بلادك أبي محمد عبيد الله الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين ، كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين الذين قضوا بالحق وكانوا به يعدلون ، اللهم وكما اصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعمادا ولبريتك موكلا وملاذا فانصره على أعدائك المارقين وافتح له مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته وأيدته على العصاة الضالين إنك أنت الحق المبين ".(١)

وكرد فعل لهذا السلوك ، وهذه الأعمال المنافية لعقائد الإسلام وأخلاقه ، نجد مواقف علماء المغرب متباينة ، فمنهم من ترك البلاد خوفا أن يفتن في دينه ، ومنهم من قاوم وصبر وتحدى ، ومن هذا الصنف ذهب جمع كبير إلى ربهم شهداء. ومنهم من أقام بينهم يداريهم ويداهنهم طمعا في عطاياهم ومناصبهم التي كانوا يغدقون وينعمون بها على من يواليهم .

ولكن هذا الصنف من الناس ، وإن كان أَمِنَ مكر العبيديين فإنه أصبح منبوذا من قبل علماء السنة .

---

(١) انظر: أعمال الاعلام (القسم الثالث ص : ٥١) تحقيق الدكتور: أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، نشر وتوزيع : دار الكتاب الدار البيضاء سنة ١٩٦٤م .
وانظر: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب لادريس عماد الدين (ص ١٧٠ - ١٧١) .

والذى ينبغى الإشارة إليه هو أن علماء المغرب - سدا للذريعة - أفتوا بكفر من يعتنق مذهب العبيديين - ولو مكرها وكان قلبه مطمئنا بالإيمان ، فقد جاء في معالم الإيمان (١) فتوى فيمن دخل مذهب العبيديين بالإكراه هل يكفر بذلك أم لا ؟ فأجاب الشيوخ أبو محمد بن أبي زيد القيرواني (٢) وأبو القاسم بن شبلون (٣) وأبو الحسن القابسي (٤) وغيرهم : " لا يعذر أحد في ذلك لأنه أقام بعد علمه بكفرهم ، وكفرهم ارتداد وزندقة بخلاف غيرهم " .

ولما حُمِلَ أهل طرابلس لبني عبيد أظهروا أن يدخلوا في دينهم عند الإكراه ، ثم رُدُّوا من الطريق سالمين فقال ابن أبي زيد القيرواني : " هم كفار لاعتقادهم ذلك (٥) " .

وقد تعقب صاحب المعالم (٦) هذه الفتوى بقوله " الأقرب أنهم ليسوا بكفار ، وإنما صرح أبو محمد بما ذكر مبالغة لتنفير العامة لأن المطلوب سد هذا الباب وأما فيما بينهم وبين الله فما قلناه ، والله أعلم " .

---

(١) (٢/٢٦٥) .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) هو أبو القاسم عبد الخالق بن خلف بن سعيد بن شبلون القيرواني العالم الجليل الإمام الفقيه الفاضل كان يعتمد عليه في الفتوى بالقيروان بعد ابن أبي زيد القيرواني ، ألف كتاب المقصد ، وكان يفتي في اللازمة بطلقة واحدة ، توفي سنة ٣٩١ هـ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/٥٢٨) ، شجرة النور الزكية (١/٩٧) رقم ٢٢٨ ، الديباج المذهب : (٢/٢٢) رقم : ١ .

(٤) مرت ترجمته .

(٥) معالم الايمان (٢/٢٦٥) .

(٦) (٢/٢٦٥) .

وهذا الذى قاله صاحب المعالم هو الحق الذى دل القرآن عليه ، فقد قال تعالى فى محكم تنزيله ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة النحل : ١٠٦) ، وسبب نزول هذه الآية كما ذكر المفسرون (١) أن المشركين أخذوا عمار بن ياسر (٢) ـ رضى الله عنه ـ فعذبوه حتى قاربهم (أى وافقهم) فى بعض ما أرادوا ، فشكا ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنا بالإيمان ، قال عليه الصلاة والسلام : إن عاد واقعد " فكانت رخصة فى مثل هذه الحال (٣) .

من هنا جاءت مواقف العلماء متباينة ، فمن خاف أن يفتن فى دينه هرب وتحول إلى بلد آخر ولكن عدد الذين هربوا وتركوا البلاد كان قليلا إذا قورن

---

(١) انظر ابن كثير (٤/ ٥٢٥) حيث يقول : " ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالى إبقاء لمهجته " .
وقد أخرج قصته ابن سعد (٣/١/١٧٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٤٠) والطبرى فى تفسيره (١٤/١٨٢) والحاكم (٢/٣٥١) وصححها ووافقه الذهبي .
قال ابن حجر فى الإصابة (٢/٥٠٥) : " واتفقوا أنها نزلت فيه هذه الآية " .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/٣٥٧) من حديث عبد الله بن عمرو الرقى عن عبد الكريم بن مالك الجزرى عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر آلهتهم بخير ، ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ماوراءك ؟ قال : شر يارسول الله ماتُرِكْتُ حتى نِلْتُ منك وذكرت آلهتهم بخير ، قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان ، قال : " إن عادوا فعد " وقال : هذا الحديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي . وذكره ابن حجر فى الفتح (١٢/ ٢٧٨) وقال : هو مرسل ورجاله ثقات" وذكره من عدة طرق مرسلة وقال : وهذه المراسيل يقوي بعضها بعضا .

بالذين أقاموا وجاهدوا وصبروا ، ولو كان العدد كبيرا لأثر ذلك على المواجهة لذلك يقول صاحب المعالم[١] مشيدا بمشيخة القيروان : " وجزى الله مشيخة القيروان خيرا ، هذا يموت وهذا يضرب وهذا يسجن وهم صابرون لا يفرون ، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة رحمهم الله ورضي عنهم ".

النوع الأول : العلماء الذين هربوا بدينهم :-

ومن هؤلاء الذين تركوا البلاد هربا بدينهم ، أبو عبد الله محمد بن بسطام ابن رجاء الضبي (ت ٣١٣هـ)[٢] فقد انتقل من القيروان إلى سوسه[٣] حيث استوطنها . ومنهم أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس السوسي (ت ٣٣١هـ)[٤] وكذا أبو محمد عبد الله التاهرتي (ت ٣١٣هـ)[٥] ، وأبو محمد يونس بن محمد الوردانى (ت ٢٩٩)[٦] الذى تستر وراء رعي البقر فى برية القيروان حتى مات وكان قد

---

(١) (٢٩٢/٢) .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن بسطام بن رجاء الضبي ، كان عابدا زاهدا ، ألف عدة كتب بخطه ، توفى سنة ٣١٣هـ .
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١٨١/٢-١٨٢) رقم : ٢٠١ ، طبقات الخشنى (ص ١٦٨) ، البيان المغرب (١٩٠/١) .

(٣) مر التعريف بها .

(٤) هو أبو البشر محمد بن أحمد بن يونس السوسي ، كان صالحا ، وكان من الخاشعين العاملين المجتهدين ، توفى سنة ٣٣١هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢٧٤/٢-٢٧٥) رقم : ٢٢٣ ، ترتيب المدارك (٣٥٣/٢-٣٥٤) .

(٥) هو أبو محمد عبد الله التاهرتى ، نسبة إلى تاهرت (من مدن الجزائر اليوم) كان فاضلا عابدا ، سكن مدينة سوسه يحرس فيها المسلمين . توفى سنة ٣١٣هـ . مصادر ترجمته : رياض النفوس (١٨٣/٢) رقم ٢٠٨ .

(٦) مصادر ترجمته : رياض النفوس (٤٥/٢-٤٦) رقم : ١٧٢ ، الحلل السندسية : (٣٢٠/١-٣٢١) .

خير أهله بين ترك إفريقية (تونس) والفرار بدينه من فتنتهم فلا يرونه أبدا ، وبين أن يتركوه يرعى البقر فقالوا له : " إن ما ذكرت يشق علينا فكونك معنا نرى وجهك أحب إلينا من هروبك وانقطاع خبرك عنا " فأقبل على رعي البقر ، فكان إذا أصبح أخذ مصحفه وأخذ عصاه وساق البقر بين يديه وأبعد بهما عن العمارة وأقبل على قراءة القرآن النهارَ أجمعَ فإذا أمسى واختلط الظلام أقبل بالبقر إلى منزله فكان هذا دأبه حتى لقي ربه[1] .

ومن الذين خرجوا من ديارهم فارين بدينهم ابن الخزاز المليلي[2] (ت ٣٣٠هـ) الذى كان قاضيا بمليلة وهرب إلى قرطبة سنة ٣٢٥هـ خشية من جنود الشيعة وكان فقيها شاعرا فأجاره الناصر[3] وسجل له على قضاء ناحيته[4].

---

(١) انظر : رياض النفوس (٢/٤٦) .

(٢) هو : أبو جعفر أحمد بن الفتح المليلي ويعرف بابن الخزاز ،كان عظيم القدر جليلا ، وكان آية في الرواية والشعر وحفظ الأخبار . توفى رحمه الله سنة ٣٣٠هـ . مصادر ترجمته : ابن الفرضي (٦١) (ت ٤٠٢هـ) .

(٣) هو الأمير عبد الرحمن الناصر أمير الأندلس ، بويع بالامرة سنة ٣٠٠ هـ ، بعد وفاة والده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ، وكان عمره آنذاك ثلاثا وعشرين سنة ، وكان قد درس القرآن والسنة وهو طفل لم يتجاوز العاشرة وبرع فى النحو والشعر والتاريخ ومهر فى فنون الحرب والفروسية دامت دولته خمسين سنة ، توفى سنة ٣٥٠هـ وله اثنان وسبعون عاما .
مصادر ترجمته : جذوة المقتبس (ص : ١٠٢-١٠٣) ، بغية الملتمس: (ص ١٧-١٨) سير أعلام النبلاء (١٥/٥٦٢-٥٦٤) رقم : ٣٣٦ ، وله ترجمة طويلة فى كتاب (نهاية الأندلس) للدكتور عبد الله عنان : (٢/٣٧٢ - ٤٦٣) .

(٤) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ص: ٦١) .

ومنهم أيضا أحمد بن نصر الداودى الأسدى (ت ٤٠٢هـ)[١] فقد كان ينكر الإقامة فى مملكة بني عبيد باعتبارهم كفارا[٢] ، وقد أنكر عليه علماء المغرب ذلك ، لأنهم كانوا يرون فى مكوثهم بين ظهراني الشيعة تثبيتا للعامة[٣] .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن نظيف البزاز الفقيه (ت ٣٥٥هـ)[٤] الذى خرج إلى المشرق لما ظهر سب السلف بالمغرب عند اشتداد أمر بني عبيد .

النوع الثانى : العلماء الذين صبروا وجاهدوا :-

ومن العلماء من آثر مقاومة الشيعة والموت فى سبيل الله على الهرب ، ومن هذا الصنف من العلماء ذهب عدد كبير إلى ربهم شهداء على يد عبيد الله[٥] وبنيه . يقول أبو الحسن القابسي[٦] : "إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه أربعة آلاف

---

(١) هو : أبو جعفر أحمد بن نصر الداودى الأسدى ، أصله من المسيلة وقيل من بسكرة (كلاهما من أرض الجزائر اليوم) كان فقيها فاضلا متفننا مؤلفا مُجيداً ، له مصنفات جيدة منها : (الواعي في الفقه) و(النصيحة فى شرح البخارى) و(القاضى فى شرح الموطأ ، وغيرها ، توفى سنة ٤٠٢هـ.
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٤/٦٢٣) .

(٢) انظر مصادر ترجمته .

(٣) نفس المصدر .

(٤) كان من الفقهاء البارعين والأئمة المعدودين ، وكانت له هيبة عظيمة لم تكن لأحد من أهل وقته ، تخلى عن الدنيا وانقطع إلى الله عز وجل ، اشتهر بالحفظ والفهم والفقه والدين والورع . توفى رحمه الله سنة ٣٥٥هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/٤٦٧ - ٤٦٨) رقم : ٢٦٩ ، المدارك (٢/٤٨٤-٤٨٥) .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) سبقت ترجمته .

فى دار النحر فى العذاب من عالم وعابد ليردهم عن الترضى عن الصحابة فاختاروا الموت ،يقول سهل الشاعر[(١)] :-

واحل دار النحر في أغلاله :: من كان ذا تقوى وذا صلوات[(٢)]

وكان الذى تولى مهمة تعذيب العلماء المعارضين للدولة العبيدية وتقتيلهم محمد بن عمر المروذى[(٣)] الذى كان معتقدا لمذهب الشيعة معروفا بذلك فلما دخل الشيعى ،بادر إليه ودخل فى دعوته ولزمه فولاه قضاء إفريقية فتصلب وتكبر وتجبر، وكانت أيامه صعبة جدا ،وأخاف أهل السنة ،وعذب العلماء وقتلهم وأخذ أموال الأحباس والحصون .

ولكن الله تعالى انتقم منه وقتله على يد من كان يخدمهم ويتقرب إليهم، قال الخشني :" تطاول على رجال صالحين فضربهم وحبسهم ولما تمادى فى التنكيل بالعلماء كثر منه التشكى إلى المهدى فعزله وعذبه ثم قتله "[(٤)].

من هؤلاء الذين قتلهم الشيعة بسبب مواقفهم الصلبة نذكر ابن البردون (ت ٢٩٩هـ)[(٥)]، ....

---

(١) انظر ترجمته ص :

(٢) انظر : معالم الإيمان (٣/ ٣٤) ،سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٤٥).

(٣) مرت ترجمته .

(٤) انظر : طبقات الخشنى (ص : ٢٣٩) ، وانظر عن قتله معالم الإيمان : (٢/ ٢٩٠-٢٩٢).

(٥) هو الإمام الشهيد المفتى أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن البردون الإفريقى كان من كبار العلماء ، وكان بارعا فى العلم يذهب مذهب النظر. سمع من ابن مسكين ويحي بن عمر وجماعة ،قتله الشيعة سنة ٢٩٩هـ.
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٢ / ٢٦١-٢٦٥) ،رقم: ١٥٠ ،سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢١٥-٢١٧)رقم : ١١٨ ،الديباج المذهب : (١/ ٢٦٦-٢٦٧) رقم : ٩.

وابن الهذيل الفقيه (ت ٢٩٩هـ)[١] فقد قتلا معا ، وكان السبب في قتلهما أن الإمام ابن البردون كان يقول :" كان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب[٢] رضي الله عنه ، ويعينه في أموره ، فلو لم يكن عنده إمام هدى مستحقا للتقدمة مافعل مافعل ، فبلغ قوله أبا العباس الشيعي[٣] فقال : " كان يوسف الصديق عليه السلام من أعوان العزيز بمصر يعينه في أموره

---

(١) هو أبو بكر بن الهذيل الفقيه ، سمع من عيسى بن مسكين ويحي بن عمر وجبلة بن حمود وغيرهم ، كان فقيها زاهدا صالحا متقشفا ، وكان عيشه من غزل امرأته . قتله الشيعة مع ابن البردون سنة ٢٩٩هـ.
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٢/٢٦٨-٢٦٩) ، رياض النفوس : (٢/٤٨-٥١) ، أعلام المغرب العربي (١/٢٢٥) .

(٢) وكذلك بين يدي عثمان ـ رضي الله عنه ـ كما أخرج ذلك البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة الحبشة) وفي فضائل الصحابة (باب مناقب عثمان ـ رضى الله عنه ـ) من حديث عبيد الله بن عدي ابن الخيار أنه كلم عثمان في شأن الوليد بن عقبة حينما شرب الخمر وصلى الفجر بالناس أربعا فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ :" أما من شأن الوليد بن عقبة فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله ، ثم دعا عليا ـ رضى الله عنه ـ فأمره أن يجلده فجلده " .
انظر: الفتح (٧/٨٧) رقم الحديث: ٣٨٧٢ ، و(٧/٥٣) رقم ٣٦٩٦ .

(٣) هو أبو العباس المخطوم ، أخو أبي عبد الله الشيعي داعية بني عبيد ومؤسس دولتهم بإفريقية ، اسمه محمد بن أحمد ، ولكنه لا يعرف الا بكنيته دخل المغرب صحبة عبيد الله المهدي عام ٢٨٩ ، فسجنه الأغالبه وبقي سجينا حتى سرحه أخوه أبو عبد الله الشيعي سنة ٢٩٦هـ ، ولما توطى عبيد الله المهدي أنعم على الأخوين ورفع منزلتهما على منازل الناس ، ولكنها حظوة لم تطل إذ سرعان ما انقلب عليهما وأمر بقتلهما لما بلغه خبر كيدهما له وعزمهما على خلعه وقتله . وكان ذلك سنة ٢٩٨ ، وكان أبو العباس هذا ضعيف العقل عجولا شديد البطش والفتك ، وهو ==

فما كان فيه نقص ليوسف ولا زيادة فى مقدار العزيز"[١].

وكان الإمام ابن الهذيل يروج قول ابن البردون وينشره فى الناس ،فأرسل عبيد الله الشيعى من يأتيه بهما ،فلما أدخلا عليه وجداه على سرير ملكه جالسا وعن يمينه أبو عبد الله الشيعى وأبو العباس أخوه ،فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد الله وأبو العباس ،نشهد أنَّ هذا رسول الله ـ وأشارا إلى عبيد الله الشيعي ـ فرد عليهما ابن البردون وابن الهذيل بلفظ واحد " والله الذى لا اله إلا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان : نشهد إنه رسول الله ،ماقلنا: إنه رسول الله"[٢] فأمر عبيد الله عند ذلك بقتلهما وأمر بربطهما إلى أذناب البغال ،وقيل : ان ابن البردون لما جرد للقتل ،قال له قاتله :" أترجع عن مذهبك ؟" فقال " أعن الإسلام تستتيبني"[٣].

ومن هذا الصنف من العلماء ـ أيضا ـ أبو جعفر المعافرى[٤] (ت ٣٠١ هـ) الذى أمر عبيد الله المهدى بقتله ،فطرح على الأرض ورفسه السودان بأرجلهم

== الذى أراد أن ينفى من القيروان جميع الفقهاء الذين يذهبون مذهب مالك ولم يحل بينه وبين ماأراد إلا أخوه الذى كان أبعد منه نظرا.

مصادر ترجمته : العبر(٢ / ٨٠) ،الحلة السيراء (١ / ١٩٤) ،دائرة المعارف الإسلامية (١ / ٥٢٩) ،أعلام المغرب العربى (٢ / ٥٤) ، وانظر أيضا : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (ص ١٨٠-١٨٧).

(١) معالم الإيمان (٢ / ٢٦٢).

(٢) ممعالم الايمان (٢ / ٢٦٤).

(٣) معالم الإيمان (٢ / ٢٦٤).

(٤) هو أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون الأندلسى المنشأ والدار ،القيرواني القرار ،رحل إلى العراق فسمع ببغداد من محمد بن مضر صاحب ابن معين وغيره ،ودخل القيروان بقراءة نافع فعلمها أهل القيروان ،وكان الغالب عليهم قراءة حمزة ، كما أنه كان أول من أدخل مذهب داود الظاهرى ==

حتى قتلوه ، وكان السبب فى قتله انحرافه عن العبيديين .(١)

ومن قتل على أيديهم بسبب مواقفه الجريئة الزاهد الشذوني (ت ٣٠٩هـ)(٢) الذى أمر عبيد الله المهدى بقتله ، وذلك لتفضيله بعض الصحابة على علي ـ رضي الله عنه ـ .

ومنهم أيضا عروس المؤذن الذى ذكرت قصته من قبل .(٣)

ومن امتحن على أيديهم أيضا أبو القاسم الطرزى (ت ٣١٧هـ)(٤) فقد ضرب بالسياط عند الجامع نكاية فى أهل السنة وبغضا لهم وعداوة لعلماء المسلمين .(٥)

ومنهم الإمام أبو بكر اللباد (ت ٣٣٣)(٦) الذى سجنوه ، ثم أطلقوه ومنعوه

== إلى القيروان وبنى بالقيروان مسجدا يدعى بمسجد " الثلاث بيبان "
توفى سنة ٣٠١هـ .
مصادر ترجمته : البيان المغرب (١٦٩/١) ، جذوة المقتبس (ص ٥٤) رقم ٤٦ ، معالم الإيمان (٢٨٨/٢-٢٩٢) ، رقم ١٥٦ ، تراجم المؤلفين التونسيين (٢٦٤/٢) .

(١) معالم الإيمان (٢٨٨/٢) .

(٢) ابن عذارى (٢٦٥/١) (٢٤٩/١-٢٥٠) .

(٣) راجع ص : ٤٤١

(٤) هو أبو القاسم محمد بن محمد بن خالد القيسى ، المعروف بالطرزى ، القاضي الزاهد ، سمع كثيرا وكان شديد الضبط مغيرا للمنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، توفى سنة ٣١٧هـ فى شهر رمضان .
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٩/٣-١١) رقم ١٨٤ .

(٥) انظر: المعالم (١١/٣) .

(٦) هو أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد الفقيه ، سمع من يحى بن عمر ، وابن طالب القاضي وحماس بن مروان وغيرهم ، كان رحمه الله فقيها فاضلا جليل القدر عالما صالحا إماما في الدين كثير البكاء والخشية .
توفى سنة ٣٣٣ .
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٢١/٣-٢٧) رقم ١٩١ ، رياض النفوس : (٢٨٣/٢-٢٩٢) رقم : ٢٢٧ ، طبقات الخشني (ص : ٢٣٢) .

من الفتوى ولكنه لم تثنه أوامرهم عن أداء رسالته التعليمية ، فكان يقوم بذلك سرا ، وكان ابن أبي زيد القيروانى وابن التبان[١] " يأتيان إليه خفية وربما جعلا الكتاب فى أوساطهما حتى تبتل بأعراقهما خوفا من بنى عبيد أن ينالوهما بمكروه"[٢] وقد استمر على هذه الطريقة حتى توفى رحمه الله . وقد رثاه ابن أبي زيد بقصيدة طويلة منها قوله فيها :

ياطول شوقى إلى من غاب منظره :: وذكره فى جوى الأحشاء قد سكنا

لهفي على ميت ماتت به سبل :: قد كان أحيا رسوم الدين والسننا

كم محنة طوقته في الإله فلم :: يحزن لذلك إذ في ربه امتحنا[٣]

ومنهم أيضا أبو العباس بن السندى (ت ٣٢٠هـ)[٤] فقد كان ممن ضربه الشيعي وعذبه وأخذ نعمته[٥].

---

(١) انظر ترجمته ص : ٤٦٥

(٢) معالم الإيمان (٣/ ٢٩-٣٠) وممن كان يُعَلِّمُ سرا فنفع الله به محمد بن الفتح المرجى ، وهو ممن عزم الخروج لقتال بني عبيد ولكنه لم يفعل لضعفه وكبر سنه " وكان يخرج إلى المقبرة فيستتر بحائط يقرأ على أصحابه هناك للخوف من بني عبيد لأنهم منعوا من بث العلم وسجنوا العلماء فى دورهم .

(٣) معالم الإيمان (٢/ ٢٧) ومنها أيضا :-

حتى استنار به الإسلام فى بلد :: لولاه مات به الإسلام واندفنا

الفقه جلته والعلم حليته :: والدين زينته والله شاهدنا

أب لأصغرنا كهف لأكبرنا :: وفي النوازل ملجأنا ومفزعنا

(٤) هو : أبو العباس بن السندى ، كان مذهبه مذهب الشافعى ، توفى سنة ٣٢٠ وقيل قبل ذلك .

مصادر ترجمته : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية لأبى عبد الله محمد بن حارث الخشنى تحقيق عزت العطار الحسينى (ص: ٢٨٣) .

(٥) نفس المصدر والمقصود بالنعمة : المال .

ومنهم الامام إبراهيم بن عبد الله الزبيرى (ت ٣٥٩هـ)(١) فقد امتحن على يد أبي القاسم بن عبيد الله الشيعى،(٢) حيث ضربه سبعمائة سوط وحبسه أربعة أشهر وذلك لتأليفه : "كتاب الامامة" و "كتاب الرد على الرافضة".(٣)

ومنهم حكم بن محمد بن هشام المقرئ (ت ٣٧٠هـ)(٤) فقد صلبه هو الآخر أبو عبد الله الشيعى من أجل صلابة كانت فيه وإنكار شديد على أهل البدع.

---

(١) هو الإمام أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيرى ، المعروف بالقلانسي القيروانى ، سمع من حماس بن مروان ومحمد بن عبادة السوسي وغيرهما ، توفى رحمه الله سنة ٣٥٩هـ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٤/٥٢٤) ، شجرة النور الزكية (ص ٩٤) رقم ٢١٦ ، تراجم المؤلفين التونسيين (٢/٤١١-٤١٢) .

(٢) هو أبو القاسم بن عبيد الله الشيعى بويع بولاية افريقية يوم مات أبوه سنة ٣٢٢ وتلقب بالقائم بأمر الله، وتوفى يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة ٣٣٤هـ، فكانت دولته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر وعمره خمس وخمسون سنه .
انظر عنه : البيان المغرب (١/٢٠٨-٢٠٩) ، وانظر: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (ص ٢٤٥) ومابعدها ، والمؤنس في أخبار إفريقيا وتونس لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار، تحقيق محمد شمام (ص ٥٧-٦١) .

(٣) تراجم المؤلفين التونسيين (٢/٤١٢) .

(٤) هو الامام أبو القاسم حكم بن محمد بن هشام القرشي المقرئ ، من أهل القيروان ، قرأ القرآن بالقيروان على الهوارى ، ثم رحل إلى مصر وسمع بها ، ثم حج ودخل العراق وسمع بها من جماعة من أصحاب القراءات ، وقدم الأندلس في أول ولاية المستنصر رحمه الله ، توفى ليلة الأحد ١١ ربيع الآخر سنة ٣٧٠ هـ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (١/١٢١) رقم : ٣٧٧ .

ومنهم ـ أيضا ـ أبو علي بن خلدون (ت ٤٠٧هـ)[١] فقد كان هو الآخر شديدا على أهل البدع ولا سيما الروافض يستند منه أهل السنة إلى ملجأ ووزر ، فضجر منه الرافضة ، وحملهم ذلك على قتله ،[٢] وقد رثاه عدد كبير من العلماء منهم ابن الوراق الذى قال فيه :

مضرج بدم الإسلام مهجته :: من بين أحشاء دين الله تنتزع

ويقول فيه ابن جرمون :

جفوني إلا تدرّى الدموع بأسحم :: ونفسي إلا تلتظي فتضرمي

فلا وجد إلا أن تفيضي من الآسى :: ولا دمع إلا أن يكون من الدم[٣]

وممن قتلهم عبيد الله الشيعي ، أبو علي حسن بن مفرج الفقيه[٤] لتفضيله بعض الصحابة على علي ـ رضي الله عنه ـ .[٥]

وممن امتحن على أيديهم أيضا ، أحمد بن نصر[٦] .

---

(١) هو: أبو علي بن خلدون ، من فقهاء إفريقية وعلمائها وصلحائها ، نشأ بإفريقية ، وكان جليل القدر مطاعا ، شديدا على أهل البدع ولا سيما الشيعة حتى قال قائلهم :

عيني من التغميض ممنوعة :: ومهجتي بالنار ملذوعة

من حسن ظبي حسن وجهه :: طرفه بالمسك مصنوعة

كأنما ذكرى الهوى عنده :: ذكرى ابن خلدون لدى الشيعة

توفي رحمة الله عليه سنة ٤٠٧هـ .

مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/٦٢٤-٦٢٧) .

(٢) انظر خبر قتله في ترتيب المدارك (٢/٦٢٥-٦٢٦) .

(٣) انظر: ترتيب المدارك (٢/٦٢٦) . (٤) لم أعثر له على ترجمة .

(٥) انظر عنه البيان المغرب (١/١٨٧) .

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن نصر سمع من سحنون ومحمد بن عبدوس وغيرهما ، كان عالما متقدما بأصول العلم حاذقا بالمناظرة ، وامتحن على أيدى الشيعة ==

وأحمد بن زياد (ت ٣١٨هـ)[1] وغير هؤلاء كثير مما يطول ذكرهم .

هذه جملة من العلماء الذين رضوا بمقاومة تيار التشيع ، وقد بذلوا في ذلك الغالي والنفيس فكانت عاقبتهم أنهم عذبوا وسجنوا ، ومنهم من قتل تحت التعذيب ومانقموا منهم إلا أنهم رفضوا الكفر والارتداد عن دين الله الحق . احتسابا عند الله تعالى .

النوع الثالث : العلماء الذين رضوا بالعيش تحت حكم بني عبيد :-

ومن العلماء من رضي بالواقع ، وعمل بالمداراة والمداهنة من أجل العيش آمنا بين ظهراني الشيعة ، وهؤلاء العلماء - كما قلت - وان آمنوا مكر الشيعة ، فإنهم أصبحوا مهجورين من قبل علماء السنة . وهذا الصنف من العلماء سيأتي ذكره في المقاومة السلبية . وهى إحدى أنواع المقاومة التى سلكها علماء السنة في مقاومة التيار الشيعي .

== سنة ٣٠٨هـ فحبسوه ، ثم أطلق ، فلزم بيته حتى مات .
مصادر ترجمته : طبقات الخشني (ص: ١٥٩-١٦٠) ، (٢٣١) .

(١) هو : أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد ، صحب محمد بن عبدوس ، وسمع من محمد بن يحى بن سلام ألف عدة كتب في أحكام القرآن وغيره من العلوم ، وكان بليغا بصيرا باللغة ، وكان مذهبه النظر ولا يرى التقليد ، قوى المعارضة في المناظرة ، توفى سنة ٣١٨هـ .
مصادر ترجمته : طبقات الخشني (١٦٨-١٦٩) ، (٢١٦) ، (٢٣٠-٢٣١) .

المبحث الرابع : أساليب المقاومة السنية لبدعة التشيع :-

لقد سلك علماء السنة المغاربة في مقاومة التشيع أساليب عديدة ، ذكرنا منها في معرض حديثنا المقاومة السلبية أي اعتزال كل ماهو شيعي ، وكل مايمت إلى التشيع بصلة ، وإلى دولتهم بسبب ، والمقاومة الجدلية والمقاومة المسلحة وكانت هناك أنواع أخرى من المقاومة مثل المقاومة عن طريق التأليف والمقاومة عن طريق نظم الشعر والمقاومة عن طريق مخالفة الشيعة في أعيادهم كيوم عاشوراء مثلا الذي يعتبره الشيعة على اختلافهم يوم حزن ، لأن الإمام الحسين (١) بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قتل فيه ، فهو إلى يوم الناس هذا يوم حزن وبكاء ولطم للوجوه وتعذيب للنفس ، وقد يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى قتل النفس فداء للحسين - رضي الله عنه - .

أما عندنا نحن - أهل السنة - فهو يوم له فضل ولذلك

---

(١) هو الإمام الشريف الكامل ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا ومحبوبه ، أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - القرشي الهاشمي ، حدث عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبويه وصهره عمر وطائفة .
وعنه : ولداه علي وفاطمة ، وعكرمة والشعبي وغيرهم. ولد في خامس شعبان سنة أربع من الهجرة ، كان كثير الشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مع أبيه الجمل وصفين وقتال الخوارج ، وفي سنة ٦٠ خرج من المدينة قاصدا الكوفة لأخذ البيعة من أهلها لكنهم خذلوه وقاتله جيش عبيد الله بن زياد بكربلاء ، فقتل بها هو ومجموعة من أفراد عائلته وذهبوا الى ربهم شهداء ، وكان ذلك يوم عاشوراء من سنة ٦١ هـ - رحمهم الله ورضي الله عنهم.
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٣٨١/٢) رقم : ٢٨٤٦ ، الجرح والتعديل (٥٥/٣) رقم ٢٤٩ ، تاريخ بغداد (١٤١/١-١٤٣) رقم ٣ ، أسد الغابة (١٨/٢-٢٣) رقم ١١٧٤ ، الإصابة (٣٣١/١-٣٣٤) رقم : ١٧٢٤ ، شذرات الذهب (٦٦/١) .

أمرنا بصيامه[١]، فقد صامه النبي صلى الله عليه وسلم وندب الناس إلى صيامه وقال : إنه يكفر السنة التي قبلها.

وفيما يلي من البحث نتطرق للحديث عن وسائل المقاومة واحدة بعد واحدة.

الوسيلة الأولى : المقاومة السلبية :-

أولى الوسائل التي اتخذها علماء المغرب السنة في مقاومة التيار الشيعي، الوسيلة السلبية، ونعني بها المقاطعة الجماعية التي قاطع بها علماء المغرب كل ماله صلة بالتشيع أو بالحكم القائم، وتمثلت تلك المقاطعة في مقاطعة قضاة الدولة وعمالها، ورفض من استطاع منهم دفع الضرائب لها[٢].

---

(١) روى البخاري في كتاب الصوم (باب : صيام يوم عاشوراء) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال : " ماهذا ؟ " قالوا : هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال : " فأنا أحق بموسى منكم " فصامه وأمر بصيامه "، انظر الفتح : (٤ / ٢٤٤) رقم الحديث : ٢٠٠٣، وأخرجه في كتاب التفسير أيضا في سورة يونس، الفتح (٨ / ٣٤٨) رقم الحديث : ٤٦٨٠، وهو عند مسلم في كتاب الصيام (باب صيام يوم عاشوراء) رقم ١١٣٠، صحيح مسلم (٢ / ٧٩٥-٧٩٦)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الصيام (باب صيام يوم عاشوراء) السنن (١ / ٥٥٢) رقم الحديث : ١٧٣٤.
وروى من حديث أبي موسى الأشعري عند مسلم في كتاب الصوم ولفظه : كان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود وتتخذه عيدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صوموه أنتم ".
وهو عند البخاري في كتاب الصيام (باب: صيام يوم عاشوراء) رقم : ٢٠٠٥، الفتح (٤ / ٢٤٤).

(٢) مقدمة حسين مؤنس على رياض النفوس (ص : ١٧).

ومن العلماء من اختار العزلة والاختفاء عن أعين بني عبيد ، وقد مر ذكر هذا الصنف من العلماء[١] .

ومن مظاهر هذه المقاومة مقاطعة حضور الجمعات التى كانت مناسبة للعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنابر " فتعطلت بذلك الجمعة دهرا بالقيروان "[٢] .

ومنهم من اكتفى بالدعاء عليهم كما كان يفعل الواعظ عبد الصمد[٣] وكما كان يفعل أبو اسحاق السبائى[٤] الزاهد إذا رقى رقْية يقول بعد الحمد لـه وسورة الاخلاص والمعوذتين : " وببغضي في عبيد الله وذريته وحبى فى نبيك وأصحابه وأهل بيته أشف كل من رقيته "[٥] .

ومن مظاهر المقاومة السلبية أيضا مقاطعة كل من يسير فى ركب السلطان واعتزاله وكل من كانت له صلة بهذا السلطان أو سعى إلى تبرير وجوده عملاً بقوله تعالى ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (سورة المجادلة : ٢٢) .

فهذا خلف بن أبي القاسم البراذعى (ت نحو ٤٠٠)[٦] ، نقم عليه فقهاء

---

(١) راجع ص : ٤٤٩ وما بعدها

(٢) انظر : البيان المغرب (٢٧٧/١) .

(٣) معالم الإيمان (٢٣٧/٣) .

(٤) ستأتي ترجمته ، انظر ص : ٤٨٥

(٥) معالم الإيمان (٧١/٣) .

(٦) هو أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدى البراذعي من كبار فقهاء المالكية بالقيروان ، أخذ عن ابن أبي زيد القيرواني والقابسى وغيرهما توفى نحو سنة ٤٠٠ هـ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٧٠٨/٤-٧٠٩) . تراجم المؤلفين التونسيين (١٠٢/١) .

القيروان صلته بملوك بنى عبيد وقبوله هدايا هم ، وتأليفه كتابا في تصحيح نسبهم (١) وزادت النقمة عليه عند ما وجدوا بخطه الثناء على بنى عبيد متمثلا ببيت الحطيئة (٢)
أُولَئِكَ قَوْمٌ إن بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا ، لذلك كله أفتى فقهاء القيروان بطرح كتبه وعدم قراءتها ، وإزاء ذلك اضطر هو إلى الهجرة إلى صقلية (٣) حيث حصلت له حظوة كبيرة عند أميرها (٤).

---

(١) لقد مر الحديث عن نسب بني عبيد فليراجع ، وعلماء السنة المغاربة كانوا يعتقدون بطلان صحة انتسابهم إلى آل البيت ، ويعتبرونهم مجوسا وقرامطة ولذلك دعوهم بالعبيد يين نسبة إلى عبيد الله مؤسس دولتهم ولم يدعوهم فاطميين نسبة إلى فاطمة كما يزعمون هم .

(٢) هو أبو مليكة جرول بن أوس بن جؤية بن مخزوم بن مالك ، والملقب بالحطيئة ، واختلفوا في سبب تلقيبه بالحطيئة إلى عدة أقوال ، عاش في الجاهلية والإسلام ، واختلف في زمن إسلامه ، فقيل : أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل بل في حياته ، ولكن رغم إسلامه فقد اتفقوا على أنه كان فاسد الدين واشترك مع المرتدين في حرب أبي بكر ثم حسن إسلامه بعد ذلك وشارك في معركة القادسية ، توفي نحو سنة ٥٤ هـ .
والبيت ورد في ديوانه بشرح ابن السكيت ، تحقيق نعمان أمين طه : ص (١٣٥) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
مصادر ترجمته : فوات الوفيات : (١ / ٢٧٦-٢٧٩) ، رقم ٩٦ ، الأغاني : (١ / ٤١) .

(٣) صقلية : بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا ، هي جزيرة مثلثة الشكل تقع مقابلة لتونس وهي جزيرة خصبة كثيرة المدن والقرى ، وبها عيون غزيرة وأنهار جارية ، كثيرة البساتين ، فتحها أسد بن الفرات أيام بني الأغلب سنة ٢١٢ هـ ، ثم غلب عليها الكفار بعد ذلك بمدة فهي بأيديهم إلى يومنا هذا .
انظر عنها : معجم البلدان (٣ / ٤١٦-٤١٩) .

(٤) انظر مصادر ترجمته .

وهذا إبراهيم بن حسن بن اسحاق القيرواني (ت ٤٤٣هـ)[١] هو الآخر امتحن بسبب فتواه في تقسيم الشيعة إلى قسمين :-

أحدهما : من يفضل عليا على غيره من الصحابة من غير سب لغيره فليس بكافر.

ثانيهما : من يفضله ويسب غيره فهو بمنزلة الكافر لا تحل مناكحته ، وقد أنكر عليه هذه الفتوى فقهاء المغرب وأرسلوا إليه أن يعاود النظر فيها ويرجع عنها وطلبوه أن يتوب عن فتواه فلم يفعل ، وان كان أظهر التوبة أمامهم ظاهرا .

والواقع أن فتواه صحيحة لا غبار عليها كما يقول القاضي عياض :"ولا امتراء عند كل منصف أن الحق ماقاله أبو إسحاق وأنه جرى على العلم وطريق الحكم. ومع هذا فما نقصه هذا عند أهل التحقيق ، ولا حَطّ من منصبه عند أهل التوفيق وإن رأى الجماعة في النازلة كان أسَدّ"[٢].

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) انظر ترتيب المدارك (٢/٧٦٧) .
وهذا التقسيم هو الذى كان عليه علماء المغرب المالكية فقد جاء في المعيار المعرب (٢/٣٤٤-٣٤٣) أن أهل البدع ينقسمون إلى قسمين : قسم منهما كفر صراح لا خفاء فيه " كقول الرافضة - لعنهم الله - إن عليا رضى الله عنه إله من دون الله ، وقول صنف آخر منهم إن عليا نبي مبعوث وأن جبريل عليه السلام غلط ، ومنهم من يفضل عليا ويطعن فى غيره من الصحابة .
أما النوع الثاني : فهو ضلال وزيغ عن الحق وعدول عن السنة والجماعة ، لا يطلق عليه كفر ولا على معتقده كافر، ومن هذا الصنف قول المختارية من الرافضة ، إن عليا إمام من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله . .
ومن هذا الصنف من يفضل عليا على الناس ولا يطعن على أبي بكر وعمر ، ويطعن على عثمان بأنه غَيَّرَ .
فهذه ومثلها كلها بدع خارجة عن رأى جماعة المسلمين ، ولا يمترى ذو حس فى خفتها عن التى قبلها ولا في كونها من غير جنسها".

هكذا كان أسلوب علماء المغرب مع كل من سولت له نفسه التقرب من بني عبيد أو مداراتهم ، ولو كانت تلك المداراة حقا ، وقد رأينا ـ قبل ـ كيف أنهم أفتوا بكفر من دخل فى دين بني عبيد ولو ظاهرا .

النوع الثاني فى المقاومة : المقاومة الجدلية :ـ

لقد كانت المقاومة الجدلية هى أقوى وأوسع أنواع المقاومة التى قام بها علماء السنة المغاربة ضد الشيعة المنحرفين ، وقد سطع فى سماء هذه المساجلات العلمية والمناظرات العقدية عدد كبير من العلماء ، كانوا لسان أهل السنة الناطق والذاب عن بيضة هذا الدين ، وسأحاول فى هذا المبحث أن أذكر أبرز الرجال الذين كانوا قائمين على هذا النوع من المقاومة .

فمنهم ابن البردون (ت ٢٩٩هـ)(١) الذى كان ـ كما ذكرت ـ قوي الحجة في الجدل ، لم يكن فى شبابه أحد أقوى على الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على المخالفين منه .

ومنهم الإمام محمد الرقادي القيروانى (ت ٣١٦هـ)(٢) الذى كان ـ هو الآخر ـ من أئمة هذا الشأن ، وكانت له فى هذا الميدان مقامات مشهودة ، ذب فيها عن مذهب أهل السنة .

وممن لمع نجمه أيضا فى سماء هذه المساجلات، عبد الله بن التبان (ت ٣٧١هـ)(٣)

---

(١) سبقت ترجمته . (٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن إسحاق بن التبان ، كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ضربت إليه أكباد الإبل من الأقطار لعلمه بالذب عن مذهب أهل السنة ، برع فى علوم شتى منها ، علوم القرآن والفقه والنحو واللغة والطب وكان مستجاب الدعوة . توفى رحمة الله عليه يوم الاثنين ، الثانى عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٧١هـ.
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/٥١٧-٥٢٤) ، الديباج المذهب: (١/٤٣١-٤٣٢) رقم: ١٢ ، شجرة النور الزكية (١/٩٥-٩٦) ، رقم : ٢٢٥ ، معالم الإيمان (٢/٨٨-٩٦) رقم: ٢٢٦ ، تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ (١/٢٠٢-٢٠٤) رقم: ٦٤ .

فقد كان هذا الإمام العظيم من أشد الناس على بني عبيد وأكثرهم مقاومة لهم، ومن مواقفه المشهورة التي ذكرتها له المصادر التي ترجمت له، أنه كان يوما في جمع من أصحابه وكان يوم عاشوراء، فلما رأى جمع بنى عبيد بكى، فقيل له: " مايبكيك "، فقال " والله ماأخشى عليهم الذنوب لأن مولاهم كريم، وإنما أخشى عليهم أن يشكوا في كفر بني عبيد فيدخلوا النار "(١).

وقد اشتهر بسبب مناظراته لبني عبيد، حتى ضربت إليه أكباد الإبل من الأمصار المختلفة لعلمه بالذب عن مذهب أهل السنة، وقد حفظت لنا كتب التراجم بعضا من هذه المناظرات، نذكر منها مانقله صاحب المعالم(٢) أنهم سألوه مرة ـ أثناء مناظرة له معهم ـ " أيما أفضل فاطمة(٣) أم عائشة(٤) ـ رضي الله عنهما ـ فقال: عائشة. وذلك لأمرين اثنين.

---

(١) معالم الإيمان (٣/ ٩١).

(٢) نفس المصدر (٣/ ٩٣).

(٣) هي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها، سيدة نساء العالمين في زمانها، البضعة النبوية، أم أبيها. وأم الحسنين، القرشية الهاشمية، مولدها قبل المبعث بقليل، وتزوجها الإمام علي في ذي القعدة من سنة اثنتين بعد وقعة بدر فولدت له الحسن والحسين ومحسنا وأم كلثوم وزينب.
كان النبي يحبها ويكرمها، ومناقبها كثيرة لاتحصى، توفيت ـ رضي الله عنها ـ بعد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر وعاشت أربعا أو خمسا وعشرين سنة، وقيل تسعا وعشرين.
مصادر ترجمتها: حلية الأولياء (٢/ ٣٩-٤٣) رقم: ١٣٣، الاستيعاب: (٤/ ٨٩٣-٨٩٩) رقم: ٤٠٥٧، أسد الغابة (٧/ ٢٢٠-٢٢٦) رقم ٧١٧٥ تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٠-٤٤٢) رقم: ٢٨٦١، شذرات الذهب: (١/ ٩-١٥)، الاصابة (٤/ ٣٦٥-٣٦٨) رقم: ٨٣٠.

(٤) مرت ترجمتها.

الأمر الأول : أن عائشة اذا مات عنها زوجها فلا يجوز أن تتزوج غيره بعده أبدا ،
بينما فاطمة لها أن تتزوج عشرين بعده .

الثاني : فلأنها مع النبى صلى الله عليه وسلم فى منزلته يوم القيامة ، وفاطمة مع على ـ رضي الله عنهما ـ فى منزلته يوم القيامة ، ودرجة النبى صلى الله عليه وسلم أعلى من درجة على ـ رضي الله عنه ـ. (١)

وكان هذا الإمام فضلا عن براعته فى الجدل والمناظرة ، شجاعا مقداما

---

(١) انظر : معالم الإيمان (٣/٩٣) .
ولكن هذا الكلام أو هذا الدليل إن كان يصدق على فاطمة ـ رضي الله عنها ـ على خلاف بين العلماء فى أيهما أفضل فإنه لا يصدق على الخلفاء الراشدين وبقية العشرة على الرغم من أنها أعلى منهم درجة يوم القيامة ، وهو قول أهل السنة والجماعة ، ولم يشذ غير ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قدم نساء النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الصحابة حيث قال في الفصل (٤/٢٠٩) : " وسقط بالبرهان الواضح أن يكون أحد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ خيرا من أبي بكر إلا أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونساؤه . ووضح لنا أننا لو قلنا : انه إجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق " .
وقد تعقبه ابن تيميه ـ رحمه الله تعالى ـ في مجموع فتاويه (٤/٣٩٥) منفذا هذه الشبهة بقوله : " وأما نساء النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقل : أنهن أفضل من العشرة إلا محمد بن حزم ، وهو قول شاذ لم يسبقه إليه أحد ، وحجته التي احتج بها فاسدة فإنه احتج على ذلك بأن المرأة مع زوجها في الجنة ، ودرجة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعلى الدرجات فيكون أزواجه في درجاته " قال :" وهذا يوجب أن يكون أزواجه أفضل من الأنبياء جميعهم " أهـ.

لا يهاب الموت من ذلك ماذكره المالكى[١] والدباغ[٢] من أن عبد الله المعروف بالمحتال ، صاحب القيروان[٣] قد شدد فى طلب العلماء ، فاجتمعوا بدار ابن أبى زيد القيروانى فقال لهم ابن التبان : " أنا أمضى إليه أبيع روحي من الله دونكم لأنه إن أتى عليكم وقع على الاسلام وهن عظيم "[٤] وفعلا ذهب إليه وأقام عليه الحجة هو وجماعته الذين جاء بهم ليناظروه .

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ، ولد فى أوائل القرن الخامس الهجرى وأخذ عن علماء عصره ، منهم : أبو عبد الله الحسين بن أبى العباس الأجدابي وأبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولانى وغيرهما ، ومن تلامذته المشاهير : الإمام المازرى صاحب المعلم (مرت ترجمته) أقام مدة فى صقلية يدرس ثم انتقل إلى القيروان وتوفى بها سنة ٤٧٤ هـ ، وقيل غير ذلك .

مصادر ترجمته : شجرة النور الزكية (١٠٨/١) ، معجم المؤلفين : (١٢٩/٦) ، وانظر مقدمة رياض النفوس (١٨/١-١٩) .

(٢) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن على الأنصارى الأوسى الأسيدى المعروف بالدباغ من ولد أسد بن مضير الأشهلى . المحدث الفقيه الصوفى المؤرخ ، ولد بالقيروان فى ذى الحجة سنة ٦٠٥ هـ ، وأخذ العلم عن القاضي أبى زكريا يحى البرقى المهدوى ، والقاضى عبد الجليل الأزدى وغيرهما ، كان معتنيا بالآثار جامعا لها . له عدة مصنفات ممتعة منها (جلاء الأفكار فى مناقب الأنصار) ، (معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان) وغيرهما ، توفى بالقيروان سنة ٦٩٩ هـ .

مصادر ترجمته : تذكرة الحفاظ (١٤٨٩/٤) ، برنامج الوادى آشى : (ص ٦٠ - ٦١) ، رقم : ٢٣ ، شجرة النور الزكية (١٩٣/١) رقم: ٦٥١ تراجم المؤلفين التونسيين (٢٨٨/٢-٢٩٢) ، رقم : ١٨١ .

(٣) أحد عمال دولة بني عبيد .

(٤) معالم الايمان (١١٣/٣) .

وبعد أن هزمهم فى مجلس المناظرة لم يخجلهم أن يعرضوا عليه أن يدخل فى نحلتهم ، ولكنه أبى وقال :" شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه ويرد على اثنتين وسبعين فرقة يقال له هذا ؟ لو نشرتموني في اثنتين مافارقت مذهبي"[1]

ولما خرج من عندهم بعد يأسهم منه تبعه أعوان الدولة الظالمة وسيوفهم مسلطة عليه ليخاف من يراه من الناس على تلك الحال فإذا به وهو تحت الضغط يهدي الناس ويقدم لهم النصيحة ويقول لهم دون خوف ولا وجل " تشبثوا ، ليس بينكم وبين الله إلا الإسلام فإن فارقتموه هلكتم"[2].

ومنهم الإمام عمرو بن هارون الوراق (ت ٣٧٩هـ)[3] ، فقد كان هو الآخر فارسا من فرسان هذا الميدان ، ونجما ساطعا في سماء هذه المساجلات ، وكان هذا الفن من فنون العلم أكثر علمه .

إلا أن بطل هذه المساجلات بلا منازع وفارس حلقتها بلا مدافع ، هو الإمام أبو عثمان سعيد بن الحداد (ت ٣٠٢هـ)[4] لسان أهل السنة وابن حنبل المغرب حتى قال عنه السلمي[5] صاحب طبقات الصوفية :" كان فقيها صالحا فصيحا متعبدا أوحد زمانه في المناظرة والرد على الفرق"[6].

---

(١) معالم الإيمان (١١٥/٣) .

(٢) معالم الإيمان (١١٥/٣) .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) هو : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي ، ولد سنة ٣٣٢هـ قال عنه الذهبي :" شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . قيل : كان يضع الأحاديث للصوفية " له عدة مصنفات منها " حقائق التفسير" طبقات الصوفية ، توفى سنة ٤١٢هـ .
مصادر ترجمته : ميزان الاعتدال (٥٢٣/٣-٥٢٤) رقم : ٧٤١٩ ، تاريخ بغداد (٢٤٨/٢-٢٤٩) ، رقم ٧١٧ ، اللباب لابن الأثير (١٢١/٢-١٣٠) لسان الميزان (١٤٠/٥-١٤١) ، رقم ٤٦٦ .

(٦)

ويقول عنه الخشني [١]: " كان يرد على أهل البدع المخالفين للسنة وله في ذلك مقامات مشهودة وآثار محمودة ناب عن المسلمين فيها أحسن مناب حتى مثله أهل القيروان بأحمد بن حنبل " [٢].

وقال عنه المالكي [٣]: " وكانت له مقامات في الدين مع الكفرة المارقين أبي عبد الله الشيعي وأبي العباس أخيه وعبيد الله - لعنة الله عليهم - [٤] أبان فيه كفرهم وزندقتهم وتعطيلهم " [٥].

وقال عنه أبو الأسود موسى القطان [٦]: " لو سمعتم سعيد بن محمد في تلك المحافل - يعني مناظرته للشيعة - وقد اجتمع له جهارة الصوت وفخامة المنطق وفصاحة اللسان وصواب المعاني لتمنيتم ألا يسكت " [٧].

وكان هذا الإمام مهجورا من قبل المالكية لكونه كان يتهكم عليهم ويسمي مدونة سحنون " بالمدودة " إلا أن مناظراته للشيعة ودحضه لشبهاتهم، ردت إليه اعتباره وأصبح أكثر من نار على علم في الشهرة والمنزلة العالية ،لقد دعي هذا

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) طبقات الخشني (ص : ١٩٩) ، معالم الإيمان (٢/٣٠٩) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) ثلاثتهم سبقت ترجمتهم .

(٥) رياض النفوس (٢/٧٥) .

(٦) هو الإمام أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن القطان . سمع من محمد ابن سحنون وأبي العرب وغيرهما ، كان فقيها حافظا بارع الحفظ ثبتا صالحا . توفي رحمه الله سنة ٣٠٦ هـ وعمره ٧٤ سنه .
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٢/٣٣٥-٣٣٩) رقم : ١٦٥ .

(٧) معالم الإيمان (٢/٣٠٩) .

الإمام لمناظرة الشيعة وعقدت بينه وبينهم مناظرات عديدة ، ذكرها المالكي في " رياض النفوس" والخشني " في طبقاته " وغيرهما .

والسبب في هذه المناظرات أن بني عبيد لما ملكوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد وأجبروا الناس على مذهبهم بطريقة المناظرة وإقامة الحجة والقتل ، فارتاع أهل البلد من ذلك ولجأوا إلى أبي سعيد وسألوه التقية فأبى وقال :" قد أربيت على التسعين ، ومالي في العيش حاجة ولا بد لي من المناظرة عن الدين ، وأن أبلغ في ذلك عذرا ، ففعل وصدق ، وكان هو المعتمد عليه بعد الله تعالى في مناظرة الشيعة .(١)

وكانت هذه المجالس تنقسم إلى قسمين : مجالس عامة يشترك فيها عدد كبير من علماء السنة ، على اختلاف مذاهبهم الفقهية لمناظرة الشيعة ، وعلى الرغم مما كان بين هؤلاء العلماء من حساسيات وخصومات بسبب اختلاف مذاهبهم الفقهية ، إلا أن هذه المجالس شهدت وحدة كلمتهم ، وأزالت كل ماكان بينهم من اختلافات حتى قال المقدسي (٢) في أحسن التقاسيم (٣) وكان قد زار المغرب: " وليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية قد أقبلوا على مايعنيهم وارتفع الغل من قلوبهم " ، ومن ذلك ماكان بين ابن الحداد وابن عبدون (ت: ٢٩٩هـ) (٤) من هجران ، وذلك لأن ابن عبدون كان قد حبس ابن الحداد

---

(١) معالم الإيمان (٢/ ٢٩٨) .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) (ص : ٢٣٥) .

(٤) هو : أبو العباس محمد بن عبد الله بن عبدون الرعيني بالولاء ، الحنفي ، ويعرف بابن عبدون ، فقيه أصولي ، تولى قضاء القيروان ، توفي سنة ٢٩٩هـ. مصادر ترجمته : تاج التراجم (ص : ٦٣) ، رقم ١٨٨ ، معجم المؤلفين : (١٠/ ٢٢٥) ، كشف الظنون (١٥ ، ١١٩) طبقات الخشني (ص ٢٣٧) .

أيام توليه القضاء ، يقول المالكي[١] : " وكان أبو عثمان مهاجرا لابن عبدون وذلك أنه حبسه إبان قضائه ، فقال ابن عبدون لابن الحداد تقدم ياأبا عثمان ، فلم يجبه ، فقال له : تقدم فليس هذا وقت مهاجرة ، فلسانك سيف الله ، وصدرك خزانة الله ، وإنما أراد بذلك ابن عبدون أن يحرضه على مناظرة الشيعي ".

وأما القسم الثانى من هذه المجالس ، فهو المجالس الخاصة التى كان يحضرها رجل واحد من أهل السنة ، وكان هذا الرجل هو الإمام ابن الحداد ورجل من الشيعة هو أبو عبد الله الشيعي أو أخوه أبو العباس .

مواضيع هذه المجالس :-

والمواضيع التى كانت تدور حولها هذه المجالس وهذه المناظرات معروفه وهي المواضيع التى لايزال الخلاف فيها قائما بين أهل السنة والشيعة إلى يومنا هذا ، فالشيعة يحاولون جاهدين إثباتها ويحشدون الأدلة والبراهين لها ، وأهل السنة والجماعة ينفونها ويفندون تلك الأدلة والحجج .

هذه المواضيع كانت كلها تتركز حول إمامة علي - رضي الله عنه - وإمامة المفضول مع وجود الفاضل ، وصلاة التراويح ونكاح المتعة والتقية وغير ذلك من المواضيع التي يسعى الشيعة جاهدين من أجل فرضها وإثباتها .

ولقد كانت تلك المجالس كثيرة قدرها بعضهم بأربعين مجلسا ، والذى نقل إلينا لايعدو مجالس معدودة ، وسأكتفى هنا ، بنقل مقتطفات من هذه المجالس تخدم بحثنا وتفي بالغرض والمقصود من نقلها .

وللعلم ، أذكر هنا أن هذه المجالس كانت تدور أحداثها فى بيت الحكمة[٢] التى كان الأغالبة أنشؤوها لتدريس الفلسفة والعلوم العقلية الأخرى .

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) يأتي الحديث عن بيت الحكمة عند الحديث عن مقاومة الفلسفة

ذكر المجالس ومواضيعها [1] :ـ

أول هذه المجالس كما يذكر ذلك صاحب المعالم ، يدور حول التفاضل بين أبي بكر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ .

فبعد الاجتماع بين ابن الحداد وأبي عبد الله الشيعي ، سأل أبو عبد الله الشيعي ابن الحداد : أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم ـ يعني بأصحاب الكساء : محمدا صلى الله عليه وسلم وعليا وفاطمة والحسن والحسين ـ رضي الله عنهم ـ [2] ويعني بغيرهم : أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ فقال أبو عثمان أيما أفضل ؟ خمسة سادسهم جبريل ـ عليه السلام ـ أو اثنان الله ثالثهما [3] ؟ فبهت الشيعي .

---

(١) انظر هذه المجالس في معالم الإيمان (٢/٢٩٨) ومابعدها ، طبقات الحشني (ص : ١٩٨) ومابعدها ، رياض النفوس (٢/٥٩) ومابعدها .

(٢) أصحاب الكساء المقصود منهم : النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين ـ رضي الله عنهم ـ ، فعن أم سلمة : أن النبي صلى الله عليه وسلم جلل حسنا وحسينا وفاطمة وعليا بكساء ثم قال : " اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " .
هذا الحديث صحيح بطرقه وشواهده ـ وقد رواه أحمد في المسند : (٦/٢٩٨، ٣٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (٣/٤٧) رقم ٢٦٦٤ ، ٢٦٦٥ ، ٢٦٦٦ ، والطبري في تفسيره (٢٢/٦٧) .
وأخرجه الترمذي رقم : ٣٢٠٥ ، ٣٧٨٧ في كتاب التفسير (باب : ومن سورة الأحزاب) (٥/٣٥١) ، (٥/٦٦٣) ، وفي الباب عن عائشة عند مسلم في فضائل الصحابة (باب فضائل أهل البيت) رقم : ٢٤٢٤ .
وأخرجه الحاكم (٣/١٤٧) وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) فيه اشارة الى قوله تعالى في قصة الهجرة التي كان فيها أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار والتي نزل فيها قوله تعالى * إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ... * (سورة التوبة : ٤٠) .

مناظرة أخرى حول موالاة على ـ رضي الله عنه ـ :

في هذه المناظرة أراد عبيد الله الشيعي أن يثبت أن الموالاة فى قوله عليه الصلاة والسلام :" من كنت مولاه فعلي مولاه "(١) بمعنى العبودية.
قال له : " فما بال الناس لا يكونون عبيدا لنا "؟(٢)

فقال ابن الحداد : " لم يرد ولاية رق وإنما أراد ولاية الدين ، ونزع بقوله تعالى : ﴿ مَاكَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ النَّاسِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ، أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾. (سورة آل عمران : ٧٩ ، ٨٠) ، قال : فما لم يجعله الله لنبي لم يجعله لغير نبي ، وعلى ـ رضي الله عنه ـ لم يكن نبيا وإنما كان وزيرا للنبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى جامعه في أبواب المناقب (باب مناقب علي) عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم ، وقال : هذا الحديث حسن غريب . انظر : تحفة الأحوذى (١٠/٢١٥) رقم : ٣٧٩٧ .
وأخرجه أحمد في مواضع من مسنده . انظر على سبيل المثال : (٤/٢٨١ ، ٣٦٨) .
قال الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/٤١٨) بعد ذكر هذا الحديث :" فمن أهل الحديث من طعن فيه كالبخارى وغيره ، ومنهم من حسنه ، فإن كان قاله فلم يرد ولاية مختصا بها بل ولاية مشتركة وهى ولاية الإيمان التى للمؤمنين ، والموالاة ضد المعاداة ، ولا ريب أنه يجب موالاة المؤمنين على سواهم ففيه رد على النواصب " .

مناظرة أخرى حول قيام رمضان (التراويح) :-

في هذه المناظرة يريد الشيعة أن يقنعوا أهل السنة بأن صلاة التراويح بدعة ابتدعها عمر - رضي الله عنه - والنبي صلى الله عليه وسلم قال :" إن كل بدعة ضلالة "(١)، ولهذا جمع عبد الله بن عمرو المروزي(٢) علماء السنة وقال لهم : إني أمرت أن أناظركم في قيام رمضان فإن وجبت لكم حجة رجعنا إليكم وإن وجبت لنا رجعتم الينا .

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد : فقلت له :" ماتحتاج إلى المناظرة".

فقال :" لابد منها ".

فقال أبو عثمان سعيد بن الحداد : " فقلت له :" شأنك وماتريد " .

فقال :" ألستم تعلمون وتروون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم الا ليلة واحدة وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي استن القيام"(٣).

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) قلت : إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لم يسن قيام رمضان ، لأن قيامه كان موجودا قبل ذلك ، فقد قامه النبي صلى الله عليه وسلم وندب المسلمين إلى قيامه فقال عليه الصلاة والسلام :" من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه "، أخرجه البخاري في كتاب التراويح (باب فضل من قام رمضان) رقم ٢٠٠٩) ، فتح الباري : (٤/ ٢٥٠-٢٥١) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح) رقم : ٧٥٩ ، صحيح مسلم (١/ ٥٢٣) وروى الإمام مالك في موطئه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :" كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة ثم يقول : من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر انظر الموطأ (١/ ١١٣) رقم الحديث : ٢ ، في كتاب الصلاة في رمضان (باب الترغيب في الصلاة في رمضان) .

==

. . . .

== وانظر مسلم (٥٢٣/١) رقم ٧٥٩ ، وأبو داود (١٠٢/٢) رقم: ١٣٧١ الطبعة الأولى (١٩٦٩/١٣٨٩) ، أشرف على طبعه محمد رفيق السيد ، وهو عند الترمذي في كتاب الصوم (باب الترغيب في الصوم وماجاء فيه من الفضل) رقم ٨٠٨ ، سنن الترمذي (١٦٢/٣) ، وثبت أن الناس كانوا يقومون رمضان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وحتى جمع الناس على قارئ واحد ، وقيامهم جماعة ، لم يكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه مبتدعا بل كان متبعا ، لأنه ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قام رمضان وقام الناس بقيامه ثلاثة أيام ولم ينكر عليهم ذلك ، ثم ترك ذلك خشية أن تفرض عليهم ، ففي الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى وصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع أكثر منهم ، فصلى فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى صلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفق رجال يقولون : الصلاة ، فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر ، أقبل على الناس فتشهد ثم قال : " أما بعد ، فإنه لم يخف عَلَيَّ مكانكم ، ولكن خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها " فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك ، وذلك في رمضان ".

وفي كتاب صلاة التراويح (باب : فضل من قام رمضان) الفتح : (٢٥١/٤) رقم : ٢٠١٢ وهو في سنن أبي داود في كتاب تفريع أبواب شهر رمضان (باب في قيام شهر رمضان) (١٠٤/٢) رقم ١٣٧٤ .

فهذا الحديث يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما ترك القيام في رمضان جماعة خشية أن تفرض عليهم ، وبقي الأمر على الترك حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم وفي خلافة أبي بكر رضي الله عنه وصدر من خلافة عمر - رضي الله عنه - فلما رأى عمر الناس يقومون رمضان ==

....

== أوزاعا متفرقين عزم على جمعهم على رجل واحد ،ففي الموطأ في كتاب الصلاة في رمضان (باب ماجاء في قيام رمضان) عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال ، خرجت مع عمر ليلة من رمضان إلى المسجد ، فاذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط . فقال عمر - رضى الله عنه - : إني لأرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أُبيٍّ ابن كعب - رضي الله عنه - ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر: نعمت البدعة هذه . والتي تنامون عنها أفضل من التى تقومون يريد بذلك آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله ".

انظر: الموطأ (١/ ١١٤) وهو عند البخارى في كتاب صلاة التراويح (باب : فضل من قام رمضان) الفتح (٤/ ٢٥٠) رقم : ٢٠١٠ ، وقول عمر - رضي الله عنه - " نعمت البدعة " المقصود منها البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية التي تعنى الضلالة التى تفعل بغير دليل شرعي . ولو كان فعل عمر بدعة لما وافقه عليه الصحابة رضي الله عنهم حتى أن عليا - رضى الله عنه - قال فى خلافته : نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا ، وكان - رضي الله عنه - يأمر الناس بقيام رمضان ويجعل للرجال إماما وللنساء إماما ". انظر البيهقى فى السنن (٢/ ٤٩٤).

ومن هنا قال العلماء " إن أصل قيام رمضان ثبت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ". انظر الحوادث والبدع للطرطوشى ص : ١٣٢ .

ويقول ابن التين وغيره : استنبط عمر من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم من صلى معه فى تلك الليالي ، وإن كان النبى كره ذلك فإنما كرهه خشية أن يفرض عليهم ، وقال ابن بطال : قيام رمضان سنة ، لأن عمر إنما أخذه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم . وإنما تركه النبى خشية الافتراض .

انظر: الفتح (١٣/ ٢٥٤). ==

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد : فقلت :" هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل ويذم من تركها ،فقال : وأين تجد ذلك في كتاب الله عز وجل ؟ .

قال ابن الحداد : قلت في قوله تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (الحديد : ٢٧) فنحن نثابر على هذه البدعة التي هي رهبانية لئلا يذمنا الله عز وجل كما ذمهم ".

مناظرة أخرى حول القياس وحد شارب الخمر :-

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد : قال أبو عبد الله الشيعي :" من أين قلتم بالقياس "؟.

قال أبو عثمان : قلنا ذلك من كتاب الله عز وجل .

قال : فأين تجد ذلك ؟ قال : قال الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ (المائدة : ٩٥) ،فالصيد معلومة عينه ، والجزاء الذى أمرنا أن نمثله بالصيد المعلوم عينه ليس بمنصوص فعلمنا بذلك أن الله تعالى إنما أمرنا أن نمثل مالم ينص ذكر عينه بالقياس والاجتهاد .

== وعلى فرض أن عمر هو أول من سن القيام،فإن ذلك لا يدخل في نطاق البدعة لقوله عليه الصلاة والسلام " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى " سبق تخريج هذا الحديث .

هذا وانظر حول هذا الموضوع أيضا : منهاج السنة (٨/ ٣٠٤-٣١٠) ، الاستذكار لابن عبد البر (٢/ ٣٣٢) .

ومنه قوله تعالى : * يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ * الآية ،فلم يكله إلى حاكم واحد حتى جعلهما الله اثنين ليقيسا ويجتهدا.[(١)]

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد : ثم عطف (أي أبو عبد الله الشيعي) على أبي الأسود موسى[(٢)] بن عبد الرحمن القطان ،فقال له : أين وجدتم حد الخمر في كتاب الله عز وجل ؟.

فقال له موسى القطان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من شربها فاضربوه بالأردية ثم إن عاد فاضربوه بالأيدى ثم إن عاد فاضربوه بالجريد"[(٣)].

فقال له أبو عبد الله الشيعي -على النكير منه- أين هذا ؟ أقول لكم: أين وجدتم حد الخمر فى كتاب الله تعالى تقول : اضربوه بالأردية ثم بالأيدى ثم بالجريد ؟

فقال أبو عثمان سعيد بن الحداد : فقلت له . إنما أخذ قياسا على حد القاذف ،لأنه إذا شرب سكر واذا سكر هذى ،واذا هذى افترى فوجب عليه

---

(١) معالم الإيمان (٣٠٣/٢) ، (٢) مرت ترجمته .

(٣) الحديث بهذا اللفظ لم أعثر عليه فى كتب الحديث التى بحثت فيها ، ولكن وردت أحاديث فيها ذكر للجريد والنعال فى حد الشارب ، مثل الحديث الذى أخرجه البخارى في الحدود (باب ماجاء في ضرب شارب الخمر بالجريد والنعال) رقم ٦٧٧٣ ، ٦٧٧٦ ،الفتح (٦٣/١٢ ،٦٦) ومسلم فى الحدود (باب حد الخمر) رقم ١٧٠٦ ،والترمذى في الحدود: (باب ماجاء فى حد السكران) رقم ١٣٤٣ ،وأبو داود في الحدود (باب حد الخمر)رقم ٤٤٧٩ من حديث أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخمر بالجريد والنعال ".

والحديث الذى أخرجه البخارى فى الحدود (باب الضرب بالجريد والنعال) رقم ٦٧٧٩ ،الفتح (٦٦/١٢) من حديث السائب بن يزيد أنه قال : " كنا نؤتى بالشارب على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وامرة أبي بكر وصدر من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى كان آخر امرة عمر فجلد أربعين حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين ".

مايؤول أمره اليه وهو حد القذف .[(١)]

مناظرة أخرى حول ولاية المفضول مع وجود الفاضل ومبدأ النص والاختيار:

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد : قال لي أبو العباس الشيعي (أخو أبي عبد الله الشيعي)[(٢)]: " أليس قولك إجازة تقديم المفضول على الفاضل .

---

(١) هذا القياس قاسه الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ ففي الموطأ في كتاب الأشربة (باب الحد في الخمر) من طريق ثور بن زيد الديلي أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر يشربها الرجل فقال له علي : نرى أن تجلده ثمانين فإنه اذا شرب سكر واذا سكر هذى واذا هذى افترى ،فجلد عمر في الخمر ثمانين " (. انظر الموطأ : (٢/٨٤٢) ، رقم الحديث :٢) .
لكن هذا الحديث في صحته نظر ـ كما يقول ابن حجر ـ " لما ثبت في الصحيحين عن أنس أن النبي جلد في الخمر بالجريد والنعال ، وجلد أبو بكر أربعين فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف : أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر ـ رضي الله عنه ـ.
قال : ولا يقال : يحتمل أن يكون عبد الرحمن وعلي أشارا بذلك جميعا لما ثبت في صحيح مسلم (رقم ١٧٠٧) من طريق حضين بن المنذر قال : شهدت عثمان بن عفان وأتى بالوليد بن عقبة قد صلى الصبح ركعتين ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أحدهما : حمران أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقيأ ،فقال عثمان : إنه لم يتقيأ حتى شربها ،فقال : ياعلي قم فاجلده فقال علي :قم ياحسن (لابنه) فاجلده . فقال الحسن : ول حارها من تولى قارها فكأنه وجد عليه . فقال : قم ياعبد الله بن جعفر فاجلده فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال : امسك ثم قال : جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين وجلد أبو بكر أربعين وجلد عمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب الي " .
انظر: كلام ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/٧٥) .

(٢) مرت الترجمة لهما .

فقلت أعزك الله بتوفيقه ،أنا متبع في ذلك لكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وذلك لا يخفى على ذى لب نظر في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعدوهما إلى غيرهما.(١)

قال لي ،وأين تجد ذلك في كتاب الله ؟ قلت ،قال الله تعالى : * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً ،قَالُوا :أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ،قَالَ :إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ * (البقرة : ٢٤٧).

فقال عند ذلك كالمغضب : ليس القصة كما توهمت .

فقلت له : والأمر الذى لم أتوهمه وفيه الحق عندك هل إلى ذكره من سبيل ؟

فقال : نعم ،ذكرت خبر طالوت واحتججت فيه بقول نبيهم ؟

---

(١) طبعا ، جواب الشيخ أبي عثمان هنا فرضي إلزامي ،مجاراة للخصم، وليس حقيقيا ،أى على فرض التسليم بأن عليا أفضل من أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ كما تقول الشيعة ، فالجواب كذا وكذا ،لأن أهل السنة متفقون على أفضلية أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ على سائر الصحابة ثم يليه فى الفضل عمر ثم عثمان ثم على ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وإنما وقع الخلاف من بعضهم فى على وعثمان ، وبعضهم توقف ، والصحيح كما يقول الإمام القرطبي :إن فضلهم حسب ترتيبهم فى الخلافة حيث يقول : "فالمقطوع به بين أهل السنة بأفضلية أبى بكر وعمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما ،فالجمهور على تقديم عثمان ، وعن مالك التوقف ،والمسألة اجتهادية ومستندها أن هؤلاء الأربعة اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه وإقامة الدين فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم فى الخلافة ،والله أعلم . انظر : كلام القرطبي هذا فى فتح البارى (٧/ ٣٤) نقلا عن المفهم فى شرح مسلم للقرطبي .

فقلت له ، قال الله ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ فلما كان خروج طالوت من فوق إذن نبيهم ثبت أن الله قدم المفضول على الفاضل إذ كنا لا نشك نحن ومن خالفنا أن نبيهم أفضل من طالوت ، وطالوت هو المفضول ، فقال لي : وهكذا اعتقادك ؟ فقلت : نعم أيها الأمير ، فقال : إنما كان خروج طالوت من تحت يدي نبيهم ، لا كما توهمت أنه من فوق إذنه لأن نبيهم هو الذي أخبرهم أن طالوت مقدم على الجيش فلما كان هذا هكذا كان الفاضل بعد هو المفضول ، فقد تبين فساد قولك وتناقضه .

قال أبو عثمان سعيد بن الحداد : فقلت له : نفس الآية شاهد ولا تكون الحجة من غيرها وذلك أن الله أخبر عن نبيهم أنه قال لهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ الآية ، ولم يقل : إني بعثته لكم ، فلما جاء الخبر من نبيهم وأضافه إلى الله تعالى لا إلى نفسه وجب بهذا أن أمر طالوت من فوق إذن نبيهم وكذلك قالت الآية .

قال : ثم قلت : وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر فيها إلى تقديم المفضول على الفاضل وهو مالا ينكره أحد . من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَمَّرَ على جيشٍ عَمْرَو بن العاص فكان يقسم الفيء ويأمر وينهى فيطاع ، ويصلي لهم الصلوات ويشاورونه ويستأذنونه في جميع شأنهم ، وتحت يديه في الجيش أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ (١) وهما جميعا أفضل منه ، ولا يشك في ذلك أحد .

---

(١) كان ذلك في غزوة ذات السلاسل ، وهي تقع وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام وكانت الغزوة في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة وقيل غير ذلك ، وكان من خبرها أن جماعة من قضاعة يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فعقد له لواء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار انظر عنها : ابن سعد (٢/١٣١) ، فتح الباري (٨/٧٤) .

وأيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمَّرَ على جُيْشٍ زَيْدَ بْنَ حَارِثَة [١] ـ رضى الله عنه ـ فكان يفعل في ذلك وفيمن تحت يديه من المسلمين كفعل عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ فيمن تحت يديه من المسلمين ، وتحت يديه من الجيش جعفر بن أبي طالب [٢] ـ رضي الله عنه ـ وهو أفضل من زيد بن حارثة ، فلما ثبت عندنا وقام مقام العيان جاز للأمة تقديم المفضول على الفاضل [٣].

---

(١) هو : أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان قد أصابه سباء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فوهبته له ، فتبناه قبل النبوة ، ثم أبطل الله هذا التبني بقوله * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ *. وكان أول من أسلم مع خديجة ، شهد بدرا والمشاهد واستشهد يوم مؤتة من أرض الشام سنة ثمان .
مصادر ترجمته : الاستيعاب بمعرفة الأصحاب (٥٤٢/٢-٥٤٧) رقم ٨٤٣٠ ، الإصابة (٥٤٥/١-٥٤٧) ، رقم : ٢٨٩١ ، أسد الغابة : (٢٨١/٢-٢٨٤) ، رقم : ١٨٢٩ .

(٢) هو : جعفر بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، أبو عبد الله ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد السابقين الى الإسلام ، وأخو علي رضي الله عنه ، أسلم بعد خمسة وعشرين رجلا ، هاجر إلى الحبشة وأسلم النجاشي ومن معه على يديه ، وأقام عنده حتى هاجر النبي إلى المدينة ، فلحقه ، والنبي بخيبر ، استشهد رضي الله عنه بمؤته من أرض الشام مجاهدا للروم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان وكان سنه أربعين سنة .
مصادر ترجمته : الإصابة (٢٣٩/١-٢٤٠) ، رقم ١١٦٦ ، أسد الغابة : (٣٤١/١-٣٤٤) رقم : ٧٥٩ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : (٢٤٢/١-٢٤٥) رقم : ٣٢٧ .

(٣) قصة تأمير زيد بن حارثة كانت يوم مؤته التي كان فيها زيد بن حارثة أميرا ، وفي الجيش جعفر بن أبي طالب الطيار ـ رضي الله عنه ـ وعبد الله بن رواحه وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ، حمل الراية زيد بن حارثة ، فلما استشهد حملها جعفر بن أبي طالب ، فلما استشهد حملها عبد الله ==

هذه بعض المناظرات التى وقعت بين علماء السنة والشيعة ، وهي جزء صغير من مجموع المناظرات التي دارت بين الفريقين ، ومن أراد أن يطلع عليها فعليه بكتاب القوى السنية في المغرب للدكتور محمد أحمد عبد المؤلى ، فقد فصل القول في هذه المناظرات وقسمها إلى قسمين : المناظرات العقدية ، والمناظرات الفقهية والمناظرات المشتركة والمناظرات الخاصة.(١)

النوع الثالث من المقاومة : المقاومة المسلحة :-

لم يكتف علماء المغرب بالمقاومة السلبية والمقاومة الجدلية ، بل منهم من حمل السلاح وخرج ليقاتلهم فهذا جبلة بن حمود الصدفي(٢) ترك سكنى الرباط ونزل القيروان ، فلما كلم فى ذلك قال : " كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل هذا العدو بساحتنا ، وهو أشد علينا من ذلك وقال : " جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك "(٣) ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ (سورة التوبة : ١٢٣) .

ومنهم الامام أبو القاسم الحسن بن مفرج (ت ٣٠٩هـ)(٤) الذى كان من أوائل

== بن رواحة ، فلما استشهد حمل الراية خالد بن الوليد - رضي الله عنه - وانسحب بالجيش بذكائه ونجى الله على يديه الجيش المسلم من كارثة محققة .

عن هذه الغزوة ينظر : (كتاب الاكتفاء في مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء) لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسى (٢/٢٧٥ ومابعدها ، تحقيق : د . مصطفى عبد الواحد ، مكتبة الخانجى (١٣٨٩هـ/١٩٧٠م)

(١) الجزء الأول من الكتاب (ص ٢٣١ - ٢٦٦) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) معالم الإيمان (٢/١٨٥) .

(٤) اختلف فى اسمه ، فالخشني يسميه (أبو القاسم مولى مهريه) والمالكى فى رياض النفوس سماه (أبو القاسم بن مفرج) والقاضي عياض يسميه (أبو القاسم حسين بن مفرج مولى مهرية بنت الأغلب) وابن عذارى (أبو علي حسن بن ==

من خرج على الشيعة ، ومات شهيدا ، قتله عبيد الله المهدى وصلب هو ورجل يدعى أبو عبد الله السدرى (١) الذى كان من الصالحين وكان قد بايع على جهاد عبيد الله وجعل يحث الناس على جهاده ، فبلغ خبره عبيد الله فدعاه وأمر بقتله (٢)، ثم إن العلماء خطوا خطوة أكبر باصدار فتوى بوجوب قتال العبيديين ، وكان ذلك بعد اجتماع وتشاور بين علماء السنة وهم :

- أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء القرشي النوفلي المعروف بربيع القطان (ت ٣٣٣هـ) (٣)
- وأبو العرب محمد بن تميم بن تمام التميمي (ت ٣٣٣هـ) (٤).
- وأبو اسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي المتعبد (ت ٣٥٦) (٥).

= = مفرج الفقيه) وصاحب المعالم يسميه (أبو القاسم الحسن بن مفرج مولى مهربة بنت الأغلب بن إبراهيم) ، قال عنه القاضي عياض (كان ذا عناية بالعلم " ، قتله عبيد الله المهدى سنة ٣٠٩هـ.

مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ١٦٥-١٦٦) رقم: ١٩٦ ، طبقات الخشنى (ص: ٢٣٠) ، البيان المغرب (١/ ١٨٧) ، معالم الإيمان : (٢/ ٣٥٣-٣٥٤).

(١) كان من العباد والزهاد المريدين العاملين ، كثير الحج والأسفار ، كان لا يخشى في الله لومة لائم . قتل مع ابن مفرج سنة ٣٠٩هـ.

مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/ ١٦٦-١٧٥) ، رقم: ١٩٧ ، معالم الإيمان (٢/ ٣٥٣).

(٢) انظر قصة قتله بطولها في رياض النفوس (٢/ ١٦٩-١٧٣).

(٣) مرت ترجمته .

(٤) مرت ترجمته .

(٥) هو أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي من فقهاء المالكية بتونس ، صحب أحمد بن نصر الداودى وأبا جعفر القصرى ومطر بن بشار التونسي وأضرابهم وكان العلماء يتذاكرون بحضرته أمثال ابن أبي زيد القيرواني والقابسي وابن شبلون ، واشتهر بالصلاح والعلم الغزير ، توفي يوم الثلاثاء ١٥ رجب سنة ٣٥٦هـ.

= =

- وأبو عبد الملك مروان بن نصر الخياط الزاهد (ت ٣٤٠هـ)[١].
- وأبو عبد الله محمد بن الفتح المؤدب (ت ٣٣٤هـ)[٢] الذى كان أحد من عقد الخروج على بني عبيد لكنه لم يخرج لقتالهم لزمانته وضعفه.
- وأبو محمد عبد الله بن فطيس (ت ٣٣٩هـ)[٣]، وأبو بكر محمد بن سعدون الجزيري التميمي المتعبد إمام جامع القيروان، (ت ٣٤٤)[٤]،

== مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٣/٣٧٦-٣٨٩)، معالم الإيمان : (٣/٧٧-٩٢)، شجرة النور الزكية (١/٩٤)، الديباج المذهب (١/٢٦٢-٢٦٤)، رقم: ٦، رياض النفوس (٢/٤٦٩-٥٠٦)، رقم : ٢٧٠.

(١) هو: أبو عبد الملك مرروان بن نصر بن حبيب بن نصر بن مروان ابن علقمة الأنصارى الزاهد، سمع من عيسى بن مسكين وابن عون وغيرهما وكان من أهل الاجتهاد في العبادة والزهد، توفى سنة ٣٤٠هـ.
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٣/٤٧-٤٩) رقم:١٩٩.

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن الفتح المؤدب المرجي، المعروف بابن الصواف كانت له أوصاف جليلة، وكان يعلم طلبة العلم خلف حائط خوفا من بني عبيد الذين منعوا بث العلم وسجنوا العلماء، وقد امتحن على يد ابن عبدون القاضي الحنفي، توفى سنه ٣٣٤هـ، مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/٣١٣-٣١٦) رقم ٢٣١، معالم الايمان (٣/٣٨-٣٩) رقم ١٩٥

(٣) هو: أبو محمد عبد الله بن فطيس المتعبد، سمع من يحى بن عمر وغيره، وكان أحد الذين عقدوا الخروج على بني عبيد، وكان زاهدا كثير البكاء. توفى سنة ٣٣٩هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/٣٦٩-٣٧٢)، رقم : ٢٤٥.

(٤) هو : أبو بكر محمد بن سعدون الجزيرى التميمي، سمع من محمد بن بسيل ومن غيره، وسمع بمصر وبمكة، ودخل الشام ولبنان، وكان ممن عقد الخروج على بني عبيد. توفى سنة ٣٤٤هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/٤١٤-٤١٨)، رقم: ٢٥٥، معالم الإيمان (٣/٥٢-٥٤) رقم : ٢٠٣.

وأبو حفص عمر بن محمد بن مسرور العسال (ت ٣٤٣هـ)[١] وغيرهم كثير.

وكان رئيس هذا الاجتماع والمرجع الذى يرجع إلى رأيه في المُلِمّات هو أبو الفضل عباس بن عيسى بن العباس الممسيسي (ت ٣٣٣)[٢]، ودارت فى ذلك الاجتماع المناقشات والمناظرات بشأن شرعية الخروج مع أبي يزيد مخلد بن كيداد أو صاحب الحمار[٣] الذى كان قد سيطر على معظم البلاد، واستنفر الناس لقتال بني عبيد، وزعم أنه سني، وكان يتحلى بنسك عظيم ويلبس جبة صوف قصيرة الكمين ويركب حمارا وكان يبطن رأى الصفرية ويتمذهب بمذهب الخوارج[٤]، وخرجوا من هذا الاجتماع بوجوب الخروج لقتال بني عبيد "لعل الله أن يكفر بجهادنا تفريطنا وتقصيرنا عما يجب علينا من جهادهم" كما قال أبو اسحاق السبائي.

ولكن بعض العلماء بقي مترددا ولم يقتنع إلا بعد أن روى لهم أبو العرب حديثا فى قتال الرافضة، يقول عليه الصلاة والسلام فيه: "يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فإذا أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفار"[٥].

---

(١) هو أبو حفص عمر بن محمد بن مسرور العسال الفقيه، كان فقيها عظيما مع ورع شديد، وقد جمع الله فيه خصال الخير، صواما قواما، حافظا لكتاب الله، عالما بسنة رسوله، لم يعمر طويلا. توفى سنة ٣٤٣هـ وسنه نحو أربعين سنة.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/٤١١-٤١٣) رقم: ٢٥٤، ترتيب المدارك (٢/٣٩٠-٣٩٢)، معالم الإيمان (٣/٥١-٥٢) رقم ٢٠٢.

(٢) هو أبو الفضل عباس بن عيسى بن العباس الممسيسي الفقيه، كان فاضلا، عالما صواما قواما ورعا، وكان فى جملة من استشهد فى جهاد بنى عبيد، سمع من موسى القطان وغيره حج سنة ثمان عشرة وثلاثمائة، استشهد سنة ٣٣٣.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص: ١٧٩)، رياض النفوس (٢/٢٩٢-٣٠٥) رقم الترجمة ٢٢٨، معالم الإيمان (٣/٢٧-٣٥)، رقم: ١٩٢، ترتيب المدارك (المجلد الثانى ص: ٣١٣-٣٢٣).

(٣) مرت ترجمته.

(٤) ترتيب المدارك (٢/٣١٨).

(٥) الحديث بهذا اللفظ لم أعثر عليه، وإنما الموجود عن علي رضي الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "يظهر في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام".

فما كاد يتم الحديث حتى كبر الناس وعلت أصواتهم في الجامع حتى ارتج .
وهكذا لم يجد العلماء بدا من مباركة الخروج وتأييده ، ولم يتخلف منهم أحد ،
وطفقوا بعد ذلك يحضون العامة ويحرضونهم على الخروج لقتال بني عبيد ، وقد
اتخذوا المساجد مواطن لذلك ، من أجل تهيئة النفوس وتشجيعها على الخروج
على العبيد يين وخرج العلماء لقتال الشيعة ورفعوا الألوية والرايات وقد أخذت
الفرحة ربيع القطان لما رأى ألوية الجهاد معقودة وصفوف المجاهدين مرصوصة
مدججة بالسلاح فقال عند ذلك : " الحمد لله الذى أحياني حتى أدركت عصابة
من المؤمنين اجتمعوا لجهاد أعدائك وأعداء نبيك يارب"(١) .

== رواه أحمد فى المسند (٢/١٣٦-١٣٧) رقم الحديث ٨٠٨ بتحقيق أحمد شاكر .
قال الشيخ أحمد شاكر فيه : إسناده ضعيف : يحيى بن المتوكل أبو عقيل ضعفه أحمد وابن معين وقال :" منكر الحديث " وقال ابن حبان : " ينفرد بأشياء ليس لها أصول لا يرتاب الممعن في الصناعة أنها معمولة"
ابراهيم بن حسن ذكره ابن حبان في الثقات وهو أخو عبد الله بن الحسن وعم محمد وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن اللذين خرجا على المنصور ، وترجم له البخارى في التاريخ الكبير (١/١/٢٧٩-٢٨٠) .
أبوه حسن بن حسن : ذكره ابن حبان فى الثقات وترجم له البخارى أيضا (١/٢/٢٨٧) ولم يذكر فيهما جرحا .
وهذا الحديث ذكره البخارى في التاريخ الكبير فى ترجمة إبراهيم بن حسن بلفظ : " يكون قوم نبزهم الرافضة ، يرفضون الدين " ، رواه عن محمد بن الصباح عن يحيى بن المتوكل ، وكأنه لم يره ضعيفا ، فإنه لم يجرح أحدا من رواته ، وذكره الحافظ في التعجيل (١٤) فلم يذكر له علة ، ولم يشر إلى رواية البخارى في التاريخ " أهـ ، كلام الشيخ أحمد شاكر.

(١) معالم الإيمان (٣/٤٠) .

وكانت الألوية المعقودة مكتوب على كل لواء منها عبارة يظهر فيها العداء الشديد للشيعة ، من هذه العبارات كتب " لا إله إلا الله محمد رسول الله لا حكم إلا لله وهو خير الحاكمين " و " بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله محمد رسول الله " و " نصر من الله وفتح قريب على يد الشيخ أبي يزيد " و " اللهم انصر وليك على من سب نبيك وأصحاب نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ و " بسم الله الرحمن الرحيم قَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ) (التوبة ١٢) ، و " قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمَ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ " (التوبة : ١٤) وغيرها من العبارات التى تدل على العداوة الواضحة للشيعة .

لقد كان انضمام العلماء إلى أبي يزيد لأسباب كثيرة منها : ـ

ـ أنه خدعهم بلسانه ، وسحرهم بخطابه الحماسي ، ثم بما أظهره من تسنن وترض على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، حين دخل القيروان حيث " أظهر لأهلها خيرا وترحم على أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ودعا الناس إلى جهاد الشيعة وأمرهم بقراءة مذهب مالك ، فخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأزواجه "(١) ثم بما أظهره من عداء للشيعة حين صعد إلى المنبر حيث " خطب خطبة أبلغ فيها وحرض الناس على جهاد الشيعة وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب ، ثم لعن عبيد الله وابنه . . . "(٢)

ـ والسبب الآخر أن علماء المغرب كانوا يرون أن العبيديين كفار يجب قتالهم وكانوا يرون أن الخوارج من أهل القبلة وهم أقل ضررا .

---

(١) البيان المغرب (٢١٧/١) .

(٢) البيان المغرب (٢١٧/١) .

يقول أبو اسحاق السبائي وهو يشير إلى أبي يزيد وأصحابه :"هؤلاء من أهل القبلة ، وهؤلاء ليسوا من أهل القبلة ـ يريد بني عبيد ـ فعلينا أن نخرج مع هذا الذى من أهل القبلة لقتالهم"[١].

ومن هنا فقد رأوا " أن الخروج معه متعين "[٢].

وكان أبو الفضل المميسي يرى الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضا لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الإسلام ويرثون ويورثون وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنهم مجوس زال عنهم الإسلام فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون إليهم"[٣]. بل كان يرى أن قتالهم أفضل من قتال المشركين لأنهم متصلون ببلاد الإسلام ويحكمون فيهم بما يريدون من قتل أو ضرب أو سجن بخلاف كفار منفصلين عن بلاد الإسلام"[٤].

ويدلل ربيع القطان الذى كان جعل على نفسه ألا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بني عبيد على كفرهم حينما عوتب فى الخروج مع أبي يزيد الخارجي ،بأنه حضر أحد المجالس ، وكان فيه جمع كبير من أهل السنة ومشارقة[٥]، وكان بالقرب منه أبو قضاعه الداعى[٦] فأتى رجل مشرق (أى شيعي) آخر .

---

(١) ترتيب المدارك (٢/٣١٨) .

(٢) ترتيب المدارك (٢/٣١٨) .

(٣) معالم الإيمان (٣/٢٩) .

(٤) معالم الإيمان (٣/٣٠) .

(٥) المشارقة كانت تطلق على الشيعة ، لأنهم قدموا إلى المغرب من المشرق وأول من اشتهر به أبو عبد الله الشيعي ونسب إليه من اتبعه فسموا مشارقة .
وكان إذا دخل الواحد منهم فى دعوته قيل : قد تشرق .
انظر : تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (ص: ١٩٤) .

(٦) هو أحد الدعاة العبيديين .

فقام إليه رجل مشرقي وقال إلى هاهنا ياسيدى ، إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعنى أبا قضاعة الداعي ـ ويشير بيده إليه فما أنكر أحد شيئا من ذلك فكيف ينبغى أن يترك القيام عليهم" [(١)] ، ومع ذلك فإن خروجهم معه لا يعنى أنهم يوالونه ،أو يدخلون تحت طاعته ،ولكن لما اتحدت وجهة الجميع ،وكان الغرض واحدا من الخروج فإنهم آزروه " ولئن كان استنصار أبي يزيد بهم ليحقق بهم وبقوتهم أوطاره فإنهم كذلك قد لبوا دعوته ليحققوا أملا يستحثهم على مقاتلة الكفرة المغيرين " فإذا ماتحقق الغرض من الخروج ، وظفروا بهم لم يدخلوا تحت طاعة أبي يزيد ، بل كانوا يتمحنون أن يسلط الله عليه إماما عادلا يخرجه عنهم [(٢)].

ومع ذلك ،ورغم كل هذه المبررات للخروج ،فإن علماء المغرب لم ينضموا إلى صفوف أبي يزيد إلا بعد تشاور طويل وبعد أن ألقى أحمد بن أبي الوليد [(٣)] خطبة بليغة نبه فيها إلى خطر الشيعة ،وحذر العامة من أفعالهم الخبيثة وحث فيها على مقاتلتهم حيث قال : (لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ،فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء ٩) وقال : " ياأيها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم أنه رب من دون الله وغير أحكام الله عز وجل وسب نبيه ،وأصحاب نبيه وأزواج نبيه " ثم شرع في الدعاء عليهم فقال : " اللهم إن هذا القرمطي الكافر الصنعاني المعروف بابن عبيد الله المدعي الربوبية

---

(١) معالم الإيمان (٣/٢٣) .

(٢) ترتيب المدارك (٢/٣١٨-٣١٩) .

(٣) هو أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن أبي الوليد كان يتولى الخطبة بالجامع الأعظم بالقيروان وكان خطيبا بليغا ، وكان صالحا عدلا في أحكامه . توفي سنة ٣٤٥هـ .
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٣/٦١) رقم : ٢١٢ .

من دون الله جاحدا لنعمتك ، كافرا بربوبيتك طاعنا على أنبيائك ، ورسلك مكذبا لمحمد نبيك وخيرتك من خلقك سابّاً لأصحاب نبيك وأزواج نبيك أمهات المؤمنين سافكا لدماء أمته مستهتكا لمحارم أهل ملته افتراء عليك ، اللهم فالعنه لعنا وبيلا وأخزه خزيا طويلا واغضب عليه بكرة وأصيلا وأصله جهنم وساءت مصيرا "[١].

وحتى بعد هذا بقي بعضهم مترددا في الخروج إلى حسم أبو العرب الأمر بروايته لحديث الروافض ـ كما سبق بيانه ـ[٢] بعد ذلك كبر الناس وعلت أصواتهم في الجامع حتى ارتج ثم خرجوا لقتال بني عبيد[٣].

ويبدو أن ترددهم هذا لم يكن سببه اختلافهم حول مجاهدة الشيعة ، لأنهم كانوا مجمعين على ذلك ، وإنما يرجع إلى اختلافهم في شرعية الخروج مع أبي يزيد ، الذى لم يستطع خداعهم رغم إعلانه التوبة وأنه سني .

وفي الموعد المضروب خرج العلماء ومن ورائهم وجوه القوم وعامتهم في أعداد غفيرة لا يحصيهم عد ، ولم يتخلف من العلماء والصلحاء أحد إلا العجزة ومن ليس عليهم حرج ، وكان ربيع القطان في طليعة الصفوف راكبا فرسه وعليه آلة الحرب ، متقلدا مصحفه وهو يقول : " الحمد لله الذى أحياني حتى أدركت عصابة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد أعدائك وأعداء نبيك "[٤].

وقد أبلى العلماء في تلك المواجهة بلاء حسنا وقدموا صورة حقيقية لجهاد السلف لأعداء الإسلام ، واستشهد منهم مالا يقل على الثمانين عالما ، منهم ربيع القطان والمميسي وغيرهما وأظهروا شجاعة نادرة ، وتفانيا لا مثيل له في قتال

---

(١) معالم الإيمان (٣/٣٩-٤٠) .

(٢) راجع ص (٤٨٧-٤٨٨)

(٣) المعالم (٣/٤٤) .

(٤) معالم الإيمان (٣/٣٧-٤٢) .

عدوهم ، وحققوا انتصارا باهرا وكادوا يستولون على المهدية ، لولا أن ساعة الغدر حلت ، ورجعت الكرة عليهم ، حين خدعهم أبو يزيد وأسفر عن وجهه القبيح المناوئ ، لأهل السنة وأمر جنده أن ينكشفوا عنهم بقوله " إذا التقيتم مع القوم فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم لا نحن فنستريح منهم "(١) . وكان غرضه من تلك الفعلة الشنيعة والخدعة المنكرة " الراحة منهم لأنه فيما ظن إذا قتل شيوخ القيروان وأئمة الدين تمكن من أتباعهم فيدعوهم إلى ماشاء الله فيتبعونه "(٢) .

ولكن الله كان له بالمرصاد وخذله كما خذل هو أولياءه ، فهزم شر هزيمة حيث انضم عدد غير قليل من جنده إلى صفوف عدوه ولم يبق له من الجند إلا قليل . وقتل شر قتلة ، وكانت نهايته يوم ٣٠ محرم سنة ٣٣٦هـ) .

وقد أَثَّرَتْ هذه المواجهة بين السنة والشيعة على الساحة المغربية فيما بعد ، واستمرت المقاومة فيمن جاء بعدهم حتى بعد خروج بني عبيد من المغرب . فكانوا يبحثون عن مزاكر وجود الشيعة ، فإذا عثروا عليهم قتلوهم وسلبوا أموالهم ، فقد ذكر ابن عذارى في البيان المغرب(٣) أنه كان بمدينة القيروان قوم يتسترون بمذهب الشيعة من شرار الأمة انصرفت العامة إليهم من فورهم فقتلوا منهم خلقا كثيرا رجالا ونساء وانبسطت أيدى العامة على الشيعة وانتهبت دورهم وأموالهم .

ويصف القاضي عياض هذه الحادثة بقوله " وكان ابتداء ذلك يوم الجمعة منتصف المحرم ، قتلت العامة الرافضة أبرح قتل بالقيروان وحرقوهم وانتهبوا أموالهم ، وهدموا دورهم وقتلوا نساءهم وصبيانهم وجروهم بالأرجل ، وكانت صيحة

---

(١) البيان المغرب (١/٢١٨) .

(٢) البيان المغرب (١/٢١٨) .

(٣) البيان المغرب (١/٢٦٨) .

من الله سلطها عليهم ، وخرج الأمر من القيروان إلى المهدية وسائر بلادهم، فقتلوا وأحرقوا بالنار فلم يترك أحد منهم في إفريقية (تونس) إلا من اختفى".[1]

وهكذا كان هذا النوع من المقاومة هو أشد الأنواع وأنكاها ، طهر الله به أرض المغرب من بدعة التشيع .

أنواع أخرى من المقاومة :

وإلى جانب هذه الأنواع من المقاومة - الذى ذكرتها - كانت هناك أنواع أخرى ، والتي فعلت فعلها هي أيضا في نفوس الشيعة ، وجعلتهم يتيقنون بأن أهل المغرب يرفضونهم ولا يستسيغون وجودهم بينهم ، ونذكر منها :-

١ - ابداء السرور والفرح في أيام حزن الشيعة :

من مظاهر ذلك الاحتفاء بيوم عاشوراء ، وإبداء الفرح والسرور فيه ، ومن المعلوم لدى الجميع أن يوم عاشوراء هو اليوم الذى رُزئت فيه الأمة الإسلامية بالحسين بن علي[2] - رضي الله عنهما - أحد سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة ، وهذا اليوم عند الشيعة على اختلاف طوائفهم يوم حزن وحداد ، حيث " أحدثوا فيه من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي ومايفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنتهم ، حتى يسب السابقون الأولون ، وتقرأ أخبار مصرع الحسين - رضي الله عنه - التي كثير منها كذب".[3]

أما عند أهل السنة فهو يوم صامه النبي عليه الصلاة والسلام وندب المسلمين لصيامه . فقد روى الإمام مسلم[4] في صحيحه عن

---

(١) ترتيب المدارك (٢ / ٦٢٥) .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) منهاج السنة (٤ / ٥٥٤) .

(٤) مرت ترجمته .

أبي قتادة الأنصارى[1] ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف تصوم ؟ وفيه قوله عليه الصلاة والسلام : " صيام يوم عرفة احتسب على الله أنه يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله "[2].

ولكنهم زادوا على ذلك فزعموا أنه ورد في التوسعة على العيال فيه أحاديث مثل حديث إبراهيم بن محمد بن المنتشر[3] عن أبيه[4] أنه قال :" بلغنا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته " رواه عنه ابن عيينة[5].

---

(١) هو أبو عمر قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصارى البدرى الأمير المجاهد ، من نجباء الصحابة ومن الرماة المعدودين ، توفى سنة ٢٣ .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٧ / ١٨٤-١٨٥) رقم ٨٢٣ ، الجرح والتعديل (٧ / ١٣٢) رقم ٧٥٣ ، الاستيعاب (٣ / ١٢٧٤-١٢٧٧) رقم ٢١٠٧ ، سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٣١-٣٣٣) رقم : ، الإصابة (٣ / ٢١٧-٢١٨) رقم ٧٠٧٨ ، تهذيب التهذيب (٨ / ٣٥٧-٣٥٨) ، رقم ٦٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الصيام (باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر) رقم ١١٦٣ ، صحيح مسلم (٢ / ٨١٨-٨١٩) .
وهو في إرواء الغليل (٤ / ١١١-١١٢) بلفظ : صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية " ، وقال الألباني : رواه الجماعة إلا البخارى ولم يخرجه النسائي في سننه والظاهر أنه في سننه الكبرى .

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن المنتشر الأجدع الهمداني الكوفي ، ثقة . أخرج له الستة .
انظر عنه : تقريب التهذيب (١ / ٤٢) رقم ٢٦٨ .

(٤) ترجمة محمد بن المنتشر فى تقريب التهذيب (٢ / ٢١٠) رقم ٧٣٣ .

(٥) مرت ترجمته .

هذا الحديث سئل عنه الإمام أحمد فقيل له : هل سمعت في الحديث أنه من وسع على عياله فى يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة ، قال : نعم ، شيء رواه سفيان عن جعفر الأحمر (١) عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر، قال سفيان ـ وكان من أفضل من رأينا ـ أنه بلغه أنه من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته (٢). هذا الحديث طعن فيه كثير من العلماء مثل الإمام ابن تيمية الذى قال فيه " حديث موضوع مكذوب " (٣)، وقال :" وقد روى في التوسيع على العيال فيه آثار معروفة ، أعلى مافيها حديث إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه ، قال : وهذا بلاغ منقطع لا يعرف قائله . والأشبه أن هذا وضع لما ظهرت العصبية بين الناصبة (٤) والرافضة ، فإن هؤلاء (أى الرافضة) اتخذوا يوم عاشوراء مأتما ، فوضع أولئك فيه آثارا تقتضى التوسع فيه واتخاذه عيدا وكلاهما باطل " (٥).

ويقول في موضع آخر :" وإظهار الفرح والسرور يوم عاشوراء ، وتوسيع النفقات فيه هو من البدع المقابلة للرافضة ، وقد وضعت في ذلك أحاديث مكذوبة في فضائل مايصنع فيه من الاغتسال والاكتحال وغير ذلك ، وصححها بعض الناس

---

(١) هو أبو عبد الله جعفر بن زياد الأحمر ، روى عن الأعمش وعطاء بن السائب وغيرهما وعنه ابن عيينة ووكيع وغيرهما ، كان رجلا صالحا كوفيا ، وكان يتشيع ، توفى سنة ١٦٧ هـ.
مصادر ترجمته : تهذيب التهذيب (٢/ ٩٢ - ٩٣) ، رقم ١٤٢ ، تقريب التهذيب (ص ١٤٠) ، رقم ٩٤٠ ، ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٧) رقم ١٥٠٣ .

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٢٢) ، هامش (٦) ، نقلا عن مسائل الإمام أحمد للنيسابورى (١/ ١٣٦، ١٣٧) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠٠) .

(٤) الناصبة : هم قوم يبغضون عليا وينصبون له العداء .
انظر : مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠١) .

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٢٢) ، ومنهاج السنة (٤/ ٥٥٤ - ٥٥٦) .

كابن ناصر[١] وغيره وليس فيها مايصح ، لكن رويت لأناس اعتقد واصحتها ، فعملوا بها ولم يعلموا أنها كذب فهذا مثل هذا"[٢].

ويقول الإمام السيوطي[٣] : " وأحدث بعض الناس في هذا اليوم أشياء مبتدعة من الاغتسال والاختضاب والكحل والمصافحة ، وهذه أمور منكرة مستندها حديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما السنة صوم هذا اليوم لاغير ، وقد روى في الفضل في التوسعة فيه على العيال حديث ضعيف ، قد يكون سببه الغلو في تعظيمه من بعض النواصب لمقابلة الرافضة"[٤].

ولعل علماء المغرب كانوا من الصنف الذى يعتقد صحة هذه الأحاديث فجعلوا يتحينون قدوم هذا اليوم لابداء الفرح والسرور فيه نكاية فى الشيعة وتنغيصا لهم. من هنا نجد بعض العلماء يؤكد على ضرورة الاحتفاء بهذا اليوم ،

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على بن عمر البغدادى المعروف بالسلامي من علماء القرن السادس سمع الحديث والفقه على مذهب الشافعي ، وكان كثير الحفظ والعناية بالأدب والنحو واللغة ، انتقل آخر عمره إلى مذهب الإمام أحمد في الأصول والفروع ، توفى سنة ٥٥١هـ ، وكانت ولادته سنة ٤٦٧هـ .

مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٤/٢٩٣-٢٩٤) رقم : ٦٢٤ ، الذيل على طبقات الحنابلة (١/٢٢٥- ٢٢٩) رقم ١١٣ .

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٢٣-٦٢٤) ، مجموع الفتاوى : (٢٥/٢٩٩-٣٠٧) .

(٣) مرت ترجمته .

(٤) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع (ص : ١٨٩) .

وقال الفيروزآبادى في " سفر السعادة " (ص ١٥٠) : " وباب فضائل عاشوراء ورد استحباب صيامه وسائر الأحاديث فى فضله وفضل الصلاة فيه والإنفاق والخضاب والادهان والاكتحال وطبخ الحبوب وغير ذلك مجموعه موضوع ومفترى ، قال : قال أئمة الحديث : الاكتحال فيه بدعة ابتدعها قتلة الحسين " ، وانظر موضوعات ابن الجوزى (٢/٢٠٤) .

فهذا الإمام عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨ هـ) [١] كبير فقهاء قرطبة فى أيام عبد الرحمن الأوسط ، [٢] تروى عنه أبيات يخاطب فيها الأمير الأموى يحثه فيها على ذلك مستندا إلى مثل هذه الأحاديث التى ذكرتها فيقول : [٣]

لا تَنْسَ ـ لا ينسك الرحمن ـ عاشورا :: واذكره ، لا زلت في التاريخ مذكورا

قال النبي ـ صلاة الله تشمله :: قولا وجدنا عليه الحق والنورا

فيمن يوسع فى الانفاق موسمه :: ألا يزال بذاك العام ميسورا

٢ ـ حضور المجالس العامة التى تغيظ الشيعة :

ومن مظاهر المقاومة السنية للتشيع أيضا ـ حضور المجالس التى كان يمنعها الشيعة خشية تأليب الناس عليهم ، فكان كثير من العلماء المغاربة يحضرونها بقصد إثارة الشيعة واستفزازهم من ذلك حضور مسجد السبت [٤] الذى كان يحضره المتصوفة يقيمون فيه حلقات للقرآن والذكر وإنشاد الرقائق ، وكان هذا الاجتماع يخيف العبيديين ويؤرقهم ويقض مضاجعهم ، فلذلك كان يحضره هؤلاء العلماء نكاية في الشيعة ، ومن هؤلاء العلماء أبو بكر محمد بن اللباد الفقيه [٥] ، فقد كان يحضر إلى هذا المسجد ويخوض في الطين والمطر التى كانت بينه وبين المسجد ،

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) انظر هذه الأبيات فى نفح الطيب (٢/٦) .

(٤) سيأتي الحديث عنه بتوسع في الفصل الذى عقدته لمقاومة علماء المغرب للاتجاه الصوفى .
وهذا المسجد يقع بناحية الدفة خارج سوسه (بتونس) قريبا من تربة الصحابي أبي زمعة البلوى .
انظر عنه : ورقات من الحضارة العربية الاسلامية بتونس لحسن حسنى عبد الوهاب (٢/٤١٢) .

(٥) مرت ترجمته .

فلما سألوه كيف تفعل ذلك وأنت تعلم أن هذا الاجتماع من البدع المنكرة ، وقد أنكرها كثير من العلماء أجاب بقوله : " قال الله تعالى (وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (التوبة : ١٢٠) وحضور هذا المسجد يغيظ بني عبيد ، ولو وجدت شيئا أغيظ لهم لفعلته "(١).

٣ - المقاومة عبر التأليف :

وكانت المقاومة عبر التأليف ونظم الشعر - أيضا - من الوسائل المجدية والنافعة في مقاومة الشيعة والتي كان لها أثر طيب في إقلاقهم وقض مضاجعهم وإعلانهم الحرب على من يفعل ذلك ، كما كان لها أثر في تبصير العامة بالحق ، وإرساء دعائم السنة . وكانت هذه المؤلفات تنقسم إلى قسمين :-

النوع الأول : المؤلفات التي تتناول مسائل العقيدة جملة وفق منهج أهل السنة والجماعة ، ومن بين المسائل التي تتناولها مسألة الإمامة عند أهل السنة وأفضلية أبي بكر وعمر وعثمان على علي - رضي الله عنهم جميعا - وشرعية خلافة الثلاثة خلافا للشيعة ، والترضي عن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جميعا من غير تفريق بينهم ، واعتبارهم جميعا عدولا خلافا للشيعة الذين يكفرونهم ويفسقونهم عدا نفرا قليلا منهم ، سبق الحديث عنهم(٢).

فهذا النوع من التأليف كان له أثر عميق في تبصير الناس بدينهم ، ونشر المذهب الحق فيهم ، حتى أصبحوا يعتبرون كل من خالف هذه العقيدة مخالفا للإسلام وخارجا عن جماعة المسلمين يجب فيه كل مايجب في الكافر من المعاداة والقتال والمقاطعة وغير ذلك من المعاملة لعله يرتدع ويرجع ويتوب .

---

(١) معالم الإيمان (٣ / ٢٤) .

(٢) راجع ص (٤١٣-٤١٤) .

النوع الثانى :

المؤلفات التى ألفت للرد على الشيعة خاصة وعلى عقائدهم الباطلة - وهذا النوع من التأليف - كما سبق الحديث عنه[١] - جاء نتيجة ظروف خاصة أوجبت على أهل السنة الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم ودحض باطلهم .

من هذا الصنف من المؤلفات نذكر كتابي " الإمامة" اللذين ألفهما الإمام محمد بن سحنون ، وقد سبق الحديث عنهما[٢] ، وهما من أعظم ماألف فى هذا الفن ، يقول عيسى بن مسكين : وماألف فى هذا الفن مثلهما[٣] ، وكتاب " الإمامة " للامام إبراهيم بن عبد الله الزبيرى[٤] وكتاب (الرد على الرافضة) له أيضا ، واللذان كانا السبب فى محنته وسجنه وضربه من قبل الدولة العبيدية الشيعية .

فهذا النوع ، كان له أثره أيضا في المقاومة ، ولعله كان أشد على الشيعة من النوع الأول وأنكى .

إلى جانب وسيلة التأليف ، كانت هناك وسيلة أخرى تدخل فى باب التأليف أيضا ، هذه الوسيلة هي نظم الشعر لهجو بني عبيد وذمّهم ، وقد برز فى هذا الميدان كثير من الشعراء أذكر منهم : أبا القاسم الفزارى[٥] .

---

(١) راجع ص (٤١٦) . (٢) راجع ص (١٩٦) .

(٣) القاضي عياض : تراجم أغلبية (ص ١٧٥) تحقيق د . محمد الطالبى ، ط المطبعة الرسمية بالجمهورية التونسية (١٩٦٨م) .

(٤) مرت ترجمته .

(٥) هو أبو القاسم محمد الفزارى ولد بالقيروان ونشأ بها واختلف فى اسم أبيه فقيل هو عامر بن إبراهيم الفزارى ، الذى كان عاملا للفاطميين على الخراج فهرب بالمال إلى مصر الأخشيدية وأن جده إبراهيم هو الذى قُتِلَ على ماشُهِدَ عليه من التعطيل وكان من أهل الجدل والمناظرة وقد هجاه على نسبه هذا على بن محمد الأيادى المعروف بمحمد التونسى أحد شعراء بنى عبيد فقال :

دَعِيٌّ فزارةَ من لؤمه :: إلى طلعة اللؤم ماأسبقه
أب هارب بخراج الإمام :: وجد قتيل على الزندقة

==

وسهل الوراق ،[١] فمن شعر أبي القاسم الفزاري في هجو بني عبيد قوله في وصفهم ووصف سلوكهم :

عبدوا ملوكهم وظنوا أنهم	::	نالوا بهم سبب النجاة عموما
وتمكن الشيطان من خطواتهم	::	فأراهم عوج الضلال قويما
رغبوا عن الصدّيق والفاروق في	::	أحكامهم لا أسلموا تسليما
واستبدلوا بهما ابن الأسود نابحا[٢]	::	وأبا قداره[٣] واللعين تميما[٤]
تبعوا كلاب جهنم وتأخروا	::	عمن أصارهم الإله نجوما
أمن اليهود ؟ أم النصارى ؟ أم هم	::	دهرية جعلوا الحديث قديما
أم هم من الصائبين أم من عصبة	::	عبدوا النجوما وأكثروا التنجيما
أم هم زنادقة معطلة رأوا	::	أن لاعذاب غدًا ولا تنعيما ؟
أم عصبة ثنوية قد عظموا	::	النورين عن ظلماتهم تعظيما
سبحان من أبلى العباد بكفرهم	::	وبشركهم حقبا وكان رحيما

== وقيل : هو أبو القاسم محمد بن علي الفزاري القيرواني . والله أعلم توفي سنة ٣٤٥هـ .
مصادر ترجمته : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ص ٢٧٢) ط القاهرة بروكلمان ، (ملحق (١) ص : ١٤٨) ، وانظر حوليات الجامعة التونسية (١٠/١٢٩-١٤١) ضمن مقال لمحمد اليعلاوي ، شعراء أفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية .

(١) هو سهل بن إبراهيم الوراق أدرك خلافة المعز الفاطمي ، وكان معاصرا لأبي القاسم الفزاري ولا تذكر المصادر شيئا عن وفاته أو سنة ميلاده .
مصادر ترجمته : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء (١١/٢٦٧) ، رحلة التيجاني (ص ٢٨) نشر حسني عبد الوهاب ، حوليات الجامعة التونسية المرجع السابق (١٠/١٤٢-١٥٣) .

(٢، ٣، ٤) هذه الأسماء لعلها لبعض دعاة الدولة العبيدية الذين كانت تستعملهم في إثارة أهل السنة .

يارب فالعنهم ولقهم :: بأبي يزيد من العذاب أليما (١)

وهو هنا ينتصر لأبي يزيد مخلد بن بن كيداد الخارجي ويدعو له ، شأنه في ذلك شأن معظم فقهاء القيروان الذين ظنوا أن ثورة صاحب الحمار ناجمة لا محالة في تخليصهم من حكم بني عبيد .

ويقول في قصيدة أخرى طويلة أختار منها هذه الأبيات لأن فيها بيانا لعقيدة أهل السنة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الترضي والموالاة والسكوت عما شجر بينهم ورد ذلك إلى الله تعالى ، وهي النقاط التي يختلف فيها أهل السنة المحبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والشيعة المبغضون لهم ، يقول :

وإنا بعدُ من خوف وأمن :: نحب إذا تشعبت الأمور
رسول الله والصديق حبا :: به ترجى السعادة والحبور
وبعد هما نحب القوم طرا :: وما اختلفوا فربهم غفور
ألا بأبي وخالصتي وأمي :: محمد البشير لنا النذير
سأهدي ماحييت له ثناء :: مع الركبان ينجد أو يغور

و لسهل الوراق ـ هو الآخر ـ قصائد في ذم الشيعة وهجوهم ووصفهم بما هم أهله من الكفر والظلم ، أختار منها ماله صلة بالبحث حتى يعرف القارئ أن أهل السنة المغاربة لم يتركوا وسيلة يمكن أن تحقق هدفها في مقاومة التشيع والشيعة إلا ابتغوها ولا سبيلا إلا سلكوه .

فمن ذلك قوله في ادعائهم النبوة :

---

(١) انظر الأبيات في رياض النفوس (٢/ ٤٩٤) ، حوليات الجامعة التونسية (١٠/ ١٢٢-١٢٤) .

(٢) رياض النفوس (٢/ ٤٩٤) .

غضب الإله على نبي لم يـزل :: حَيْرَانَ مغرورا أخا سكـرات

متهمكا فى خمره وسماعـه :: مترددا في الغي والشبهـات

ياابن الأرَاذل والمجوس أيا ابن :: من هتك الفروج وضيع الصلـوات

ويقول فى ظلمهم ومانال البلاد منهم من جور وظلم :

فلقد كسا طول البلاد وعرضها :: من جوركم مافاق كل صفـات

قوم إساءتهم إليك بقـدر ما :: أحسنت ،لا بل مثله مـرات

ماقصّ فى التنزيل سوءة أمـة :: إلا وفيهم ضعفها سـوءات

ويقول متمنيا أن ينتقم الله منهم على يد أبي يزيد مخلد بن كيداد ،كما هو شـأن أهل السنة في تلك المرحلة .

فَلَتَقُرَعَنَّ عصاه كل مضـلل :: عادى النبي وحرف السـورات

ولتطهرن الأرض من ذى ردة :: بالمقربين وكل طاغ عـات

ويقول وهو يحكي كفرهم وظلمهم :

الطاعنين على النبى محمـد :: والقائلين بأسخف المقـالات

إن الإمام هو النبي وإنـه :: رب ،تعالى الله ذو العظمات

هدم المساجد وابتناها منزها :: لمضارب العيدان والنايـات

ثم يختتم القصيدة بلعنهم فيقول :

فعليه مالبى الحجيج وطوفـوا :: وعلى ذويه خوالد اللعنـات (١)

هذا وعندما هدد عُبيد الله المهدى علماء المغرب بالانتقام منهم إن لم يدخلـوا فى طاعته بقوله :

فإن تستقيموا أستقمْ لصلاحكـم :: وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عـدلا

وأُعلو بسيفي قاهرا لسيوفكـم :: وأدخلها عفوا وأملؤها قتـلا

---

(١) القصيدة بطولها . انظرها فى رياض النفوس (٢/٤٩٦-٤٩٨) .

أجابه شاعر سني بأبيات قال فيها :

كذبت وبيت الله لا تعرف العدلا :: ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا

وما أنت إلا كافر ومنافق :: تميل مع الجهال في السنة المثلى

وهمتنا العليا لدين محمد :: وقد جعل الرحمن همتك السفلى (١)

وهذه أبيات لشاعر مجهول يهجو فيها العبيديين ، ولعله أخفى اسمه حتى يسلم من بطشهم ، يقول فيها (٢) :

الماكر الغادر الغاوى لشيعته :: شر الزنادق من صحب وتباع

الناكثين عهود الله كلهم :: قوم إلى سفه في الناس أوضاع

العابدين إذا عِجْلٌ يخاطبهم :: بسحر هاروت من كفر وتبداع

لو قيل للروم أنتم مثلهم لبكوا :: أو اليهود لسدوا صمخ أسماع

ولو عزونا إلى إبليس ما مكروا :: لقال ابليس : ما هذا من أطباعى

هذا ما تيسر الوقوف عليه من أمر مقاومة أهل السنة المغاربة للفكر الشيعى في المغرب ولعله فيه غنية في إعطاء صورة عن هذا الجانب من جهاد المغاربة ضد المبتدعة على اختلافهم ، الأمر الذى جعل المغرب الإسلامى يبقى سليما من المبتدعة ، ويظل سنيا إلى يوم الناس هذا .

---

(١) انظر الأبيات فى البيان المغرب (١/١٧٨) .

(٢) انظر هذه الأبيات فى رياض النفوس (٢/٣٤٦) .
وانظرها أيضا : فى حوليات الجامعة التونسية (١٠/١٦٣) ضمن مقال : شعراء إفريقيون معاصرون للدولة الفاطمية لمحمد اليعلاوى .

الفصل الثالث

مقاومة علماء المغرب للفكر الخارجي

المبحث الأول : دخول الفكر الخارجي الى المغرب

المبحث الثاني : ذكر المقاومة ورجالها ووسائلها وأسبابها

المبحث الأول : دخول الفكر الخارجي إلى المغرب و انتشاره به :-

لقد كانت أول وسيلة دخول الخوارج (١) إلى المغرب هي الوسيلة التي تقدم الحديث عنها في فصل مقاومة الاعتزال ، و فصل مقاومة التشيع من قبل علماء المغرب ، عند حديثنا عن دخول هذين المذهبين إلى المغرب. و هي وسيلة إرسال الدعاة للتبشير بهذا المذهب والدعوة له.

---

(١) تعريف: الخوارج جمع خارج و خارجي مشتق من الخروج ، و الخروج في اللغة وضع لعدة استعمالات انظر على سبيل المثال : تهذيب اللغة (٧/٤٩-٥٠) لسان العرب (١/٨٠٨) .

و أما الخوارج في الاصطلاح فيطلق على طائفة من أهل الآراء و الاهواء لخروجها على الدين أو على الإمام علي - رضي الله عنه - وعلى هذا فهو ذم لهم ، و أما هم فيطلقونها على أنفسهم على سبيل التمدح لقوله تعالى : (وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ). و يعرفهم ابن حزم في الفصل (٢/١١٣) بقوله : " و من وافق الخوارج في إنكار التحكيم و تكفير أصحاب الكبائر و القول بالخروج على أئمة الجور و أن اصحاب الكبائر مخلدون في النار و أن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي ".

و يلقب الخوارج بعدة ألقاب منها :-

(١) الحرورية : نسبة الى الموضع الذى فيه أسلافهم حروراء حينما انشقوا على علي .

(٢) الشراة : و هو من الشرى الذى ذكره الله في قوله : " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ....) الآية ١١١ من التوبة . و هم يتمدحون بهذا اللقب و يفتخرون به .

(٣) المارقة : و هو لقب أطلقه عليهم خصومهم أخذا من قوله عليه الصلاة و السلام : " يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرقية " .

(٤) المحكمة : و هو من أوائل الألقاب التي أطلقت عليهم لإنكارهم تحكيم الحكمين و قولهم (لا حكم إلا لله) .

هذه بعض الألقاب التي أطلقت عليهم .

وكانت البصرة هي المركز والمنطلق الذى انطلق منه هؤلاء الدعاة ، حيث كان يقوم زعيم المدرسة الاباضية بها وهو ابوعبيدة مسلم بن أبى كريمة (١) ، وهو أحد اقطاب المدرسة الاباضية الأوائل ، وإن لم يكن طرفا فى النشأة الاولى - فهو مدعم المذهب وناشره. وعنه أخذ خلق كثير ، ولا سيما من سيكون لهم شأن بافريقية (تونس) والمغرب عامة. هذا الرجل كان يقوم بتعليم تلاميذه فى مدرسة سرية بالبصرة ومنها كان يرسل دعاته إلى النواحى المختلفة " وقد أخذ عنه خلق كثير ، وعنه حمل العلم إلى المغرب والمشرق " . (٢)

= وقد اختلفوا فى تحديد تاريخ نشأتهم وظهورهم إلى عدة أقوال ، فمن قائل إنهم نشأوا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على يد ذى الخويصرة الذى اعترض على قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الفئ ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر حين قال له : دعنى أضرب عنقه. قال : دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته إلى صلاته . . . الحديث البخارى (٨ / ٥٢ - ٥٣) ومن قائل : إن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضى الله عنه فى تلك الفتنة التى انتهت بقتله ، شرح الطحاوية (ص ٤٧٢) ومن قائل : إن نشأتهم بدأت يوم أن فارق طلحة والزبير عليا وخرجا عليه فهما اللذان شرعا دين الخوارج ومن قائل : إن نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش على وهو الرأى الذى عليه الكثرة الغالبة من العلماء .

انظر عن الخوارج ونشأتهم: مقالات الاسلاميين (١/٨٦- ١٣١) الملل والنحل (١/١٩٥ - ٢٥٥) الفرق بين الفرق (٤٥- ٦٦) التبصر فى الدين (ص ٤٦ - ٥٩) الفصل لابن حزم (فى شنع الخوارج) (٤/١٨٨- ١٩٢) وانظر رسالة غالب بن على عواجى المقدمة لنيل الماجستير فى العقيدة من جامعة أم القرى : الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الاسلام منها (٢- ٢٨) .

(١) هو أبوعبيدة مسلم بن ابى كريمة مولى بنى تميم من أشهر علماء الإباضية توفى سنة ١٣٥ وقيل ١٤٥ فى خلافة ابى جعفر المنصور انظر عنه وعن نشاطه فى الدعوة لمذهبه كتاب الامام جابر بن زيد العمانى وآثاره فى الدعوة تأليف صالح بن احمد الصوافى طبع وزارة التراث القومى والثقافة بسلطنة عمان (١٤٠٣/ ١٩٨٣) رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الازهر (ص ١٦٩) وما بعدها .

(٢) الخلافة والخوارج فى المغرب العربى (ص ٢٧) تاليف: رفعت فوزى عبد المطلب الطبعة الاولى (١٣٩٣ / ١٩٧٣).

ولكن يجب التنبيه هنا إلى أن المصادر على اختلافها مشرقية كانت أو مغربية لا تسعفنا بتحديد تاريخ لدخول الخوارج إلى المغرب والسبب فى ذلك على ما يظهر ، هو اختفاء هؤلاء الدعاة عن الأعين واشتغالهم فى السرية والخفاء خوفا من بطش الخلفاء ، الأمويين والعباسيين على حد سواء . الذين ناصبوهم العداء وكانوا يطاردونهم أينما وجدوا وحيثما حلوا . الأمر الذى حطهم على التخفي والاشتغال فى السر ، والبحث عن أماكن نائية صعبة المنال يحتمون فيها وينشرون فيها مذهبهم وإذا أضيف إلى هذا الوصف وصف آخر وهو طبيعة الشعب الصعبة والشديدة المراس ويكون هذا الشعب بالإضافة إلى ذلك شديد النقمة على الحكم القائم فإن ذلك هو المبتغى الذى ليس وراءه مبتغى .

وهذه الأوصاف مجتمعة وجدوها فى المغرب الإسلامى فهو يقع من حيث الموقع الجغرافى بمنأى عن مركز الخلافة التى سامتهم العذاب والاضطهاد وهو من حيث صعوبة أرضه وشدة أهله أيضا يقع فى القمة. يقول ابن الأثير : " فاتجه بعضهم الى إفريقية والمغرب برغم بعد المسافة لعلهم يجدون فى البربر الذين وسموا - أيضا - بالتردد والتمرد الأمل الذى يبعث فيهم الأمل من جديد" . (١)

وهناك وصف آخر كان يميز المغرب على المشرق فى بعض الفترات ، هو الاستقرار ، فى حين كان المشرق يعانى فيه من الانقسامات وضعف الخلافة . يقول القاضى عياض " كما نزخ بعض أهل المشرق إلى القيروان والاندلس بعد ما قرفوا من ضعف الخلافة العباسية وتقسيمها إلى دويلات وكثرة الانتفاضات المذهبية ، أقول : نرخوا باحثين عن الاستقرار فى بلد إسلامى ليس فيه إلا دين واحد ومذهب واحد وعقيدة واحدة ." (٢)

---

(١) الكامل لابن الاثير (٤/ ٦٤) .

(٢) ترتيب المدارك (١/ ١٥) .

إذا فالخوارج وجدوا فى المغرب بغيتهم ، ووجدوا فى البربر تربة صالحة لبذر دعوتهم المنحرفة. ولما كان البربر لم يتمكن الإيمان من قلوبهم كما ينبغى ، حيث كانوا كالورقة فى مهب الريح يميلون مع كل دعوة و يلبون أى نداء ، فإنهم لم يترددوا فى قبول دعوة الخوارج و الانضواء تحتها .

وإذا كان الخوارج قد وجدوا بغيتهم فى البربر ، فإن البربر - هم أيضا - وجدوا ضالتهم فى المذهب الخارجى ، من حيث إنه مذهب ثورى يتلاءم مع طبيعة البربر الثورية ، والذى زاد فى حدة هذه الطبيعة تصرفات بعض الأمراء الخاطئة وتجاوزات بعض الولاة ، فقد ذكر المؤرخون من إغراق هؤلاء الولاة و الأمراء فى الفساد شيئا كثيرا وإن كان صاحب أخبار مجموعة اجتهد فى دفع هذه التهم عنهم ، و جعل السبب الحقيقى فى الثورة عليهم هو طبيعة المذهب الخارجى الناقمة على جميع الأوضاع حيث يقول : " وقد يقول من يطعن على الأئمة أنهم خرجوا ضيقا من سير عمالهم وأن الخليفة و ولده كانوا يكتبون إلى عمال طنجة فى جلود الخرفان العسلية . قال : وهو قول البغض للائمة فإن كانوا صدقوا فما بال التحكيم فشافيهم و رفع المصاحف وحلق الرؤوس اقتداء بالأزارقة و أهل النهروان " (١)

وفى الواقع لسنا نبرئ هؤلاء الولاة من هذه العظائم مما حمل البربر على الثورة (٢) ، وكان وجود الخوارج فرصة لإذكاء هذه الثورة على هؤلاء الولاة والأمراء . ونذكر هنا بعض النماذج من هذه التجاوزات كالتى ذكرها ابن عذارى

---

(١) أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أجزائها لمؤلف مجهول ، طبع مجريط سنة ١٨٦٧ م . (ص) .

(٢) عن ثورات البربر ينظر : عصر هشام بن عبد الملك لعبد المجيد الكبيسى ، فصل : انتفاضات و ثورات البربر فى شمال إفريقية (ص٢٠٩) و مابعدها . وكذلك ثورات البربر فى إفريقية و الأندلس بين سنتى (١٠٦ - ١٣٦) لحسين مؤنس : مجلة كلية آداب القاهرة . (١٠/١٤٣ - ٢٠٦) .

من أن الخلفاء بالمشرق كانوا يستحبون طرائف المغرب و يبعثون فيها إلى عامل افريقية ، فيبعثون لهم البربريات السنيات ، فلما أفضى الامر الى ابن الحبحاب (١) منّهم بالكثير و تكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان ، فاضطر إلى التعسف و سوء السيرة فحينئذ عدت البرابر على عاملهم فقتلوه و ثاروا جميعا على ابن الحبحاب " (٢)

و صورة أخرى للظلم و الاستبداد الذى كان يمارسه الولاة ما يذكره ابن عذارى أيضا من أن " عمر بن عبد الله المرادى (٣) عامل طنجة وما والاها أساء السيرة و تعدى فى الصدقات و العشر و أراد تخميس البربر (أى يأخذ الخمس من البربر كرقيق) و زعم أنه فئ المسلمين . و ذلك ما لم يرتكبه عامل قبله ، و إنما كان الولاة يخمسون ما لم يجب للإسلام فكان فعله الذميم سببا لنقض البلاد و وقوع الفتن العظيمة " (٤)

كل هذه التجاوزات ساعدت على إذكاء روح الثورة فى البربر ، الأمر الذى جعل الخوارج يستغلون هذه الروح لصالحهم و توجيهها الوجهة التى يريدونها و أخذوا ينشرون فى البربر تعاليمهم المنحرفة ، و فى ذلك يقول السلاوى (٥) :

---

(١) هو عبيد الله بن الحبحاب كان عامل هشام على مصر فأمره بالمسير إلى إفريقية وولاه إياها . فى ربيع الآخر سنة ١١٠ وكان رئيسا نبيلا و أميرا جليلا وكاتبا بليغا حافظا لأيام العرب . و هو الذى بنى الجامع بتونس و دار الصناعة سنة ١١٤ وكان قفوله إلى المشرق سنة ١٢٣ .
انظر عنه : المؤنس فى أخبار افريقية و تونس لمحمد بن أبى القاسم الرعينى ، المعروف بابن أبى دينار تحقيق و تعليق : محمد شمام . طبع المكتبة العتيقة بتونس (سنة ١٣٨٧ الطبعة الثالثة) .

(٢) ابن عذارى (١/ ٥١ - ٥٢) .

(٣) لم اعثر له على ترجمة .

(٤)

(٥) تقدمت ترجمته .

" إلى أن حدثت فيهم بدعة الخارجية لأول المائة الثانية من الهجرة نـزغ إليهم بها بعض أهل النفاق من خوارج العراق ، وبثوها فيهم فتلقوها منهم بالقبول وحسن موقعها لديهم بسبب ما كانوا يعانونه من ثقل وطأة الخلافة القرشية وجور بعض عمالها . فلقنهم أهل البدع أن الخلافة لا تشترط فيها القرشية بل ولا العربية ، وإن كل من كان أتقى الله كان أحق بها ولو عبدا حبشيا على ظاهر الحديث .

وقد رسخت هذه البدعة الخارجية فى البربر زمانا طويلا إلى أن اضمحلت فى أواخر المائة الثانية وما بعدها ، ومع ذلك فقد بقيت منها آثار فى أعماقهم " (١)
فى هذا النص كما نرى لخص لنا الأسباب التى دعت البربر إلى قبول دعوة الخوارج وأيضا فيه إشارة الى بداية دخول الفكر الخارجى إلى المغرب وانتشاره به وهو بداية القرن الثانى ، وأيضا بداية اضمحلاله وهو نهاية القرن الثانى .
كما يشير إلى النقطة التى كان يركز عليها الخوارج فى دعوتهم لإثارة البربر على نظام الحكم فى البلاد وهى عدم حصر الخلافة فى قريش ولا فى العرب ، بل كل من توفرت فيه شروطها من التقوى والدين كان صالحا لها . ولا شك أن هذا الأمر أطلق العنان لشهوة البربر للقضاء على الخلافة القرشية والانقضاض على الحكم. وهذا ما كان يسعى إليه الخوارج .

وقبل الحديث عن الدعاة الذين حطوا بذرة الخوارج لبذرها فى المغرب والعمل على رعايتها أحب أن أشير إلى أن الفرق الخارجية التى دخلت المغرب أثنان فقط:

---

(١) الاستقصاء (١/٦٠ - ٦١) .

الإباضية (١) والصفرية (٢) .

---

(١) الاباضية : فرقةمن فرق الخوارج ، انقسمت عليهم لاختلافها معهم فى فهم بعض القضايا العقدية . تنسب هذه الفرقة إلى عبد الله بن إباض المرى التميمى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ولم يشترك فى ثورات الخوارج على الأمويين اللهم إلا فى ثورة قامت فى أواخر حكم مروان الثانى (١٢٧- ١٣٢)هـ - وعندما ضيق عليهم بالمشرق انتقلوا إلى المغرب - كما ذكرت أثناء البحث - وتختلف الإباضية مع جمهور الخوارج فى كونهم لا يحكمون بتكفير مخالفيهم من المسلمين ، ويعتبرون التزاوج والميراث معهم حلالا ، ولا يستبيحون قتل غيرهم من المسلمين . وهم يعترفون بخلافة أبى بكر وعمر فقط من الخلفاء الراشدين وبخلافة عثمان الى آن بدل السيرة وبخلافة علي قبل التحكيم .
انظر عنهم : مقالات الاسلاميين للأشعرى (١٨٣/١) ومابعدها . دائرة المعارف الاسلامية للمستشرقين (١٣/١-١٤) ،كتاب سير الأئمة وآخبارهم (ص ٩ ومابعدها) .

وانظر: تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين (١/ ٣/ ٣٨٥) .

(٢) الصفرية: فرقة من فرق الخوارج ، اختلف فى نسبها : هل تنسب إلى عبد الله بن صفار أم زياد بن الاصفر ، أم النعمان بن صفر أم المهلب بن أبى صفرة . وأرجح الأقوال أنها تنتسب إلى عبد الله بن صفار التميمى . الذى كان مع نافع الأزرق فى بداية عهده ثم انفصل عنه سنة ٦٥ . بسبب اختلافه معه فى قتل أطفال المخالفين ونسائهم ، كما اختلف معه فى القعدة فلم يكفرهم . كما يقول الأزارقة - ماداموا موافقين له فى النحلة ، وكذا اختلفت الصفرية مع الأزارقة فى مرتكب الكبيرة .
انظر عنهم :
مقالات الإسلاميين للاشعرى (١/ ١٨٢- ١٨٣) ، دائرة المعارف الإسلامية (١٤/ ٢٢٩ - ٢٣٢) ، دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين للدكتور احمد محمد احمد جلى ، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية (الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ / ١٩٨٦) (ص ٥٩ - ٦٢) .

لقد كان أول الدعاة الى المذهب الخارجي ، الداخلين الى المغرب – كما تقول المصادر الاباضية نفسها – هو سلمة بن سعيد[(١)] .
حيث تقول هذه المصادر : " ان أول من جاء يطلب مذهب الاباضية بالمغرب سلمة بن سعيد ، قدم من أرض البصرة ومعه عكرمة[(٢)] مولى ابن عباس على بعير سلمة يدعو الى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية "[(٣)] .

فالى هذين الرجلين يرجع الفضل فى ظهور المذهب الخارجى بالمغرب الاسلامى . وذكر المؤرخون فى هذا الصدرر أن عكرمة – الذى كان أصله من البربر من سبى افريقية ، غادرها رقيقا وعاد اليها شيخا مبجلا – كانت له حلقة درس فى آخر مسجد القيروان ينشر فيها العلم والمذهب الخارجى . وعنه انتشرت نحلتهم وآراؤهم فى القيروان وفى بقية أنحاء المغرب واستطاع أن يكون مدرسة صفرية نفذت تعاليمها الى قلوب البربر[(٤)] .

---

(١) انظر عنه : كتاب سير الأئمة وأخبارهم (ص ٥٠ ومابعدها) .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) الخوارج فى بلاد المغرب لمحمود اسماعيل (ص ٤٦) .

(٤) على الشالي : مباحث فى علم الكلام والفلسفة (ص ١٦٥) .

وأما سلمة بن سعيد فقد كان شديد الحماس لدعوته حتى أثر عنه أنه قال "وددت أن يظهر هذا الأمر - يعني مذهب الإباضية - بالمغرب يوما واحدا من الغدوة إلى الليل فما أبالي بعد ذلك اذا ضربت عنقي" (١)

وكانت الوسيلة الأولى التي ركز عليها دعاة الخارجية في نشر مذهبهم ونحلتهم التعليم . حيث كانت لهم حلق يعقدونها في مسجد القيروان ينشرون فيها زيفهم وانحرافهم .

وما لبث أن نفر من تلاميذ سلمة بن سعيد طائفة لتعلم أصول المذهب الإباضي بالبصرة والعودة الى المغرب لنشره به . وكانت هذه الطائفة تتكون من خمسة شباب متحمسين هم: عبد الرحمن بن رستم (٢) مؤسس الدولة الرستمية (٣)

---

(١) سير الأئمة وأخبارهم (ص ٤١) طبعة دار المغرب الاسلامي (ط ٢/ ١٤٠٢/ ١٩٨٢) .

(٢) هو عبد الرحمن بن رستم بن مهران بن كسرى . أصله من العراق ، توجه أبوه إلى المغرب ، نشأ بالقيروان ثم توجه إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة . بإشارة من رجل من أهل الدعوة الإباضية فالتقى مع النفر - الذي ذكرت - فمكثوا عنده مدة ثم انصرفوا عائدين إلى المغرب لينشروا ضلالهم . وهو مؤسس الدولة الرستمية الاباضية بالجزائر .

انظر عنه : كتاب سير الأئمة وأخبارهم (ص ٥٤ - ٥٧) وانظر مصادر أخرى في الهامش رقم (٥) من الصفحة (٥٤) .

(٣) تأسست سنة ١٤٤ على يد عبد الرحمن بن رستم الذي كان قد فر إلى المغرب وأسس مدينة تاهرت سنة ١٤٤ . بعد أن غلب محمد بن الأشعث على القيروان . وقد تعاقب على هذه الدولة من بعده ستة من أفراد أسرته ، ورغم الأخطار التي كانت تحيط بها من كل جانب فقد ظلت قائمة مائة وخمسين عاما .

انظر عنها : دائرة المعارف الاسلامية (مادة بني رستم (١٠/ ٩٢ - ٩٥) .

وأبو داود القبلى النفزاوى ، وابو الخطاب المعافرى وعاصم السدراتى وإسماعيل بن ضرار الغدامسى (١) . فبهؤلاء وبغيرهم انتشرت الإباضية بالمغرب.

وإذا كانت الإباضية استمرت فى الوجود مدداً طويلة وإلى يومنا هذا فى مناطق مختلفة من المغرب فان الصفرية لم تكن كذلك ، إذ سرعان ما انقرضت أو ذاب أغلب رجالها فى مذهب الإباضية .

وتشير المصادر إلى أن بعض شيوخ القيروان من أهل السنة تأثروا بآراء الخوارج وإن كان أصحاب هذه المصادر اجتهدوا فى نفى ذلك عنهم .

فأبو العرب مثلا يروى فى شأن معاوية الصمادحى (٢) أنه " كان ثقة ولكنه رمى بالصفرية ، ولعله لا يصح عنه " . (٣)

وكان أبو الخطاب الكندى (ت ١٦١) (٤) ، الذى روى عن سفيان الثورى وغيره " يرمى بهوى الصفرية " (٥) . ولم يكن التأثر بالمذهب الخارجى مقتصرا على علماء المغرب بل - كما يقول المقريزى - " دخل فى دعوة الخوارج خلق كثير ، ورمى جماعة من أئمة الإسلام بأنهم يذهبون إلى مذهبهم وعد منهم غير واحد من أئمة الحديث" (٦) .

وتجدر الاشارة هنا إلى أنه قامت بالمغرب عدة دويلات صفرية واباضية ثم انقرضت .

---

(١) انظر عن هذه البعثة مقدمة كتاب سير الأئمة وأخبارهم (ص ١٤ وما بعدها) .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) طبقات أبى العرب (ص ٨٠) رياض النفوس (١٥٦/١) معالم الايمان (٢٣٦/١-٢٣٨)

(٤) هو أبو الخطاب محمد بن عبد الأعلى الكندى روى عن مالك والليث وابن لهيعة وغيرهم كان من مشايخ أهل إفريقية ، وكان ثقة فى علمه وما حمل عنه و ممن أخذ عنه البهلول بن راشد توفى سنة ١٦١ . مصادر ترجمته :
طبقات أبى العرب (ص ٨٧) ، رياض النفوس (٢٥١/١) رقم: ١٠٠ .

(٥) طبقات أبى العرب (ص ٩٧) .

(٦) خطط المقريزى (٣٠٣/٣) .

مقاومة علماء المغرب لمذهب الخوارج :-

قبل الشروع في الحديث عن مقاومة علماء السنة المغاربة لمذهب الخوارج يتعين عليّ أن أشير الى الاسباب التي دعت إلى هذه المقاومة و هي كثيرة نذكر منها أهمها :-

السبب الأول : لقد ذكرت في مواضع مختلفة من هذا البحث أن أهل السنة المغاربة كانوا يقاومون كل منهج منحرف عن منهج الإسلام الصحيح وليس هناك انحراف أكثر من انحراف الخوارج الذين يرون تكفير مخالفيهم و وضع السيف فيهم ، ولذلك لم يقر قرار المسلمين أينما وجد الخوارج و حيثما حلوا بفعل ثوراتهم المتكررة و المتصلة . هذه الثورات التي كان من المفروض أن توجه سهامها و نصالها ضد أعداء الإسلام الحقيقيين فإذا بها توجه للمسلمين الموحدين .

السبب الثاني : هو انحرافهم في الجانب العقدي عن منهج أهل السنة ، حيث كان منهج الإباضية في هذا الجانب يشبه إلى حد كبير منهج المعتزلة فقد كانوا يوافقونهم في القول بالوعد والوعيد ، و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر (١) . كما وافقوهم في اعتبار صفات الله تعالى هي عين الذات. وفي إنكار رؤية الله تعالى في الآخرة و تأويل كل ما يوحي بالتشبيه تأويلا مجازيا كاستواء الله على العرش ، والصراط و الميزان . و وافقوهم في مرتكب الكبيرة اذا لم يتب قبل موته فهو مخلد في النار تخليدا أبديا لا تنفعه شفاعة الرسل لأن الله صادق في وعده ووعيده (٢) .

---

(١) للمعتزلة رأيهم المخالف لأهل السنة في باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر حيث يرون حسب مبدئهم ضرورة إنكار المنكر ولو بالثورة على الحكام... الخ .

(٢) الصلة بين المعتزلة و مذهب الاباضية المقيمين في افريقية الشمالية طبعة دار النهضة المصرية . ط ٣ سنة ١٩٦٥ (ص ٢٠٤ - ٢٠٦) .

وإن كانوا يختلفون معهم في هذه المسألة بالذات اختلافا شكليا حيث يقول المعتزلة إن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن بل هو في منزلة بين المنزلتين وإن كان في الآخرة مخلد في النار كما هو عند الاباضية . وهذا أصل من أصولهم التي يقوم عليها مذهبهم . فالإباضية ينكرون هذه المنزلة ، ويحسمون الموقف مع مرتكب الكبيرة . فهو عندهم في الدنيا كافر كفر نعمة. وأما في الآخرة فهو في النار كما هو الحال بالنسبة لكافر الملة .

والنقطة الأخرى التي يختلفون معهم فيها هي مسألة القدر . فالمعتزلة يرون أن الإنسان حر في إرادته وأفعاله ، أما مذهب الإباضية فهو يشبه مذهب الأشاعرة في الكسب " . (١)

السبب الثالث : ما قام به هؤلاء الإباضية من فساد ، حيث كان وجودهم بالمغرب عبارة عن ثورات متصلة - كما قلت - وكانت أفعالهم لا تمت إلى الإسلام بصلة ، حيث يصف لنا ابن عذارى في البيان المغرب (٢) ما فعله هؤلاء الإباضية بقيادة عاصم بن جميل حين دخولهم القيروان من استحلال للمحارم وهتك للأعراض واستهتارهم بالمقدسات الدينية بربطهم دوابهم في مسجد عقبة وفعلهم المناكير فيه وكأنهم في حنق على العرب ودينهم الإسلام فاشتد البلاء على أهل القيروان وما فعله مخلد بن كيداد من تخريب للقيروان " فكل مدينة مر بها خربها وسبى ذريتها وغنم أموالها كفعل نافع بن الأزرق بل قد زاد عليه وأربى وفعل في إفريقية من المعاصي والفجور ما لم تفعله الفراعنة والأكاسرة والقياصرة والجبابرة " (٣) .

---

(١) انظر : الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر وإسبانيا من خلال الاباضية مجلة الأصالة (عدد ٤٦ - ٤٧) . جويلية (ص ١٩) .

(٢) (١/ ٨٠ - ٨١) وانظر الاباضية في الجريد (ص ٣٤) .

(٣) الاباضية في الجريد (ص ١١٩ - ١٢٠) .

لهذه الأسباب ولغيرها كانت مقاومة أهل السنة للمذهب الإباضي ولأهله ومن خلال مطالعاتي حول موضوع المقاومة أمكنني أن أعثر على وسائل عديدة اتخذها علماء السنة في مقاومة الفكر الخارجي بالمغرب الإسلامي فقد كانوا يلجؤون إلى السلاح والقوة إذا لم تُجْدِ معهم الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ومرة يلجؤون الى تفنيد آرائهم والتشهير بهم وإعلام الناس بسوء مذهبهم وفساد معتقدهم عبر الفتوى والدرس والتأليف إلى غير ذلك مما سأتحدث عنه فيما يلي من البحث .

لقد كانت وسيلة القوة ورفع السلاح في وجه الخوارج والمشاركة في حربهم مع جيوش الخلافة السنية هي أقوى الوسائل وأمضاها وأنكاها التي اتخذها علماء المغرب في اخماد جذوة الخارجية والقضاء على شرهما حيث شاركوا في جميع الحملات التي شنها خلفاء بني أمية على مواقع الخوارج المعارضين لخلافتهم ، بالرغم من إنكارهم الشديد على انحرافاتهم ، إلا أن كل ذلك لم يمنعهم من الالتحاق بصفوفهم وضم جهودهم إلى جهودهم ، لأن خطر الخوارج أعظم من خطرهم وشرهم أكبر من شرهم لأنهم مبتدعة يرون فيما يذهبون اليه من البدع والانحرافات قربة يتقربون بها إلى الله .

ولما كان الهدف من خروجهم قد اتحد مع هدف خلفاء بني أمية فلماذا لا يضمون جهودهم إليهم ويحققون بالتالي الهدف المنشود لكليهما وهو القضاء على هذه النحلة الخطيرة وبالتالي يفسحون الطريق لأهل السنة لنشر مذهبهم .

وقد كان هؤلاء العلماء يشكلون أهمية كبيرة للخلافة الأموية حيث كانوا هم الذين يقودون العامة ، يأمرونهم فيأتمرون وينهونهم فينتهون ، مما جعل الخلافة السنية تعتمد عليهم في دفع العامة وتحميسهم للجهاد ضد الخوارج بتنبيههم إلى الخطر الذي ينطوي عليه هؤلاء المبتدعة .

لقد كانت أول موقعة شارك فيها علماء المغرب السنة جيش الخلافة وتعاونوا

معه فى مقاومة الخوارج هى موقعة بقدورة (١) سنة ١٢٤ ، حيث شاركوا مشاركة فعالة ولم يتخلفوا عن داعى الجهاد بل كان لبعضهم دور قيادي فى المعركة وأبلوا بلاء حسنا رغم الهزيمة التى منى بها جيش الخلافة (٢).

ولم تَفُتّ هذه الهزيمة فى عضد العلماء بل زادتهم قوة وإصرارا على مواجهة القوم ، فنهضوا بقيادة عبد الرحمن بن عقبة بن نافع (٣) والتقوا بالخوارج الصفرية فى موضع يعرف بالفحص الأبيض (٤) فهزموهم وقتلوا عامتهم (٥).

ولم يتوقف جهاد العلماء عند هذا الحد بل استمروا فى تحريك العامة وتوعيتهم بخطر الخوارج وانحرافهم. وعاودوا المشاركة مع جيش الخلافة عندما جهزوا جيشا جديدا للمهمة ذاتها ، فخرجوا مع الجيش تحت قيادة القاضى عبد الرحمن بن عقبة وهزموا الخوارج الصفرية فى موقعتين متتالين . (٦)

وإزاء هذا الوضع تجمع الصفرية لقتال عبد الرحمن بن عقبة فخرج إليهم فى أهل القيروان فقاتلهم حتى قتل سنة ١٢٤ (٧).

وقد أدرك الخلفاء أهمية العلماء وجهودهم فى تعبئة العامة ضد الخوارج

---

(١) بقدورة : هى بلدة واقعة على وادى سبو بالقرب من مدينة تيهرت .

(٢) أخبار مجموعة (ص ٢٤) .

(٣) لم اعثر له على ترجمة .

(٤) الفحص : بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره صاد مهملة ، هو كل موضع يسكن فيه جبلا كان أو سهلا بشرط أن يزرع ، وهناك بالمغرب عدة مواضع تسمى الفحص أما الفحص البيض فلم أعثر على موضعها .

انظر : معجم البلدان (٤/٢٣٦) .

(٥) ابن عبد الحكم : الفتوح (ص ٢٩٨) .

(٦) ابن عبد الحكم : الفتوح (ص ٢٩٨) .

(٧) نفس المصدر (ص ٢٩٨) .

فى المراحل الحرجة فشاوروهم وأخذوا برأيهم ، ولما أحس العلماء بهذه العناية من قبل الخلفاء لم يبخلوا عليهم بنصائحهم المخلصة ومعاونتهم الجليلة فى التصدى لنشاط دعاة الخارجية .

وبرز دور علماء السنة المغاربة ضد الخوارج فى مواقع أخر ، وظهر تأثيرهم الكبير على العامة عندما أقبل الخوارج الصفرية فى جموع كبيرة نحو القيروان . وتوقع الناس سوء المصير . وظنوا أنهم سيسبون . فسرى الفزع والرعب فى المدينة .

هنا برز دور العلماء واضحا عندما رفضوا الاستسلام ، وطفقوا يذكرون الناس بفضل الجهاد فى سبيل الله وبينوا لهم سوء مذهب الخوارج فى المسلمين السنة من سبى نسائهم وأطفالهم وهتك حريمهم وسفك دمائهم. عند ذلك هش الناس للجهاد وتحمسوا له وبلغت شدة الحماس عندهم حتى أن النساء عزمن على الخروج للجهاد وحلفن لأزواجهن : لئن انهزم أحد منكم إلينا موليا عن العدو لنقتلنه " (١) .

واستطاع العلماء أن يعبئوا نفوس الناس حماسة وشجاعة ويملؤوها حمية وفتوة وساهموا بقدر كبير فى رفع معنويات الجيوش ، وبعد أن بلغ الحماس مداه اتجهوا نحو الجيوش الصفرية فقضوا عليها وهزموها شر هزيمة .

وتعجب من ذكاء هؤلاء العلماء ودهائهم حين تراهم يرتبون الأولويات فهم دائما يسعون إلى دفع أشد الضررين ثم يتفرغون لأخفهما . فعندما غلبت الصفرية على القيروان بعد معركة وادى أبى كريب (٢) سنة ١٣٩ وقتل فيها نحو

---

(١) انظر : الأثر السياسى والحضارى للمالكية فى شمال افريقية حتى قيام دولة المرابطين د / السيد محمد أبو العزم داود (ص ٩٧) .

(٢) نسبة إلى ابى كريب جميل بن كريب المعافرى من أهل العلم والفضل . قتل فى قتال الخوارج عند الوادى المنسوب اليه سنة ١٣٩ ، ويعرف أيضا بوادى السراويل كما يقول ابن ناجى فى المعالم (١/ ٢٢٩)
وانظر عنه : رياض النفوس (١/ ١٧٢) فى ترجمة أبى كريب .

من ألف من الفقهاء (١)، وأساء هؤلاء الصفرية السيرة فاستحلوا المحارم وعاثوا في الأرض فسادا ولم يعد بامكان الجيوش السنية القضاء عليهم، عند ذلك علم العلماء أن جيوش الإباضية تتجه للقضاء على الصفرية فما كان منهم إلا أن اهتبلوا هذه الفرصة حيث عمدوا إلى حيلة ماكرة، فجعلوا يحثون الناس للانضمام إلى الصفرية حتى إذا اشتد القتال بينهم وبين الإباضية انكشفوا عنهم وتركوهم يلاقون مصيرهم وحدهم. وكانت هذه الحيلة فعلا مجدية حيث هزم الصفرية هزيمة بشعة. (٢)

بعد القضاء على الصفرية وقع أهل السنة تحت وطأة الاباضية، وهم أعداؤهم أيضا، فهم يجتمعون في البدعة ومحاربة السنة ولذلك كان من الواجب على هؤلاء العلماء أن يواصلوا رسالتهم الجهادية ضد الإباضية حتى يقضوا عليهم كما قضوا على الصفرية من قبلهم. فكان لهم ما أرادوا، عندما انقسم الاباضية على أنفسهم، فثاروا على الوالي الإباضي وولوا مكانه عمرو بن عثمان القرشي حتى جاء مبعوث الخلافة إلى القيروان. (٣)

هذا نماذج من جهاد علماء المغرب السنة ضد الخوارج ونماذج من مقاومتهم للفكر الخارجي بالقوة.

ولم يقتصر جهادهم ومقاومتهم لهذا الفكر على هذا الجانب، بل سلكوا مسالك أخرى مثل توعية الناس بخطر الخوارج وكشف عوراتهم وتحذيرهم من مغبة الوقوع في حبائلهم. وفي ذلك يقول الامام ابن حبيب (٤) الذى كان يكفر

---

(١) المالكي: رياض النفوس (١/ ١٧٢).

(٢) ابن الاثير: الكامل في التاريخ (٥/ ١٥٠).

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب (١/ ٧٢).

(٤) مرت ترجمته.

الاباضية " أى أن يشهر فساد ما يعتقدونه لئلا يلبسون على أحد ولئلا يسكن فى قلب أحد من ضلالتهم شيئ " (١)

ويبين بأن خطرهم أشد من خطر اليهود والنصارى لأن هؤلاء " قد عرف الناس أنهم كفار فلا يلبس على الناس أمرهم ولا يخشى على الناس أن ما عندهم حقا " بخلاف الخوارج الذين يظهرون الاسلام وهم براء منه وهو برئ منهم . (٢)

وفى سؤال ورد عليه (أى ابن حبيب) عن قوم من الإباضية سكنوا بين أظهر المسلمين يظهرون بدعتهم فاستولى الآن على البلاد من أخمد ذكرهم وغلب عليهم . فأرادوا الآن هدم مسجد كانوا يصلون فيه وفسخ أنكحتهم من النساء السنّيات وأراد هذا المتولى ضربهم وسجنهم فهل له ذلك أم لا ؟ فأجاب ابن حبيب :

" أما هدم المسجد الذى بنوا فحق وجميع ما يتألفون فيه لأنهم يقصدون الضرار وفى هدمه مذلة لأهل دينهم وبقاؤه ركن لهم وملجأ . وهدمه يؤسس فى قلوب الناس فساد ماهم عليه لأنهم إذا علموا أن ذلك فُعِلَ بقول أهل العلم يتيقنون أن ذلك لفساد ماهم عليه واجتنبوا قربهم " (٣)

فانظر إلى هذا التشديد الذى كان له الأثر الطيب فى القضاء على هذه النحلة أو التضييق عليها وعلى غيرها من النحل المنحرفة وانظر أيضا الى الوعى الذى بلغه الناس من خلال هذا السؤال الذى بعثوا به الى ابن حبيب والى غيره .

ويسأل السؤال ذاته أبو القاسم السيورى (٤) فيفتى بعدم هدم المسجد

---

(١) المعيار المعرب (٢/٤٤٦ - ٤٤٧) .

(٢) نفس المصدر (٢/٤٤٧) .

(٣) المعيار (٢/٤٤٧) .

(٤) انظر ترجمته .

ولكنه يُخَلَّى من أهل البدعة و يعمر بأهل السنة و أما " النكاح الذى أحدثوا من نسائنا فيفسخ و سجنهم و ضربهم إن لم يتوبوا " (١) .

وكانت وسيلة إخراج هؤلاء المبتدعة من المسجد و تفريق حلقهم من الوسائل المجدية التى سلكها علماء المغرب فى مقاومة الفكر الخارجى .

يقول القاضى عياض : " وكان بالقيروان فى مسجدها حلق الصفرية و الإباضية المغيرية إلى أن جاء سحنون بن سعيد ففرق حلقهم و منعهم من بث مبادئهم" (٢)

و قد توّب كثيرا منهم ، منهم رجل يدعى نصر بن رواح (٣) الذى كان غاليا فى مذهبه الخارجى. و قد اتفقت كلمة المؤرخين و أصحاب الطبقات أن سحنونا كان أول من فرق حلق أهل البدع من المسجد الجامع بالقيروان و شرد أهل الأهواء منه ، وكانوا فيه حِلَقاً يتناظرون و يظهرون زيغهم فعزلهم أن يكونوا أئمة للناس و معلمين لصبيانهم ، و أدّب جماعة منهم بعد أن خالفوا أمره. و من ذلك الحين تمحض جامع عقبة لتعليم أصول الشريعة لجماعة السنة دون سواهم.بل حتى لما تأسست دولة خارجية إباضية و هى الدولة الرستمية لم يتوقف علماء المغرب عن الدعوة و نشر السنة و نقد المذهب الإباضى ، و قد اغتنموا فى ذلك جو الحرية الذى وفرته الدولة الرستمية التى سمحت حتى بالمناظرة بين أهل السنة و الإباضية أنفسهم ، و قد نبغ من أهل السنة فى ظل هذه الدولة علماء كثيرون من أشهرهم أبو عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتى و هو أحد ثقات المحدثين المأمونين و أحد تلاميذ سحنون (٤) .

---

(١) المعيار (٢/٤٤٦) .

(٢) ترتيب المدارك (١/٦٠٠) .

(٣) لم اعثر له على ترجمة .

(٤) هو ابو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل بن أبى إسماعيل الزناتى التاهرتى . نشأ بتيهرت و ارتحل إلى المشرق فى حداثته سنة ٢١٧ فسمع من الحديث من ابن مسدد وعمرو بن مرزوق و بشر بن حجر و اجتمع بأدبائها مثل أبى تمام

وكان شاعرا ، عارض دعبل (١) من متعصبة الشيعة ، وعمران بن حطان (٢) من متعصبة الخوارج و قصيدته فى معارضته هذا الاخير مشهورة (٣) انقل منها هذه الأبيات :-

---

= وعلى بن الجهم و دعبل وغيرهم ثم عاد إلى القيروان و سمع من سحنون و غيره و جلس بها للحديث ثم ارتحل إلى تيهرت و معه ولده عبد الرحمن فاعترضه لصوص جرجروه و قتلوا ولده .
وكانت وفاته سنة ٢٩٦ بمدينة تيهرت و هو ابن ست و تسعين سنة. وكان ثقة مأمونا حافظا للحديث .
وكان إلى جانب ذلك نابغة فى الأدب ، واشتهر بالشاعر وله القصائد الطويلة الجيدة فى الأغراض المختلفة .
مصادر ترجمته : تاريخ الجزائر القديم و الحديث لمبارك الميلى ، طبعة دار الغرب الاسلامى (٨٠/٢) .

(١) مرت ترجمته .

(٢) هو ابو سماك عمران بن حطان بن ظبيان السدوسى الشيبانى الوائلى ، رأس القعدة من الخوارج (وهم الذين يرون الخروج و يحسنونه لغيرهم ولا يباشرون بأنفسهم القتال) و خطيبهم و شاعرهم. و هو تابعى مشهور كان قبل انتحاله لمذهب الخوارج من رجال العلم و الحديث من أهل البصرة ، و أدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم. و روى أصحاب الحديث عنه ، و أخرج له البخارى واعتذر عنه بأنه انما خرج له ماحدث به قبل أن يبتدع. و أخرج له ابو داود أيضا و اعتذر بأن الخوارج أصح أهل الاهواء حديثا عن قتادة ، وكان السبب فى خروجه أنه تزوج ابنة عمه التى كانت على دين الخوارج ليردها الى الصواب فأضلته. وكان الحجاج بن يوسف قد طلبه فهرب الى الشام و منها الى عمان حيث مات عند الاباضية سنة ٨٤ .
مصادر ترجمته : الاصابة (١٧٧/٣ - ١٧٨) رقم: ٦٨٧٧ ، تهذيب التهذيب (١٢٧/٨ - ١٢٩) رقم: ٢٢٢ ، سير اعلام النبلاء (٢١٤/٤ - ٢١٦) رقم: ٨٦ ، النجوم الزاهرة (٢١١/١) ، شذرات الذهب (٩٥/١) .

(٣) وهى قصيدة فى مدح ابن ملجم قاتل امير المؤمنين على رضى الله عنه على فعلته الشنعاء تلك .

قل لابن ملجم ـ والأقدار غالبة ـ (١) هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره أضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه ـ على رغم الحسود له ـ مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا ليثا إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر فقلت سبحان رب الناس سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مراد (٢) إذا عدت قبائلها وآخر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت على ثمود بأرض الحجر خسرانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترما ونال ما ناله ظلما وعدوانا
" يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا" (٣)

---

(١) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري ، من أشد الفرسان أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر وقرأ على معاذ كان من القراء وأهل الفقه والعبادة . وكان أسمر حسن الوجه في جبهته أثر السجود . شهد فتح مصر وسكنها وكان من شيعة علي وشهد معه صفين ثم خرج عليه واتفق مع البرك وعمر بن بكر كلاهما من الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة فتعهد البرك بقتل معاوية وعمر بن بكر بقتل عمرو بن العاص وابن ملجم بقتل علي . فقتله وكان له ما أراد . ثم قتله الحسن ـ عليه السلام ـ وقيل أنه احرقه بعد قتله .

مصادر ترجمته : الكامل لابن الاثير (٣/٣٨٨ - ٣٩٢) ، النجوم الزاهرة (١/١٢٠) . لسان الميزان (٣/٤٣٩ - ٤٤٠) رقم : ١٧١٤ .

(٢) المقصود منها قبيلة ابن ملجم المرادي .

(٣) هذا بيت من القصيدة التي مدح بها ابن ملجم ـ عليه لعنة الله ـ والتي عارضه العلماء عليها . والتي منها هذه الأبيات .

بل ضربة من شقي أورثته لظى ... مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا

كأنه لم يرد قصدا بضربته ... إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا (١)

إلى جانب هذه الوسائل التي ذكرتها هناك وسيلة أخرى اتخذها علماء السنة المغاربة في مقاومة الفكر الخارجي هي وسيلة التأليف حيث تناولوا أفكارهم من خلال مؤلفاتهم بالنقد و التفنيد .

فهذا الامام ابن عبد البر قد تناولهم بالنقد و تناول أفكارهم وعقائدهم بالتفنيد من خلال مصنفاته في السنة ، و يبين سوء معتقدهم و انحرافهم عن منهج السنة ،فهو يعرفهم مثلا بقوله : " قوم استحلوا بما تأولوا من كتاب الله دماء المسلمين وكفروهم بالذنوب و حملوا عليهم السيف و خالفوا عامتهم " (٢)

و قال في موطن آخر : " كان للخوارج من خروجهم تأويلات في القرآن و مفارقة لسلف هذه الأمة من الصحابة و التابعين لهم بإحسان الذين أخذ الكتاب

= اني لأذكره حيناً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

أكرم بقوم بطون الطير قبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

لله در المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة شر الخلق إنسانا

أمسى عشية غشاه بضربته ... مما جناه من الآثام عريانا

انظر هذه الأبيات في طبقات الشافعية (١/٢٨٨) خزانة الأدب (٥/٣٥٢) و في غيرهما من المصادر.

(١) انظر هذه الابيات في طبقات الشافعية الكبرى (١/٢٨٨-٢٨٩) خزانة الأدب تحقيق عبد السلام هارون (٥/٣٥٢-٣٥٣) و في تاريخ الجزائر القديم و الحديث لمحمد بن مبارك الميلي تقديم و تصحيح محمد الميلي طبع دار الغرب الاسلامي (٢/٨٠) و قد عارضه كثيرة غيره : منهم أبو الطيب الطبري ، و الاسفراييني في كتابه (التبصير في الدين) وغيرهما انظر عن ذلك : خزانه الادب (٥/٣٥٠-٣٥٤) ، طبقات الشافعية الكبرى (١/٢٨٨-٢٨٩) .

(٢) انظر عقيدة ابن عبد البر (ص ١٢٠) نقلا عن الاستذكار (ق ٧٣) .

و السنة عنهم و تفقهوا عليهم ، فخالفوا فى تأويلهم و مذاهبهم الصحابة و التابعين فكفروهم و كفروا المسلمين بالمعاصي و استحلوا بالذنوب دماءهم وكان خروجهم فيما زعموا تغييرا للمنكر و ردا للباطل ، وكان ما جاؤوا به أعظم المنكر و أشد الباطل فهذا أمر أصل الخوارج و أول خروجهم كان على علي بن أبى طالب - رضى الله عنه - " .

ثم يقول : " وكان للقوم صلاة بالليل و صيام ، يحقر الناس أعمالهم عندها ، كانوا يتلون القرآن أناء الليل و النهار ، ولم يكن يتجاوز حناجرهم ولا تراقيهم لأنهم كانوا يتلونه بغير علم. وكانوا قد حرموا فهمه و الأجر على تلاوته ، و هذا - والله أعلم - معنى قوله : " لا يجاوز حناجرهم " (١) يقول : لا ينتفعون بقراءته كما لا ينتفع الآكل و الشارب من المأكول و المشروب إلا بما يجاوز حنجرته. و قد قيل : إن معنى ذلك أنهم كانوا يتلونه بألسنتهم ولا تعتقده قلوبهم و هذا إنما هو فى المنافقين " (٢).

وقد انتقدهم فى مسائل أخرى غير هذه كإنكارهم للحوض. مثلهم فى ذلك مثل المعتزلة حيث يقول : " و الإيمان بالحوض عند جماعة المسلمين واجب و الإقرار به عند الجماعة لازم و قد نفاه أهل البدع من الخوارج و المعتزلة " . (٣)

كما انتقدهم فى مسائل الفروع كإيجابهم الصلاة على الحائض و نفيهم لرجم الزانى المحصن وغير ذلك من المسائل التى خالفوا فيها الأمة (٤).

---

(١) سبق تخريج الحديث .

(٢) انظر : عقيدة ابن عبد البر (ص ١٢٠) .

(٣) التمهيد (٢/٢٩١) .

(٤) عقيدة ابن عبد البر (ص ١١٩) وانظر حول هذه المسائل : الفصل فى الملل والاهواء و النحل لابن حزم (٤/١٩٠ - ١٩٢) .

و ممن تناولهم بالرد ايضا الامام المازرى فى شرحه لمسلم المسمى بالمعلـــم فى فوائـــد مسلم ، و قد ذكرت المسائل التى انتقدها عليهم عند الحديث عـــن مقاومة الاعتزال . وقد رد على الخوارج بخاصة فى تكفيرهم بالذنب عند شرحـــه لحديث : " أيما امرئ قال لأخيه : ياكافر فقد باء بها أخدهما " الذى استدلـــوا به على ما ذهبوا إليه . حيث يقول " يحتمل أن يكون قال ذلك فى المسلم مستحـــلا فيكفر باستحلاله . و اذا احتمل ذلك لم تكن فيه حجة لمن كفر بالذنب " (١) .

هذا ما كان من أمر مقاومة علماء المغرب للفكر الخارجى . ولعل فيه غناء فـــى رسم صورة حقيقية عن جهود هؤلاء العلماء فى مقاومـــة البدعة و نشر السنة .

و الله الموفـــــــــــــق

المعلم بفوائد مسلم (١/٢٩٥ - ٢٩٦) .

الفصل الرابع

مقاومة علماء المغرب للتصوف

المبحث الاول : في تعريف التصوف وظهوره

المبحث الثاني : بداية انحراف التصوف

المبحث الثالث : المقاومة

المبحث الأول: تمهيد في نشأة التصوف :

تعريف التصوف :-

عرف ابن خلدون (١) التصوف بقوله " هو محاسبة النفس على الأفعال والتروك والكلام في الأذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمريد مقاما ويترقى منها إلى غيرها ، وللصوفية آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة ،فإذا عرض من المعاني ماهو غير متعارف اصطلح على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه ،فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذى ليس يوجد بغيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه" (٢).

وقد سبق الحديث عن اشتقاق لفظ التصوف ، هل هو من لبس الصوف أم من غيره ،فلا داعي لإعادة ذكره هنا (٣).

كما أشرت أيضا ـ فيما سبق من البحث ـ إلى أن التصوف نشأ نشأة طبيعية وهى الزهد في الدنيا ومتاعها ، والإقبال على الآخرة وبذل الجهد لها ، وكان هذا السلوك نتيجة طبيعية لما آل اليه أمر المسلمين بعد فتحهم البلاد ، وإقبال الدنيا عليهم ، حيث امتدت هذه الفتوحات حتى شملت بلاد العجم التي كانت تزخر بكنوز لا قبل للعرب بها من قبل ،فأصبحت تلك الكنوز بأيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤوا ، (٤) فافتتن بها الكثير منهم وهو ماكان حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى وغيره من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) المقدمة (٣/ ١٠٦٥).

(٣) راجع الكلام فى ذلك (ص : ١١٣).

(٤) لكن هذا لا يعنى أن الصحابة والفاتحين كان همهم جمع المال ولا يعنى أنهم إنما خرجوا من بلادهم لمقصد آخر غير نشر الإسلام ،لكن أعداء الإسلام يرون غير ذلك ،يرون أنهم إنما خرجوا لأنهم كانوا متعطشين لحياة مادية أقل شظفا من تلك التى تهيئها لهم حياة الصحراء هذا ماتوصل إليه شيوخ الاستشراق وأذنابهم من أبناء الإسلام بعد دراسة معمقة ومجردة كما يدّعون انظر على سبيل المثال: الفرق الإسلامية في الشمال الافريقى لألفرد بل .

بعث أبا عبيدة عامر بن الجراح [(١)] - رضي الله عنه - إلى البحرين يأتي بجزيتها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي [(٢)] ، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرف تعرضوا له ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال : أظنكم سمعتم أبا عبيدة قدم بشيء ؟ قالوا : أجل يارسول الله . قال : فأبشروا وأملوا مايسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم" [(٣)] .

---

(١) هو الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري المكي أحد السابقين الأولين ، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وسماه أمين الأمة ومناقبه شهيرة جمة ، روى أحاديث معدودة وغزا غزوات مشهودة ، وهو الذى عزم الصديق على توليته الخلافة ، وأشار به يوم السقيفة توفى سنة ١٨ هـ وله ثمان وخمسون سنة.
مصادر ترجمته : المعارف لابن قتيبة (ص ٢٤٧-٢٤٨) ، والجرح والتعديل : (٣٢٥/٦) رقم ١٨٠٧ ، حلية الأولياء (١٠٠/١-١٠٢) رقم ١٠ ، سير أعلام النبلاء (٥/١-٢٣) رقم ٢ . الإصابة في معرفة الصحابة : (٢٨٥/٤-٢٨٩) ، رقم ٧٤٣ .

(٢) هو العلاء بن عبد الله بن عماد بن الحضرمي ، كان من سادة المهاجرين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين ثم وليها لأبي بكر وعمر . وتوفى سنة احدى وعشرين .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير للبخارى (٥٠٦/٦) رقم ٣١٣٠ ، المعارف (٢٨٣-٢٨٤) ، الجرح والتعديل (٣٥٧/٦) رقم ١٩٧٣ ، أسد الغابة : (٧٤/٤-٧٥) ، رقم ٣٧٣٩ ، سير أعلام النبلاء (٢٦٢/١-٢٦٦) ، رقم ٥١ تهذيب التهذيب (١٧٨/٨) ، رقم ٣١٩ .

(٣) أخرجه الإمام البخارى فى المغازى رقم ٤١٥ ، الفتح (٣١٩/٧-٣٢٠) وفى كتاب الجزية (باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب) رقم: ٣١٥٨ ، الفتح (٢٥٧/٦-٢٥٨) وأخرجه فى الرقاق (باب مايحذر من زهرة الدنيا والتنافس عليها) رقم ٦٤٢٥ ، الفتح (٢٤٣/١١) ، ==

وإزاء هذا الافتتان كان طبيعيا أن تنشأ حركة الزهد للوقوف في وجه هذا السيل الجارف ، حيث ظهرت جماعة الزهاد كجماعة متميزة لها خصائص معينة .
وإذا بحثنا في أصل هذه الجماعة نجد أن طريقتهم - كما يقول ابن خلدون " لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة . وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني ومابعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة "(١) .

فهذا النص يبين أن التصوف في بدايته نشأ بقصد الزهد في الدنيا وزينتها والإقبال على الآخرة والعمل لها . وهذا مادعا إليه القرآن والسنة وسيرة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرة الصحابة والتابعين كانت تطبيقا عمليا لهذا الأمر .

ولقد كانت هذه الطائفة في بداية نشأتها غاية في الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة - رضي الله عنهم - الذين كانوا أزهد الناس وكانت أقوالهم تحث على الدعوة الخالصة بالعودة إلى الكتاب والسنه.

- -

وقد أشرت في بداية هذا البحث(٢) إلى طائفة من أقوال أئمة التصوف من أهل المشرق حول هذا الموضوع ، ولما كان البحث يتعلق بعلماء المغرب فإنه يحسن أن

== وأخرجه مسلم في كتاب الزهد رقم الحديث ٢٩٦١ ، صحيح مسلم : (٤ / ٢٢٧٣-٢٢٧٤) ، وأخرجه الامام الترمذي في كتاب صفة القيامة ، رقم الحديث ٢٤٦٢ ، انظر: سنن الترمذي (٤/٦٤٠-٦٤١) .

(١) مقدمة ابن خلدون (٣ / ١٠٦٣) ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي . طبعة لجنة البيان العربي (١٣٧٩ / ١٩٦٠) .

(٢) راجع (ص : ١٢٢-١٢٤) .

أشير أيضا إلى طائفة من أقوال علمائهم لعلها تبرز هذا الجانب عندهم حتى تكتمل الصورة لدى القارئ .

فهذا أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي (ت ١٧٢هـ)(١) الذى كان من الزهاد القانتين المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة ، وكان يوصي بكتاب الله وينصح بالالتزام به ،ففي رسالته إلى البهلول بن راشد(٢) يقول له :" واستعن بكتاب الله عز وجل وكثرة ذكره وتلاوته فإنه الشفاء والرحمة للمؤمنين"(٣) .

وهذا الزاهد أبو خالد عبد الخالق المعروف بالقتاب(٤) الذى كان من المجتهدين في العبادة راغبا في الآخرة كثير الخوف دائم الحزن ، كثير المعروف قليل الهيبة للملوك ، وكان يوصي بالقرآن الكريم والالتزام به والاكثار من تلاوته ويوصي بالصلاة بالليل وبحفظ اللسان وذكر الموت(٥) .

وغير هؤلاء كثيرون ،ممن كانوا قائمين على كتاب الله قراءة ومدارسة وامتثالا لأوامره ونواهيه ، ودعوة لما فيه من الزهد والورع والتعفف .

---

(١) هو أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي ، كان رجلا صالحا متعبدا مستجابا مشتهرا بالفضل والزهد ،روى عن سمعان وعبد الرحمن بن عمر والأوزاعي وغيرهما ، توفى سنة ١٧٢هـ وهو ابن ثمان وعشرين سنة .
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (ص: ٤٥ - ٥٢) ،رياض النفوس : (١/ ٣٠٠-٣١٢) ،رقم ١١٨ ، معالم الإيمان (١/ ٢٥٣-٢٦٣) رقم٧٦ .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) رياض النفوس (١/ ٣٠٦) .

(٤) هو أبو خالد عبد الخالق المتعبد ،يعرف بالقتاب وقيل القتات . كان من طبقة المجتهدين في العبادة من أصحاب البهلول بن راشد ،لم تذكر مصادر ترجمته سنة وفاته .
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (١٤٠-١٤٥) ،رقم ١٤ ،رياض النفوس (١/ ٣٢٤-٣٣١) ،رقم ١٢٢ ،معالم الايمان (٢/ ٢٧-٢٩) (رقم ٨٨) .

(٥) انظر : مصادر ترجمته .

وكانت العبادة والإقبال على الله تعالى والانقطاع إليه والبكاء عند قراءة القرآن أو سماع الموعظة من أبرز سمات الزهاد الأوائل ، وكانت لهم في هذه الميادين مقامات عالية ، فيها دلالة على عظيم زهدهم ، وخوفهم وخشيتهم من الله تعالى واليوم الآخر .

لقد كان منهم من يقطع الليل كله في العبادة ومناجاة الله تعالى ، كما كان يفعل عبد الملك بن أبي كريمة الزاهد (ت ٢٠٤هـ)(١) ، الذى كان يقوم الليل كله فإذا أقبل السحر جعل يدعو بصوت محزون : " إليك قطع العابدون دجى الليل بتبكير الدلج يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك وحدك إلهى لا بغيرك أسألك أن ترفعني درجة المقربين وتجعلنى في زمرة السابقين " فلا يزال كذلك حتى ينادى بالفجر(٢) .

وهذا أبو عبد الله حمدون بن عبد الله العسال (ت ٢٤٤هـ)(٣) الذى كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد في العبادة ، كان يصلي ثلث الليل وينام ثلثه ويبكي ويدعو ثلثه(٤) .

---

(١) هو أبو يزيد عبد الملك بن أبي كريمة الزاهد الأنصارى ، كان ثقة خيرا ، ويقال كان مستجابا ، سمع من أبي مالك وعمرو بن لبيد وغيرهما ، وحدث عنه سحنون وداود بن يحيى وغيرهما ، ألف كتابا في الزهد ، توفى سنة ٢٠٤هـ وقيل سنة ٢١٠هـ.
مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (ص: ٢١٥-٢١٧) ، رقم ١٤٨ ، رياض النفوس (١/٣٢٣) رقم ١٢١ ، تهذيب التهذيب (٦/٤١٨) رقم ٨٧٠.

(٢) رياض النفوس (٢/٣٢٣) .

(٣) هو أبو عبد الله حمدون العسال ، كان أحد المجتهدين في العبادة ، كثير الصدقة ، من أهل الفضل والصدق ، توفى رحمه الله سنة ٢٤٤هـ.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/٤١٠-٤١١) ، رقم ١٣٩ ، معالم الإيمان (٢/١٠٦-١٠٨) رقم ١٠٩ .

(٤) مصادر ترجمته .

وهذا عيسى بن دينار (ت ٢١٢هـ)[١] ناشر مذهب مالك في الأندلس ، يروى عنه أنه ظل أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة .

وكان عبد الرحيم المستجاب (ت ٢٤٧هـ)[٢] غاية في الزهد في الدنيا ومتاعها رغم الأموال الكثيرة التي كان قد ورثها عن أبيه ، وكان آية فى العبادة والإقبال على الله تعالى حيث تذكر مصادر ترجمته أنه كان إذا جن الليل قام إلى محرابه فهو راكع وساجد إلى أن ينادى بالفجر، وكان السهر وطول القيام وسرد الصيام قد غيره ، حتى كان يبدو كأنه مبهوت ،ولما توفي رثاه بعض الشعراء بمرات ،جاء في بعضها : -

ماكان أتقاه وأحسن أمره :: في الله يسعى قد تشمر واتزر

أما النهار فصائم متهجد :: والليل يهتف بالقرآن الى السحر[٣]

أما بكاؤهم عند سماع القرآن أو الموعظة والرقيقة ،فكانت لهم أيضا مقامات عالية فيه ، ومصادر تراجمهم تنقل لنا صورا رائعة عن سلوك هؤلاء عند سماعهم للقرآن

---

(١) هو أبو عبد الله عيسى بن دينار بن واقد الغافقي ،أصله من طليطلة وسكن قرطبة رحل فسمع من ابن القاسم وصحبه وعول عليه ، وانصرف إلى الأندلس فكانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد ، وكان عابدا فاضلا ورعا ، توفى سنة ٢١٢هـ .

مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٣١) رقم ٩٧٥ .

(٢) هو : أبو محمد عبد الرحيم بن عبد ربه الربعي الزاهد المعروف بعبد الرحيم المستجاب سمع من سحنون ومن أسد ،وطلب العلم وعني به ،وكان أول أمره تاجرا في القيروان ثم ترك ذلك ،توفى سنة ٢٤٧هـ .

مصادر ترجمته : طبقات أبي العرب (ص ١١٢) ،رياض النفوس(١/ ٤٢١ - ٤٣٠) رقم ١٤٥ ،ترتيب المدارك (المجلد الثانى : ٩٥-٩٩) .

(٣) انظر : عن هذين البيتين وغيرهما : رياض النفوس (١/ ٤٣٠) ،ترتيب المدارك (٢/ ٩٩) .

وانظر : تراجم أغلبية للقاضي عياض (ص ١٦٣) .

أو الموعظة ، من ذلك ماورد في ترجمة أبي عبد الله حمدون بن عبد الله العسال الذي ذكرته آنفا ،(١) أنه قرأ ليلة قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام * إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * (سورة يوسف : ٨٦) ، فسقط على وجهه في المحراب فأقام ساعة وهو على تلك الحال .(٢)

وكان سبب موت أبي يوسف حجاج بن أبي يعقوب السرتي (ت ٣٤٩هـ)(٣) أنه سمع قارئا يقرأ آية الكرسي فلم يزل يرددها وهو يبكي حتى حمل إلى بيته ففاضت نفسه .

وكان حمدون بن مجاهد الكلبي (ت ٣٢١)(٤) من أهل الزهد والورع والعبادة ،

---

(١) انظر ترجمته (ص : ٥٣٤) .

(٢) انظر مصادر ترجمته .

(٣) هو : أبو يوسف حجاج ابن أبي يعقوب السرتي الدقاق القيرواني ، كان من خيار عباد الله ، كان يقال ماكنا نظن إفريقية أخرجت مثل حجاج في يقينه وثقته وتصحيح معاملته ، انتقل إلى مصر فمات بها ودفن بالمقطم وذلك سنة (٣٤٩) .

مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٣/٦١-٦٣) رقم ٢١٣ .

(٤) هو : حمدون بن مجاهد الكلبي من أصحاب عيسى بن مسكين ، سمع ابن سحنون وكانت له رحلة ، كان من أهل الفضل والدين يحسن الفقه ويتكلم فيه وألف عدة مصنفات في أبواب العلم ، توفي سنة ٣٢١ وقيل ٣١٩ .

==

كثير البكاء عند قراءة القرآن ،كان إذا انصرف من المحراب يوجد موضع سجوده قد ابتل من دموعه . وروى عنه أنه صلى بالناس التراويح فلما ختم بهم ليلة سبع وعشرين أخذ في الدعاء والبكاء والناس حوله يبكون فتاب تلك الليلة ممن يشرب المسكر وغيرهم نحو سبعين رجلاً .(١)

وكان منهم من يكثر البكاء والنحيب إذا سمع مايخوفه من عذاب الله أو يذكره بالآخرة فهذا إبراهيم بن محمد القصرى الزاهد (ت ٣٣٤)(٢) الذى كان إذا قرأ القرآن بكي ،وإذا صلى بكى ،فقد نقل صاحب معالم الإيمان عن أبي محمد بن التبان(٣) أنه قال : قال أبو الحسن الزعفراني(٤) : بتنا ليلة ومعنا أبو إسحاق القصرى فقال قائل :

== مصادر ترجمته : تراجم أغلبية للقاضي عياض (ص ٤٢٠) رقم الترجمة ٨٧٣ بتحقيق محمد الطالبى ،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية سنة ١٩٦٨ م ، رياض النفوس (٢/٢٠٣-٢٠٤) رقم ٢١٢ .

(١) نفس المصدر .

(٢) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن محمد بن عيسى القصرى المؤدب الزاهد من أهل العلم والقرآن والاجتهاد ،وكان له حزن وخشية وورع ، حسن الصوت بالقرآن . وتوفى في السجن سنة ٣٣٤هـ من أجل كلمة حق فى دين الله قالها .
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/٣١٦-٣١٩) رقم ٢٣٢ ،معالم الايمان (٣/٣٩-٤١) رقم ١٩٦ .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) هو : أبو الحسن بن نصر الزعفراني فقيه متعبد له محبة في أهل العلم والصلاح ،توفى سنة ٣٦٢هـ وهو ابن أربع وسبعين سنة .
مصادر ترجمته : معالم الايمان (٣/٨٠) رقم ٢٢٠ .

(٥) رياض النفوس (٢/٣١٩) .

من كان يرجو بأن يلقى سلامته :: يوم الحساب ولا يفزعه مورده
فليحفظ الله في أسرار خلوته :: ولا يغيب عن الإجلال مشهده

فجثا أبو اسحاق على ركبتيه بين يديه يبكي وينتحب حتى هجم الصبح [(١)].

وكان أبو خلف الخياط واسمه مطروح بن قيس (ت ٢٤٦ هـ) [(٢)] غزير العبرة دائم البكاء، كان جالسا مرة مع بعض أصحابه يداعبهم ويسليهم، ثم سرعان ماانقلبت مداعبته معهم حزنا عند ما ذكر له قول عبد الله بن المبارك [(٣)].

وَعَبْرَة في سواد الليل جارية :: على الخدود لحر النار قد دمعوا

فاندفع أبو خلف في البكاء وهو يقول: " واحسرتي، وامصيبتي في نفسي " [(٤)].

---

(١) انظر القصة في ترجمته في معالم الإيمان (٣/٤١)، وهي تذكرني بقصة أخرى وقعت للإمام أحمد - رحمه الله - ذكرها ابن الجوزى - رحمه الله - وهي أن الامام أحمد قال له بعض أصحابه: ياأبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار، أى شيء تقول فيها؟ فقال الامام أحمد: مثل أى شيء؟ قال: يقولون:

إذا ماقال لي ربي :: أما استحييت تعصيني؟
وتخفى الذنب عن خلقي :: وبالعصيان تأتيني

فقال الإمام أحمد: أعد علي. قال: فأعدت عليه، قال: فدخل بيته ورد الباب، فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول:

إذا ماقال لي ربي :: أما استحييت تعصيني.

انظر: تلبيس إبليس (ص: ٢١٨).

(٢) هو أبو خلف مطروح بن قيس الخياط، كان فاضلا جليلا مشهورا بالعبادة سمع من بهلول بن راشد والفضيل بن عياض وغيرهما وصحب جماعة من العلماء والمتعبدين، توفى سنة ٢٤٦ هـ.

مصادر ترجمته: رياض النفوس (١/٤٠٨-٤١٠) رقم ١٣٨، معالم الايمان: (٢/١٠٩-١١١) رقم ١٠٧، البيان المغرب (١/١١٣).

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) انظر رياض النفوس (١/٤١٠).

وكان لأحمد بن معتب بن أبى الأزهر (١) ،صلاة طويله بالليل ، وبكاء حتى يسمع جيرانه بكاءه ، وكان سبب وفاته أنه سمع قارئا يقرأ قوله تعالى " أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ " فخر صعقا وحمل إلى بيته فلم يلبث أن توفى وسمع ذات مرة قائلا يقول :

العفو أولى لمن كانت له القُدَرُ ولا سيما عن مصر ليس ينتصر

أقر بالذنب إجلالا لسيده وقام بين يديه وهو يعتذر

فجعل يبكى وينتحب من شده تأثرة . (٢)

وهذا ابو عمرو بشير بن عمروس العابد (٣) كان من الزهاد العابدين والمنقطعين إلى الله وكان لاينام من الليل إلا قليلا ، أقام على ذلك ستين سنة ، وكان غزير الدمع دخل عليه يوما جماعه من أصحابه ، فجعل أحدهم يقول :

قل لمن جاء يخطب حورا لاعبا أنت فى الخطبه عندى كاذبا

فجعل بشير يبكى وينتحب من شده تأثرة بهذا القول (٤) .

وكان ابو على شقران بن على الفرضى (٥)

---

(١) هو أحمد بن معتب بن ابى الازهر الازدى ، كان نبيلا معدودا من أصحاب سحنون وكان له رحلة الى المشرق وسمع سماعات كثيرة توفى سنه ٢٧٦ .
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/ ٤٧٠-٤٧٢) رقم ١٥٢ ، معالم الإيمان (٢/ ١٧٧-١٨٤) رقم : ١٢٦ - الديباج المذهب (١/ ١٤٧) رقم : ٧

(٢) انظر تراجم أغلبيه (ص ٢٥٨)

(٣) هو أبو عمرو بشير بن عمروس العابد ، كان من المتعبدين الزهاد ، وكانت له قريحة جيده فى العلم وكان يحسنه الا أن العباده غلبت عليه وكان قد حج ودخل الشام وطرسوس ولقى جماعه من الصالحين وانتفع بهم . لم اعثر على سنه وفاته . مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/ ٤١٨-٤١٩) رقم ١٤٣ .

(٤) انظر : رياض النفوس (١/ ٤١٩) .

(٥) هو ابو على شقران بن على الفرضى كان رجلا صالحا ضريرا ، عالما بالفرائض وله فيها كتاب ، روى عنه سحنون وعون بن يوسف ، نشأ على طهارة مع كثرة صلاة وصيام وكثرة حزن وخشية ، وكان يرد الناس إلى عباده ربهم بالموعظه الحسنه
مصادر ترجمته (١/ ٣١٢-٣٢١) رقم ١١٩ ، معالم الإيمان (١/ ٢٧٩-٢٨٨) رقم ١١٩٠ .

وكان يقال إنه مستجاب نشأ على طهارة مع كثرة صيام وصلاة وكثرة حزن وخشية وكان رقيق القلب غزير الدمعة[(١)] .

وهذا الامام ابو الوليد يونس بن مغيث (ت ٤٢٩)[(٢)] الذى كان من أهل العلم بالفقه ، والحديث كثير الروايه ، قائلا للشعر النفيس فى معانى الزهد وما شابهه ، وكان كثير الخشوع لا يتمالك من سمعه عن البكاء ، مع الخير والفضل والزهد فى الدنيا والرضى منها باليسير ، وكان إذا ذُكِر فى شىء من أُمور الآخرة اصفر وجهه ودافع البكاء ما استطاع وربما غلبه فلا يستطيع أن يمسكه ، وكان الدمع قد أثر فى عينية وخديه لكثرة بكائه[(٣)] .

وهكذا كان زهدهم فى الدنيا ومتاعها وتقللهم منها والاكتفاء منها باليسير وايثارهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وكرم النفس ووصل الضعفاء والمحتاجين بما يصلحهم كل ذلك كان من سماتهم أيضا ، فكثير منهم كان لا يدخر من ماله إلا بالقدر الضرورى لحياته أما غير ذلك فكان ينفقه فى سبيل الله ومن اطلع على تراجمهم فى هذا الجانب رأى العجب .

تلك كانت بدايةالتصوف ، وهكذا كانت حال الزهاد قبل الانحراف ، أجملناها فى هذه المقدمه المقتضبه لتكون لدينا خلفيه عن الموضوع حين نشير إلى مقاومة هذا الجانب من قبل علماء المغرب بعد تغير الأحوال وجنوح التصوف إلى الانحراف و الانحلال .

---

(١) رياض النفوس (٣١٣/١) .

(٢) هو أبو الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله قاضى الجماعه بقرطبه وصاحب الصلاة والخطبه بجامعها يعرف بابن الصفار - روى عن ابى بكر محمد بن معاويه القرشى واحمد بن ثابت التغلبى وغيرهما ولى القضاء ، والخطبه ثم انصرف عن كل ذلك ولزم بيته ، ثم قلد مرة أخرى قضاء الجماعه بقرطبة والصلاة والخطبه بجامعها سنة ٤١٩ وبقى قاضيا إلى أن توفى سنة ٤١٩ وكان مولده سنه ٣٣٨ . له مؤلفات عده فى الزهد والرقاق منها (كتاب التسلي عن الدنيا بتأميل خير الآخرة) و(كتاب فضائل المجتهدين) و(كتاب المستصرخين بالله عند نزول البلاء وغيرها مصادر ترجمته تاريخ قضاه الأندلس للنباهى (١ / ٤١٠-٤١١) الصله (٦٨٤/٢) رقم: ١٥١٢

(٣) انظر مصادر ترجمته .

المبحث الثاني

بداية الانحراف :

ثم بدأ الانحراف بالزهد إلى غير طريقة الذى رسم له ، وكانت بداية هذا الانحراف من العباده نفسها حين زاد هؤلاء الزهاد على القدر الذى حدده النبى صلى الله عليه وسلم ظنا منهم أنهم بذلك يتقربون إلى الله أكثر وما دروا أن التقرب إلى الله لا يكون تقربا ، إلا إذا كان موافقا لسنه النبى صلى الله عليه وسلم ، كما يقول الإمام ابن ابى زيد القيروانى [١] " ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول وعمل ونيه إلا بموافقه السنة [٢] وكما يقول الفضيل بن عياض [٣] - رحمه الله - فى قوله تعالى " لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " (سورة الملك : ٢) .

قال : أخلصه وأصوبه ، قيل : يا أبا على : ما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة [٤]

والآيات والاحاديث فى الحث على اتباع النبى صلى الله عليه وسلم والالتزام بسنته وعدم الزيادة عليها لا حصر لها ، فقد قال تعالى : " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ " (سورة آل عمران : ٣١)
وقال تعالى : " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (سورة النور : ٦٣) وقال تعالى : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا " (سورة الحشر : ٧) ، وقال عليه الصلاة والسلام " من رغب عن سنتى فليس منى " [٥] .

---

(١) سبقت ترجمته
(٢) رساله ابن ابى زيد القيروانى (ص ٧٩)
(٣) سبقت ترجمته
(٤) الاستقامه للامام ابن تيمية (١/ ٢٤٨ - ٢٤٩)
(٥) هذا جزء من حديث طويل سبق تخريجه

وقد تناولت هذا الموضوع بالحديث بما يكفى فى موضعه من هذا البحث فليراجع.(١)

قلت:من هنا بدأ الانحراف عند الزهاد المغاربه ، شأنهم فى ذلك شأن إخوانهم بالمشرق الذين كانوا سباقين فى كل شئ للأسباب المعروفه .

لقد بدأ الانحراف أول ما بدأ بالتعمق فى العباده والمغالاه فيها وإجهاد النفس بكثرة العبادة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وذكر وقلة أكل وتبتل وامتناع عما أحله الله تعالى لعباده من الطيبات وامتناع عن المباحات والمبالغه فى ذلك ، ورعا وتزهدا وتقربا إلى الله (٢) على حسب ظنهم ،فهذا أبو حفص بن عبد الله الفتال(٣) جعل على نفسه الا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا أبدا ولا يأكل سمينا أبدا أفيما رُني فعل ذلك حتى مات .(٤)

وهذا هو أبو السرى واصل العابد الجمى (ت ٢٥٢) (٥) أقام أربعين سنة لم يدخر شيئا من الدنيا وإنه ليقيم الأيام لا يطعم شيئا ،فإذا أجهد خرج فأكل من

---

(١) انظر ص : ٨٧ وما بعدها

(٢) يقول الإمام ابن تيمية فى (مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٦١) : ومن تعبد بالصمت أو بالقيام فى الشمس أو الجلوس أو بِالْعَرْيِ ونحو ذلك فهو ضال يجب أن ينكر عليه ، قال : وكذلك من ترك أكل الخبز أو شرب الماء تزهدا فى الدنيا وتقربا إلى الله فهو جاهل مبتدع ضال ،عاص لله ورسوله ناقص العقل مخادع » وفى مقابل أولئك نجد كثيرا من المنكرين لبدع العبادات والعادات مقصرين فى فعل السنن او الأمر بها ولعل "حال كثير منهم كما يقول الإمام ابن تيمية يكون اسوأ من حال من يأتى بتلك العبادات المشتملة على نوع من الكراهية " اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦١٧)

(٣) هو ابو حفص عمر بن عبد الله الفتال- صاحب سحنون ،كان من العباد ،لم اعثر على سنه وفاته - مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/١٩٧-١٩٨) رقم٨٣ معالم الإيمان (١/٢٥٢-٢٥٣) رقم ٧٥ .

(٤) رياض النفوس (١/١٩٧)

(٥) هو أبو السري واصل بن عبد الله الجمى (نسبه إلى قصر جمه الذى كان يرابط فيه) يعبد الله ،وجمه شبه جزيرة أقيمت فوقها مدينه المهدية)كان من أهل ==

الأرض ثم عاد للصلاه .

وكان منهم من يسرد الصيام طول عمره كما كان يفعل يوسف بن مسرور (١) (ت٣٢٥)
وجاء في ترجمته أنه أقام أربعين سنة ماطبخ قدرا ، وأنه جلس ثلاثين سنة ما أكل عسلا
ولا سمنا وكان يقول إنما يريد البقاء في الدنيا من يتلذذ بالطعام والنساء والنوم
وأنا والله عدمت هذه الثلاث .

ثم ظهرت المبالغات والأساطير الذى بدأت تحوم حول هؤلاء الزهاد وكثرة عبادتهم
وكأنهم من غير بنى البشر ، فيذكرون عنهم أنهم كانوا يختمون القرآن مرات عديدة في
ليلة واحدة ، كما جاء في ترجمه ابي عبد الله محمد بن نصر المتعبد (٢) (ت٣٠٩)
أنه كان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات وفي بعضها خمس ختمات (٣) .

ومن المبالغات غير المعقولة أيضا ، ما ورد في ترجمة بعضهم أنه كان يقوم الليل
بخمسمائة ركعة ، كما جاء عن ابى الفضل يوسف بن مسرور الزاهد الفقيه

(==) الزهد والعباده طلب العلم على سحنون وعون بن يوسف - توفى سنه ٢٥٢
مصادر ترجمته : رياض النفوس (١ / ٤٣١-٤٤١) رقم ١٤٦ ترتيب المدارك
(المجلد الثانى / ١٠٠-١٠٤) تراجم أغلبيه (ص١٦٤-١٧٠) رقم ٣٣

(١) هو أبو الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي . كان رجلا صالحا ثقة
كثيرالامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم سمع من يحيى
بن عمر وتوفى سنه ٣٢٥- مصادر ترجمته : تراجم أغلبية (٤١٦-٤٣٩) رقم
١٧٢ رياض النفوس(٢ / ٢٣٤-٢٥١) رقم ٢١٦ معالم الايمان (٣ / ١٣-١٥)

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن نصر المتعبد المعروف بأبن الغنمي ، من رجال محمد
بن سحنون ، كان فقيها زاهدا عابدا ، توفى سنه ٣٠٩- مصادرترجمته
معالم الإيمان (٢ / ٣٥١-٣٥٢) رقم ١٧٣ .

(٣) انظر مصادر ترجمته :

أنه كان يقوم الليل بخمسمائه ركعة يختم فيها القرآن [١] وهذه المبالغات غير معقولة البته ، فغير معقول أن يختم الرجل فى ليلة واحدة خمس ختمات أو ثلاث ختمات أو أن يقوم الليل بخمسمائه ركعة . طبعا هم سيجيبون أنه غير معقول بقياس البشر إما بقياس الله فليس للزمن قيمة لأن الله هو رب الزمن ، وهو الذى يملك أن يمده إلى أضعافه وهو الذى ينعم على عباده بالكرامات فيسخر لهم الزمن إلى آخر كلامهم . ونحن نجيبهم بدورنا : إنه على فرض التسليم بأن ذلك ممكن ، إلا أنه ليس فيه فضل ولا زياده أجر لمخالفته هدي نبينا صلى الله عليه وسلم ، لأن كثرة الختمات لا تكون إلا مع الإسراع ، وهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى قراءة القرآن هو الترتيل امتثالا لامره تعالى " وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً " (سورة المزمل ٤) - ليحصل بذلك التدبر ، يقول الإمام ابن عبد البر [٢] " والترتيل : التمهل والترسل ليقع مع ذلك التدبر وكذلك كانت قراءته صلى الله عليه وسلم حرفا حرفا فيما حكت أم سلمة [٣] وغيرها [٤] ويقول الإمام النووى " وقد اتفق العلماء - رضى الله عنهم على استحباب الترتيل [٥] " وثبت عن أم سلمة [٦] رضى الله عنها

---

(١) المعالم (٣ / ١٣)

(٢) سبقت ترجمته

(٣) سبقت ترجمتها

(٤) انظر التمهيد (٦ / ٢٢٢)

(٥) هو الإمام ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووى الدمشقى (الملقب بمحى الدين) فقيه محدث حافظ لغوى ، كان على مذهب الإمام الشافعى ولد بنوى من أعمال حوران سنة ٦٣١ ، وقرأ القرآن بها وقدم دمشق فسكن المدرسة الرواحية ولازم كمال إسحاق المغربي ، وولى مشيخه دار الحديث بعد شهاب الدين ابى شامة وتوفى بنوى سنة ٦٧٧ ، من تصانيفه الكثيرة : شرح مسلم ، روضه الطالبين فى فروع الفقه الشافعى .
مصادر ترجمته : تذكرة الحفاظ (٤ / ١٤٧٠ - ١٤٧٤) رقم ١١٦٢ — طبقات الشافعية الكبرى (٨ / ٣٩٥ - ٤٠٠) رقم ١٢٨٨ .

(٦) انظر التبيان فى آداب حملة القرآن (ص ٧٥)

" أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا "[(١)] وذكر الإمام الزهرى[(٢)] - رحمه اللـــه - أن قراءته صلى الله عليه وسلم كانت آيةآية[(٣)] - ولذلك يقول عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما -[(٤)] " لأن اقرأسورة أرتلهـــا أحب إلى من أن اقرأ القرآن كله "[(٥)] .

وعن مجاهد[(٦)] "أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخـــر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد ؟ فقال : الذى قـرأ البقرة وحدها أفضـــل ."[(٧)] .

وكما استحب ترتيل القرآن فقد نهى عن الإفراط فى الإسراع فى قراءته وهو ما يسمـــى بالهذ[(٨)] كما ثبت ذلك عن عبد الله ابن مسعود - رضى الله عنه[(٩)] أن رجلا قـــال

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة (باب استحباب الترتيل فى القرآن) رقـــم الحديث : ١٤٦٦ - انظر السنن (٢/٧٤) والإمام الترمذى فى كتاب فضائل القرآن (باب ماجاء : كيف قراءة النبى صلى الله عليه وسلم) رقـــم : ٢٩٢٣ - السنن (٥/١٦٧) والإمام النسائى فى كتاب صلاة الليل (بـــاب ذكر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) انظر سنن النسائى (٣/١٧٤) . والإمام أحمد فى المسند (٦/٢٩٤ - ٣٠٠) .

(٢) سبقت ترجمتـــــه .

(٣) انظر : زاد المعاد لابن القيم (١/٣٣٧) .

(٤) سبقت ترجمتـــــه .

(٥) التبيان : فى آداب حملة القـــرآن (ص ٧٠)

(٦) سبقت ترجمتـــــه .

(٧) التبيان فى آداب حملة القرآن (ص ٧١) .

(٨) الهذ والهذذ : سرعة القطع وسرعـة القراءة - هَذَّ القُرْآنَ يَهُذُّهُ هَذًّا : يقال هو يهذ القرآن هذا ، ويهذ الحديث هذا اى يسرده .

انظر لسان العرب (٣/٥١٧) مادة : هذذ - طبعه : دار صـــادر بيروت (١٣٨٨ - ١٩٦٨) .

(٩) سبقـــت ترجمتـــة .

له " إنى أقرأ المفصل فى ركعة واحدة ، فقال عبد الله بن مسعود : هذاً كهذ الشعراء " إن أقواما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم " (١) .

وإنما استحب الترتيل - كما قلنا - لأن تدبر القرآن وفهم معانيه العظيمه الجليلة لا يكون إلا معه ، ولذلك قال نبينا عليه الصلاة والسلام " لا يفقه من قرأ القرآن فى اقل من ثلاث " (٢) .

ولم يرخص لعبد الله بن عمرو بن العاص (٣) حين راجعه فى المدة التى يختم فيها القرآن أن يقرأه في أقل من سبع فقال عليه السلام: اقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك " (٤) .

---

(١) الأثر عن ابن مسعود أخرجه الإمام البخارى فى الأذان (باب الجمع بين السورتين فى الركعة) رقم ٧٧٥ - الفتح (٢/ ٢٥٥) وفى كتاب فضائل القرآن (باب الترتيل فى القراءة) رقم ٥٠٤٣ - الفتح (٩/ ٨٨) .
وأخرجه الامام مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب ترتيل القرآن واجتناب الهذ) رقم ٢٧٥ -٢٧٨ ، ٢٧٩) انظر صحيح مسلم (١/ ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥) . وأخرجه ابو داود فى الصلاة (باب تحزيب القرآن) رقم ١٣٩٦ ، سنن أبى داود (٢/ ٥٦) وأخرجه أحمد فى المسند (١/ ٣٨٠ ، ٤١٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٦٢) ومعنى لا يجاوز تراقيهم : أى أن القرآن لا يجاوز تراقيهم ليصل إلى قلوبهم فليس حظهم منه إلا مروره على ألسنتهم والتراقى : جمع ترقوة: وهى العظم الذى بين النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين .

(٢) الحديث أخرجه ابو داود فى الصلاة (باب تحزيب القرآن) رقم ١٣٩٤ ، انظر السنن (٢/ ٥٦) وأخرجه الترمذى فى كتاب القراءات رقم ٢٩٤٩ ، سنن الترمذى (٥/ ١٨٢) بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى فضائل القرآن (باب قول المقرئ للقارئ حسبك) رقم : ٥٠٥٤ - انظر الفتح (٩/ ٩٥) ومسلم فى كتاب الصيام (باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق ، وبيان تفضيل صوم وإفطار يوم) رقم ١٨٢ ، ١٨٤ صحيح مسلم (٢/ ٨١٣ ، ٨١٤) واخرجه أبو داود فى الصلاة (باب تحزيب القرآن) رقم ١٣٩٥ . سنن أبى داود (٢/ ٥٦)

فكيف لا يفقه من قرأه مرة فى أقل من ثلاث، وهم الصحابه الذين نزل فيهم القرآن الكريم ، ويفقه من يقرؤه من دونهم ثلاث أو خمس مرات فى اليوم، ومن هنا قال الإمام الذهبى (١) رحمه الله ـ عند ترجمته لسعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ (٢) الذى رُوِيَ عنه أنه كان يختم بين المغرب والعشاء فى شهر رمضان ، قال " هذا خلاف السنة وقد صح النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث " (٣) وقال الإمام الترمذي : قال بعض أهل العلم : لا يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث للحديث الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم " (٤) وتدبر القرآن وفقه معانيه كل ذلك مقصود من القراءة لأن هذا القرآن لا يفعل فعله ولا يؤدى دورة فى النفس البشرية إلا إذا أقبل عليه القارىء بتدبر وتفكر فى معانيه ومقاصده ، قال الله تعالى " كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " (سوره ص : ٢٩) وقال ايضا " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " (سورة محمد "ص" : ٢٤) ثم ترجمة هذه المعاني إلى واقع عملي ، وهذا ما أمر الله به وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ترجمة عملية للقرآن الكريم بأخلاقه وسلوكه ، كما قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ (٥) عند ما سئلت عن خلقه عليه الصلاة والسلام

---

(١) سبقت ترجمته

(٢) مرت ترجمته

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢٥) ، والاثر عن ابن جبير انظره عند الترمذى (٥/ ١٨١)

(٤) سنن الترمذى (٥/ ١٨٠)

(٥) سبقت ترجمته .

" كان خلقه القـرآن " (١) وكان هذا دأب السلف رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، كما يقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما (٢) " لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وامرها وزاجرها وما ينبغى ان يقف عنده منها " (٣) .

ويقول أحدهم كنا نقرأ العشر آيات لا نتعداها إلى غيرها (٤) حتى نعمل بها فكنا نتعلم العلم والعمل معا . هذا كان المقصود والغاية من نزول القرآن وقرأته ، ولذلك كان الجيل الاول لا نظير له ولا مثيل فى الاجيال التى تلته (٥) . وليس الغرض من قراءة القرآن تحقيق أكبر عدد ممكن من الختمات ولو أدى ذلك الى تضييع التدبر والتفكير ، وكذلك نقول فى قيام الليل ، فقد بين عليه الصلاة والسلام أن أفضل القيام هو قيام النبى داود على رسولنا وعليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام فقد كان ينام نصف

---

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام مسلم فى كتاب المسافرين (باب جامع صلاة الليل ومن نام عنها أو مرض) رقم ١٣٩ ، صحيح مسلم (١/ ٥١٢ - ٥١٤) وأخرجه ابو داود فى كتاب الصلاة (باب فى الصلاة فى الليل) رقم ١٣٤٢) سنن أبى داود (٢/ ٤٠-٤١) وأخرجه النسائى فى قيام الليل (٣/ ١٦٢-١٦٣) والإمام احمد فى المسند فى عدة مواضع (٦/ ٥٤ ، ٩١ ، ١١٢)

(٢) سبقت ترجمتها .

(٣) انظر الاثر فى إحياء علوم الدين (المجلد الاول من طبعة الشعب ص ٤٩٨ .

(٤) هذا الاثر يتنقل فيما اظن عن عبد الله بن مسعود ولم اعثر على مصدره حتى اثبته

(٥) حول هذا الموضوع ينظر " معالم فى الطريق للاستاذ الشهيد / سيد قطب رحمه الله (ص) فصل " جيل قرآنى فريد " .
وكتاب : واقعنا المعاصر للأستاذ / محمد قطب (ص)

الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه "[١] وكذلك كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم حيث يقول " وأصلى وأنام" [٢].

وقد جاءت الأحاديث والآثار بعدد الركعات التى كان يقومبها صلى الله عليه وسلم وهى لاتتجاوز فى كل الروايات ـ الخمس عشرة ركعه ،[٣] كما أنكر على المرأة التى كانت تقوم فى المسجد وقد ربطت نفسها بحبل حتى لاتسقط إذا تعبت ، وقال عليه الصلاة والسلام " لا حلوه ، ليصل أحدكم نشاطة فإذا فتر فليقعد "[٤]

---

(١) أخرجة البخارى فى التهجد (باب من نام عند السحر) رقم الحديث ١١٣١ ـ الفتح (١٦/٣) .
وأخرجه مسلم فى كتاب الصيام (باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به) رقم ١٨٩ ـ انظر صحيح مسلم (٨١٢/٢)
وأخرجه أبو داود فى الصوم (باب فى صوم يوم وفطر يوم) رقم ٢٤٤٨ ، السنن (٣٢٧/٢ ـ ٣٢٨) وأخرجه النسائى فى فضل صلاه الليل (باب صلاة نبى الله داود عليه السلام) (١٧٤/٣ ـ ١٧٥) .

(٢) جزء من حديث طويل سبق تخريجه ، راجع ص ٨٩

(٣) روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال : " كانت صلاة النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل" رقم الحديث ١١٣٨ ، فتح البارى (٢٠/٣) وعن مسروق أنه قال " سألت عائشة رضى الله عنها ـ عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل فقالت: سبع وتسع واحدى عشرة سوى ركعتى الفجر ، رقم ١١٣٩ ، الفتح (٢٠/٣) .

(٤) الحديث أخرجة البخارى فى التهجد (باب مايُكرَه من التشديد فى العبادة) رقم ١١٥٠ ، الفتح (٢٦/٣) من حديث انس بن مالك انه قال" دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قيل: هذا حبل لزينب ، فاذا فترت تعلقت به . فقال النبي : الحديث . وهو عند مسلم فى صلاة المسافرين (باب أمر من نعس فى صلاة او استعجم عليه القرآن ـ أو الذكر بأن يرقد ، أويقعد حتى يذهب عنه ذلك "رقم ٢١٩ ، صحيح مسلم ==

وكذلك بين النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام أن افضل الصيام هو صيام النبي داود عليه السلام،" كان يصوم يوما ويفطر يوما "(١) وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه " وأصوم وأفطر "(٢) .

ثم أنتقل إلى امر آخر مهم وخطير، إلا وهو امتناع المتصوفة عن الزواج لأن فيه إلهاءً عن عبادة الله تعالى، وهم متأثرون في ذلك بالنصارى، ولهم في هذا المعنى أقوال شنيعة، منها قول السهروردي (٣) " التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة "(٤) .

ونقل الشعراني (٥) عن احدهم : انه قال" من ترك النساء والطعام

== صحيح مسلم (١/ ٥٤١-٥٤٢) وأخرجه أبو داود في الصلاة (باب النعاس في الصلاة) رقم ١٣١٢، سنن أبي داود (٢/ ٣٣-٣٤) وهو عند أحمد في المسند في مواضع (٣/ ١٠١، ١٨٤، ٢٠٤، ٢٥٦) .

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) هو شهاب الدين ابو الفتوح يحيى بن الحسن بن أميرك السهروردي ولد بسهرورد سنه ٥٤٩ وقتل بحلب سنه ٥٧٨ وعرف بفلسفته الإشراقية واتهم با نحلال العقيدة والتعطيل ولذلك افتى العلماء بقتله - مصادر ترجمته وفيات الأعيان (٦/ ٢٦٨-٢٧٤) رقم ٨١٣-
لسان الميزان (٣/ ١٥٦-١٥٨)
النجوم الزاهرة (٦/ ١١٤-١١٥)

(٤) عوارف المعارف (ص : ١٠٤) التصوف : المنشأ والمصدر (٥٧) .

(٥) هو أبو عبد الرحمن عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني الانصاري الشافعي المصري فقيه، أصولي، محدث، صوفي ولد في قلقشنده بمصر سنه ٨٩٨، وتوفي بالقاهرة سنه ٩٧٣، من تصانيفه الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوه من الأسرار والعلوم، لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، مصادر ترجمته : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٢-٣٧٤) ، معجم المؤلفين (٦/ ٢١٨-٢١٩) .

فلابد من ظهور كرامة "(١) وكان رياح بن عمرو القيسى العابد (٢) يقول " لا يبلغ أحد منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب" (٣) وينقل ابن الجوزى (٤) عن أبي حامد الغزالي قوله" ينبغي ألا يشغل المريد نفسه بالتزويج فإنه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن شغل بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى (٥)،

هذه - كما ترى - أقوالهم فى الزواج - وهى - بلاريب - مخالفة لهدي نبينا صلى الله عليه وسلم بل ومخالفة لكتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فقد بين الله تعالى فى كتابه العزيز أن الزواج من سنن الله فى هذا الكون لاستمرار

---

(١) انظر التصوف المنشأ والمصدر (لاحسان الهى ظهير ص ٦٠)

(٢) هو ابو المهاجر رياح بن عمرو القيسى العابد ، بصرى زاهد ، سمع من مالك بن دينار وحسان بن ابى سنان وطائفه ، وعنه سيار بن حاتم وعلى بن الحسن بن ابى مريم وغيرهما ، وكان قليل الروايه ، وهو من زهاد المبتدعة وقال عنه أبو داود : رجل سوء - مصادر ترجمته : حليه الأولياء (٦/١٩٢-١٩٧) رقم ٣٦١ ميزان الاعتدال (٢/٤٦٩) رقم ١٨٨٨ ، سير أعلام النبلاء (٨/١٧٤ - ١٧٥) رقم ١٩ .

(٣) لا ادرى كيف تنال مرتبه الصديقين بهذا النسك الاعجمى المخالف لِهَدْيِ النبى صلى الله عليه وسلم فى معامله الازواج مثل قوله " خيركم خيركم لاهله و انا خيركم لاهلى" وقوله " استوصوا بالنساء خيرا" وقوله " ان لزوجك عليك حقا وغير ذلك كثير فى هذا المعنى . انظر قوله في السير (٨/١٧٥)

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) انظر : تلبيس ابليس (ص ٢٨٦) وهذه الأقوال يبدو فيها تأثير النصارى واضحا فمن أقوالهم مثلا" ما يقوله هينس (HANS) إن المسيحيين القدامى كانوا يعدون ترك الزواج من الأمور الواجبه والمحببه إلى الله والمقربة الى ملكوته " انظر التصوف : المنشأ والمصدر (ص ٦٤)، وينقلون عن السيد المسيح عليه السلام أنه قال" وأما من جهة الأمور التى كتبتم عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة " نفس (ص ٦٣) .

الحياه البشريه وعمارة الأرض لتتحقق العبودية لله تعالى . يقول سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً " (سوره النساء : ١) .

وقال تعالى (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً) (سورة النحل : ٧٢) وقال سبحانه (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً " (سورة الروم : ٢١) .

ورغب فى كثير من الآيات فى الزواج فقال سبحانه (وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ " (سورة النور : ٣٢) . وقال عز من قائل " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " (سورة النساء : ٣) .

فالعلاقه الزوجية لا يقصد منها اللذه بقدر ما يقصد منها تحقيق سنة الله فى هذا الكون وتحقيق فطرة الله التى فطر الناس عليها " فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ" (سورة الروم : ٣٠) وقد أخبر الله تعالى أن افضل الخلق وأكملهم - وهم الأنبياء عليهم السلام - كانت لهم أزواج وذرية فقال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً) (سورة الرعد : ٣٨) وهؤلاء الصحابة - رضى الله عنهم - وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء . كانت لهم ايضا أزواج وذرية ، وهؤلاء هم قدوتنا الذين أمرنا أن نقتدى بهم حيث يقول الله تعالى (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (سورة الانعام : ٩٠) .

وفضلا عن ذلك الغرض ، فهو أيضا تحقيق لرغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكثير سواد المسلمين وقد جاء الحث من النبى صلى الله عليه وسلم والتأكيد على هذا الأمر ، بل وتفضيل المرأة الولود حيث يقول عليه الصلاة والسلام " تزوجوا الودود الولود فأنى مكاثر بكم الأمم (١) .

---

(١) اخرجه النسائى فى كتاب النكاح (باب كراهيه تزويج العقيم) (٦/٦٥-٦٦) وأبو داود فى كتاب النكاح (باب النهى عن تزويج من لم يلد من النساء) ==

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه " حبب إلىّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة [١] ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما [٢] : " تزوجوا فان خير هذه الامه اكثرها نساء " [٣] .

ومن هنا جاء التحذير من العزوبة والحث على الزواج من قبل السلف الصالح - رضى الله عنهم - يقول الإمام احمد - رحمه الله تعالى " ليس العزوبه من أمر الإسلام في شئ - النبي صلى الله عليه وسلم - تزوج اربع عشر امرأه ومات عن تسع، وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن عمل النبي صلى الله عليه وسلم فهو على غير الحق " [٤] .

ويقول الإمام ابن العربي [٥] في كتابه (العواصم من القواصم) [٦] وهو يرد على المتصوفه " وكيف يدعى أحد قطع علائق ربطها الله قبل ولم يأذن بحلها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشدها ويحث على النكاح وعلى انتقاء الأبكار " .

فضلا عن ذلك كله فالزواج فيه منافع أخرى عظيمة مثل غض البصر عن المحرمات كما قال عليه الصلاة والسلام " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فأنه

== رقم ٢٠٥٠ ، سنن أبي داود (٥٤٢/٢) والحاكم في المستدرك (١٦٢/٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والإمام البيهقي في سننه (٨١/٧) .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٨/٣ ، ١٩٩ ، ٢٨٥) ، والإمام النسائي في كتاب عشرة النساء (باب حب النساء) (٦١/٧) والحاكم في المستدرك (١٦٠/٢) وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في سننه الكبرى (٧٨/٧) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) الأثر عن ابن عباس اخرجه البخاري في النكاح (باب كثرة النساء) رقم ٥٠٦٩ الفتح (١١٣/٩)

(٤) انظر : تلبيس إبليس (ص ٢٨٥ - ٢٨٦)

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) (٣٨/٢)

اغض للبصر واحصن للفرج "[1] وبهذا يكون الزواج فى حد ذاته عباده إذا قصد منه المسلم هذه المعانى ، كما جاء فى الحديث قوله عليه الصلاة والسلام" وفى بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته وله فيها أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر"[2]

ويلتحق بهذا الأمر التمتع بنعم الله الأخرى التى أحلها الله لعباده وأباحها لهم حيث يقول تعالى " قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" سورة الاعراف ٣٢

فلا مانع أن يلبس الإنسان أحسن الثياب ويأكل أحسن الطعام، ويشرب أحسن الشراب لا مانع من ذلك كله لكن بشرط عدم الإسراف والتبذير لقوله تعالى " يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " (سورة الاعراف ٣١) وقال سبحانه أيضا ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ (سورة النحل : ١٤) .

وقال أيضا : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا

---

(١) اخرجه البخارى فى النكاح (باب من لم يستطع الباءة فليصم) رقم ٥٠٦٦ - الفتح (٩/ ١١٢) وأخرجه فى الصوم أيضا (باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة) رقم ١٩٠٥ ، الفتح (٤/ ١١٩) وأخرجه مسلم فى النكاح (باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة) رقم ٣ صحيح مسلم (٢/ - ١٠١٩) وأخرجه أبو داود فى النكاح (باب التحريض على النكاح) رقم ٢٠٤٦ ، السنن (٢/ ٢١٩) .
وأخرجه الترمذى فى النكاح (باب ما جاء فى فضل التزويج والحث عليه) رقم ١٠٨١ ، السنن (٣/ ٣٩٢) ومعنى الباءه : الجماع ، ومعنى الوجاء : نوع من الخصاء والمراد : انه يقطع شهوة الجماع.

(٢) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزكاة (باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) رقم الحديث : ١٠٠٦ ، صحيح مسلم (٢/ ٦٩٧) .

تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (سورة النحل : ٨٠، ٨١) —

وقال سبحانه مخاطبا الرسل عليهم السلام ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ (سورة المؤمنون : ٥١) .

ويقول سبحانه مخاطبا المؤمنين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (سورة البقرة : ١٧٢) .

هذا القرآن ، أما السنة ، فقد كانت سيرة النبى صلى الله عليه وسلم تطبيقا حيا للقرآن الكريم فقد كان عليه الصلاة والسلام يلبس ما تيسر له من اللباس، " لبس صلى الله عليه وسلم البرود اليمانية ولبس الجبة والقميص والسراويل والإزار و الرداء والخف والنعل وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة ، فلا بأس إذا لبس الإنسان ما طاب له من اللباس لكن بدون تكبر ولا خيلاء لقوله عليه الصلاة والسلام " لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء "(١) .

وقوله عليه السلام " لا يدخل الجنه من كان فى قلبه مثقال حبه خردل من كبر و لا يدخل

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى كتاب اللباس (باب من جر ثوبه من الخيلاء) رقم ٥٧٨٣ ، الفتح (١٠/٢٥٣) ، وفى (باب من جر إزارة من غير خيلاء) رقم ٥٧٨٤ ، الفتح (١٠/٢٥٤) و فى (باب من جر ثوبه من الخيلاء) رقم ٥٧٨٨ ، الفتح (١٠/٢٥٧-٢٥٨) بلفظ : بطرا بدل الخيلاء .
وأخرجه فى فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا) رقم ٣٦٦٥ الفتح (٧/) وأخرجه مسلم فى كتاب اللباس (باب تحريم جر الثوب خيلاء) رقم الحديث ٢٠٤٢ ، — ٢٠٤٤) صحيح مسلم (٣/١٦٥٧-٦٣) والإمام الترمذى فى كتاب اللباس (باب ما جاء فى كراهية جر الإزار) رقم الحديث : ١٧٣٠، ١٧٣١ سنن الترمذى (٤/١٩٥) .
والإمام النسائى فى كتاب الزينة (باب التغليظ فى جر الإزار) (٨/١٨٢)

النار من كان في قلبه مثقال حبه خردل من إيمان " فقال رجل : يا رسول الله إني أحب ان يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة أفمن الكبر ذاك ؟ فقال : " لا ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر: بطر الحق وغمط الناس"(١) ، بل بين عليه الصلاة والسلام أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده(٢)

وكذلك كان هديه عليه الصلاة والسلام في الطعام "لا يرد موجودا ولا يتكلف مفقودا فما قرب إليه من الطيبات أكله إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم ، وما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه ، وأكل الحلوى والعسل واكل لحم الجزور والظأن والدجاج والارنب وطعام البحر واكل الشواء واكل الرطب والتمر وشرب اللبن خالصا ومشوبا وشرب نقيع التمر ، واكل الدباء المطبوخه وكان(٣) يحبها واكل الجبن واكل الخبز بالزيت الى غير ذلك .

وكذلك كان هديه عليه الصلاة والسلام في المال ، فلم نسمع انه قال لمن اتبعه

---

(١) اخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان (باب تحريم الكبر) بلفظ ولا يدخل الجنه من كان في قلبه مثقال ذره من كبر) رقم الحديث ٩١ صحيح مسلم (١/ ٩٣) وابو داود في اللباس (باب ما جاء في الكبر) رقم الحديث: ٤٠٩١ سنن ابي داود (٤/ ٥٩) وابن ماجه في الزهد (باب البراءه من الكبر والتواضع) رقم ٤١٧٣ ، السنن (٢/ ١٣٩٧) والامام احمد في المسند (١/ ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٦، ٤٥٦) - بطر الحق : دفعه ترفعا وتجبرا ، وغمط الناس : احتقارهم .

(٢) أخرج الإمام الترمذي في سننه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده" انظر سنن الترمذي كتاب الأدب (باب ما جاء : إن الله تعالى يحب أن يرى إثر نعمته على عبده " رقم الحديث ٢٨١٩ ، السنن (٥/ ١١٤) وقال هذا حديث حسن وهو عند الامام احمد في المسند (٣/ ٤٧٣) .

(٣) انظر زاد المعاد (١/ ١٤٧-١٤٨) فإنه عدد أنواع المآكل التي كان يأكلها والملابس التي كان يلبسها عليه الصلاة والسلام وانظر ايضا تفسير القرطبي (٦/ ٤٢٤ - ٤٢٥) .

انخلع عن مالك واتبعني ، بل بالعكس كان يأمر أصحابه بالإمساك على جزء من أموالهم لان المال هو عصب الحياة كما قال لسعد ابن أبي وقاص [(١)] حين عزم ان يتصدق بجميع ماله فراجعه النبي عليه الصلاة والسلام حتى بلغ به الثلث فقال " الثلث والثلث كثير ، إنك ان تترك ورثتك اغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس [(٢)] وقال لكعب بن مالك [(٣)] حين أراد ان ينخلع عن جميع ماله شكرا لله على توبته عليه حين تخلفه

---

(١) هو الصحابي الجليل أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري المكي أحد العشرة وأحد السابقين الأولين وأحد من شهد بدرا والحديبية وأحد الستة أهل الشورى أسلم في السابعة عشرة من عمره ، توفي سنة ٥٥ . مصادر ترجمته التاريخ الكبير للبخاري (٤/٤٣) رقم ١٩٠٨ المعارف (٢٤١/٢٤٤) حلية الأولياء (١/٩٢-٩٥) رقم ٧ - تاريخ بغداد (١/١٤٤/١٤٦) رقم ٤ - أسد الغابة (٢/٣٦٦ - ٣٧٠) رقم ٢٠٣٧ سير أعلام النبلاء (١/٩٢ - ١٢٤) رقم ٥ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الجنائز (باب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة) رقم ١٢٩٥ الفتح (٣/١٦٤) وفي مناقب الأنصار (رقم ٣٩٣٦) وفي الدعوات (باب الدعاء برفع الوباء والوجع) رقم الحديث ٦٣٧٣ الفتح (١١/١٧٩-١٨٠) وفي الفرائض (باب ميراث البنات) رقم ٦٧٣٣ - الفتح (١٢/١٤) وأخرجه مسلم في الوصية (باب الوصيه بالثلث) رقم ١٦٢٨ صحيح مسلم (٣/١٢٥٠-١٢٥١) وأبو داود في الوصايا (باب ما جاء فيما لا يجوز للموصي في ماله) رقم ٢٨٦٤ ، السنن (٣/١١٢-١١٣) والترمذي - في الوصايا (باب ماجاء في الوصية بالثلث) رقم ٢١١٦ ، السنن (٤/٣٧٤ - ٣٧٥) وابن ماجه في الوصايا أيضا (باب الوصيه بالثلث) رقم ٢٧٠٨ السنن (٢/٩٠٣-٩٠٤) والإمام احمد في المسند (١/١٧٩) .

(٣) هو الصحابي الجليل كعب بن مالك الخزرجي شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الثلاثة الذين خُلِّفُوا يوم تبوك فتاب عليهم الله ، وكان ممن شهد - العقبة توفي سنة ٥١ / مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٧/٢١٩-٢٢٠) رقم ٩٥٣ أسد الغابة (٤/٤٨٧) رقم ٤٤٧٨ سير أعلام النبلاء (٢/٥٢٣ - ٥٣٠) رقم ١٠٧ تهذيب التهذيب (٨/٤٤٠-٤٤١) رقم ٧٩٤ شذرات الذهب (١/٥٦) .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تبوك فقال له عليه الصلاة والسلام " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك " (١)

لكن الصوفية المنحرفة ترى أن الابقاء على جزء من المال يتنافى مع حقيقة التوكل على الله ، فحقيقه التوكل يعني الانخلاع عن كل الأسباب الأرضية .

وهو ما يتنافى مع حقيقه الإسلام ، لذلك يقول الامام ابن عبد البر في شرحه لحديث جابر الطويل في غزوه بني أنمار (٢) " في هذا الحديث رد على من قال من الصوفية لا يدخر لغد " (٣) .

وكان في الصحابه ـ وهم أفضل الخلق بعد الرسل عليهم السلام ـ من كان غنيا يملك الأموال الطائله كعثمان (٤) وعبد الرحمن بن عوف (٥) وغيرهما رضى الله عنهم

---

(١) قصه تخلف كعب بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبة الله عليه أخرجها بطولها الامام البخاري في المغازي (باب حديث كعب بن مالك) ـ رقم الحديث ٤٤١٨ ، الفتح (٨/١١٣-١١٦) وفي مواضع أخرى ، انظر على سبيل المثال رقم ٤٦٧٦ ، ٤٦٧٧ . واخرجها مسلم في كتاب التوبة (باب حديث توبه كعب بن مالك وصاحبيه) رقم ٢٧٦٩ ، صحيح مسلم (٤/٢١٢٠ ـ ٢١٢٨) وانظر مسند الإمام احمد (٦/٣٨٧-٣٩٠) .

(٢) عن هذه الغزوه انظر البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة أنمار) رقم الحديث ٤١٤٠ ، الفتح (٧/٤٢٩-٤٣١) .

(٣) التمهيد (٧/) .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) هو الصحابي الجليل ابو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث احد العشرة المبشرين بالجنة واحد الستة أهل الشورى وأحد السابقين البدريين وأحد الثمانيه الذين بدروا إلى الاسلام وكان من أغنياء الصحابة رضى الله عنه توفى سنه ٣٢ ودفن بالبقيع وعاش خمسا وسبعين سنه . / مصادر ترجمته التاريخ الكبير (٥/٢٣٩) رقم ٧٩٠ المعرف (٢٣٥-٢٤٠) حليه الأولياء (١/٩٨-١٠٠) رقم ٩ أسد الغابة (٣/٤٨٠-٤٨٥) رقم ٣٣٦٤ الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (٢/٣٧٦-٣٩٠) سير أعلام النبلاء (١/٦٨-٩٢) رقم ٤ .

رضى الله عنهم وكانت أموالهم خسيرا للإسلام والمسلمين ودعما لحركة الجهاد والفتح .

أفبعد هذا البيان الشافى الكافى ، يأتى من يضع لنا طرقا جديدة للتقرب إلى الله تعالى ويقول لنا : " ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات " (١) ويقول لنا " الفقر أساس التصوف وبه قوامه " (٢) نعم الفقر الذى استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم وقرنه بالكفر (٣) هو أساس التصوف وقوامه عندهم .

ويقول ابو يزيد البسطامى (٤) عند ما سئل : بأى شىء نلت المعرفة ؟ قال " ببطن جائع وبدن عار " (٥)

والعجيب فى الأمر انهم يعترفون بأنهم متأثرون فى ذلك بالنصرانية يقول أبو طالب المكى (٦) " روينا عن عيسى السلام انه قال : اجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٧) ، ولذلك يقول المستشرق " فون كريمر " (إن الزهد الصوفى نشأ بتأثير من الزهد المسيحى) (٨) ، ويقول المستشرق " جولد سيهر " (ان مدح الفقر وايثاره على الغنى كان من العناصر النصرانية) (٩)

---

(١) هذا القول ينسب لسيد الطائفه الجنيد ، وهو فى قوت القلوب لابى طالب المكى (١/٢٦٦) ونقلته عن التصوف : المنشأ والمصادر (ص ٧٥) .

(٢) التصوف : المنشأ والمصادر (ص ٧٥)

(٣) أخرج النسائى فى سننه فى كتاب الاستعاذة (باب الاستعاذه من الدَّيْن) من حديث أبى سعيد الخدرى أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " اللهم إنى اعوذ من الكفر والفقر " قال رجل : ويعدلان ؟ قال نعم - انظر سنن النسائى (٨/٢٦٤ - ٢٦٥) .

(٤) تقدمت ترجمته ص

(٥) الرساله القشيرية (ص ٨٨)

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) التصوف : المنشأ والمصادر (ص ٧٩) .

(٨) نفس المصدر (ص ٧٩) .

(٩) نفس المصدر (٧٩) وحول التأثر التصوفى الإسلامى بالرهبانيه عن النصارى ينظر : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجري (٢/٢٠) .

وأفضل الطرق طريق نبينا - صلى الله عليه وسلم - وخير السنن سنته التي سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها . ولذلك كان السلف - رضى الله عنهم ينكرون على من خالفها وسلك طريقا غيرها .

دخل الصلت بن راشد (١) على محمد بن سيرين (٢) وعليه جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف . فاشمأز منه محمد بن سيرين وقال : أظن أقواما يلبسون الصوف ويقولون : قد لبسه عيسى عليه السلام ، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع " (٣)

وكان سيد التابعين سعيد بن المسيب (٤) - رحمه الله - ينكر على من يفعل

---

(١) لم اعثر له على ترجمة فى ما وقع تحت يدى من المصادر .

(٢) هو الإمام ابو بكر محمد بن سيرين الأنصارى الأنسى البصرى مولى أنس بن مالك - كان أبوه من السبي ، تملكه أنس ثم كاتبه فوفاه . سمع من أبى هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم وعنه قتادة وأيوب وخالد الحذاء وغيرهم ، كان عالما فقيها ورعا . توفى سنة ١١٠ وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر - رضى الله عنه - مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (١٩٣/٧ - ٢٠٦) ، التاريخ الكبير للبخارى (٩٠/١ - ٩٢) رقم : ٢٥١ ، المعارف لابن قتيبة (٤٤٢) ، حلية الأولياء (٢٦٣/٢ - ٢٨٢) رقم : ١٩٣ ، سير أعلام النبلاء (٦٠٦/٤ - ٦٢٢) رقم : ٢٤٦ .

(٣) انظر : زاد المعاد (١٤٣/١) وقال ابن القيم - رحمه الله - " ذكرها الشيخ أبو إسحاق الاصبهانى باسناد صحيح " .

(٤) هو أبو محمد سعيد بن المسيب ابن حزن بن أبى وهب القرشي المخزومى . عالم أهل المدينة وسيد التابعين . رأى عمر وسمع من عثمان وعلى وعائشة وغيرهم - رضى الله عنهم - وروى عنه خلق لا يحصون . ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر . كان يقال : سعيد ابن المسيب فقيه الفقهاء وعالم العلماء وكان يفتى والصحابة أحياء . توفى - رحمه الله - سنة ٩٣ .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (١١٩/٥ - ١٤٣) ، التاريخ الكبير

مثل ذلك ، كما روى عنه ذلك مسلم بن يسار (١) . حيث قال : سألني سعيد بن المسيب عن إسماعيل بن عبيد الله الأنصارى (٢) فأخبرته عن صدقه و فعله فقال :

" رأيت رجلا ينسك نساك العجم " ينكر عليه لبس الصوف (٣) .

كل هذا يفعله النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتبين لاتباعه أن الدين الذى جاء به هو دين الفطرة ، و هو دين يسير وفق النواميس التى جعلها الله فى هذا الكون فهو يراعى طاقة الإنسان و استعداده فلا يكلفه أكثر مما يطيق (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) (سورة البقرة : ٢٨٦) . وكان صلى الله عليه وسلم يدرك أن النفس البشرية تتحمس للشيئ و تريد أن تستزيد منه ثم سرعان ما تمل و تضعف ، و يبدأ ذلك الحماس يقل و يضمحل حتى يزول تماما . و قد ينقلب الحماس فى كثير من الحالات إلى انتكاس - والعياذ بالله - لذلك ما برح النبى صلى الله عليه وسلم ينبه إلى هذا الخطر و يحذر منه كما جاء ذلك فى كثير من الأحاديث كقوله : " إن هذا الدين يسر فأوغلوا فيه برفق ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه " (٤) . وسمع النبى صلى الله عليه وسلم امراءة تصلى من الليل فقال :

= للبخارى (٣/ ٥١٠ - ٥١١) رقم : ١٦٩٨ ، المعارف لابن قتيبة (٤٣٧) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧ - ٢٤٦) رقم : ٨٨ ، شذرات الذهب (١/ ١٠٢) .

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) سبقت ترجمته فى الفقهاء العشرة الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز إلى المغرب .

(٣) طبقات أبى العرب (ص ٨٥) .

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه البخارى فى الإيمان (باب الدين يسر) رقم : ٣٩ ، الفتح (١/ ١٩٣) وأخرجه النسائى فى الإيمان (باب الدين يسر) . انظر السنن (٨/ ١٠٦) .

و هو عند الإمام احمد فى المسند فى مواضع انظر (٤/ ٤٢٢) (٥/ ٣٥٠ - ٣٥١) يقول ابن التين تعليقا على هذا الحديث " فى هذا الحديث علم من أعلام =

من هذه ؟ فقيل : الحولاء بنت تويت ، لا تنام الليل . فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرفنا ذلك فى وجهه ، ثم قال : "إن الله لا يمل حتى تملوا اكلفوا من العمل مالكم به طاقة" . (١)

وفى رواية "لا يسأم حتى تسأموا" (٢) وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص (٣) - رضى الله عنهما -: "أنك لتصوم الدهر وتقوم الليل ، فقلت نعم . قال : لا تفعل فإنك إن فعلت ذلك هجمت عينك ونفهت نفسك" (٤). أى : أعيت وكلت .

= النبوة. فقد رأينا ورأى من قبلنا أن كل منقطع فى الدين ينقطع. فمنع من الإفراط المؤدى إلى الملال" انظر سنن النسائى (١٠٧/٨) وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم محذرا عبد الله بن عمرو بن العاص (ياعبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل) رقم الحديث ١١٥٢ فتح البارى (٣٧/٣)

(١) أخرجه الإمام البخارى فى التهجد (باب ما يكره من التشديد فى العبادة) رقم : ١١٥١ الفتح (٣٦/٣) وأخرجه مسلم فى صلاة المسافرين (باب أمر من نعس فى صلاة أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك) رقم الحديث : ٧٨٥ ، صحيح مسلم (٥٤٢/١) وأخرجه النسائى فى الإيمان (باب أحب الدين إلى الله عز وجل) سنن النسائى (١٠٧/٨) و انظر الحديث فى التمهيد لابن عبد البر (١٩١/١ وما بعدها) .
ومعنى" لا يمل حتى تملوا: أى لا يمل من الثواب والعطاء على العمل حتى تملوا أنتم من العمل" انظر التمهيد (١٩٤/١) ويقول الإمام المازرى" اختلف فى تأويل : لا يمل حتى تملوا فقيل : إنما ذلك على معنى المقابلة أى لا يدع الجزاء حتى تدعوا العمل" انظر المعلم بفوائد مسلم (٤٥٨/١) . والحولاء بنت تويت: هى الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد القرشية الأسدية انظر ترجمتها فى أسد الغابة (٧٥/٧) رقم الترجمة : ٦٨٥٨ .

(٢) انظر هذه الرواية عند مسلم (٥٤٢/١) رقم : ٧٨٥ .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) أخرجه البخارى فى الصوم (باب صوم داود عليه السلام) رقم : ١٩٧٩ ، الفتح =

وعن ابن عباس (١) -رضى الله عنهما - أنه قال : " إياكم و الغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين " . (٢)

فمنهج الإسلام و هدي النبى صلى الله عليه وسلم هو الوسط بين الغلو و التقصير. وبين الإفراط و التفريط . أوكما قال مطرف بن عبد الله الشخير (٣) : " الحسنة بين سيئتين " (٤) لأن الغلو فى أعمال البر سيئة و التفريط فيها أيضا سيئة .

و يقول السلاوى (٥) عن وسطية هذا الدين ووسطية شريعته ما نصه : و من أمعن نظره فى نصوص الشريعة من الكتاب و السنة علم يقينا أن طريق النجاة إنما هى سلوك الوسط ، و أن كلاً من التعمق و الانحلال ضلال " (٦) .

و هذا الذى حذر منه النبى - صلى الله عليه وسلم - هو الذى آل إليه أمر التصوف فيما بعد . حيث انقلب الإقبال على العبادة انصرافا عنها ، و استمر الانحراف حتى وصل إلى الوضع المؤلم الذى وصل إليه فيما بعد من الانصراف عن القرآن الكريم إلى

= (٤/٢٢٤) وأخرجه مسلم فى الصيام (باب النهى عن صوم الدهر) رقم : ١٩٠ صحيح مسلم (٢/٨١٦) وانظر الحديث فى التمهيد لابن عبد البر (١/١٩٥) .

(١) سبقت ترجمته .

(٢) انظر هذا الأثر فى التمهيد لابن عبد البر (١/١٩٥) .

(٣) هو ابو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى العامرى البصرى الإمام القدوة الحجة. حدث عن غير واحد من الصحابة منهم على وعمار و ابوذر وعثمان و عائشة- رضى الله عنهم - وعنه الحسن البصرى و ثابت البنانى و قتادة وغيرهم توفى فى أول ولاية الحجاج سنة ٩٥ . مصادر ترجمته : المعارف (٤٣٦) الحلية (٢/١٩٨) رقم: ١٧٨ . سير أعلام النبلاء (٤/١٨٧-١٩٦) رقم : ٧٧.

(٤) التمهيد (١/١٩٥) .

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) الاستقصاء (١/٦٠) .

أوراد و رقائق أحدثوها و ظنوا أنها أهم من القرآن الكريم ، إلى القول بوحدة الوجود و تقديس المريد للشيخ حتى بلغ الأمر أن يعتذر له فى تفريطه فى أنواع العبادات و تعاطيه لأنواع المحرمات (١) .

ولكن التصوف لم ينتقل مرة واحدة إلى هذا الوضع ، بل مر بمراحل عديدة قبل أن يصل إلى ما وصل اليه. لقد بدأ هذا التحول و الانتقال - كما سبق الحديث عنه - بالغلو فى العبادة ثم انتقل إلى البحث عن الكرامات ، وغلا الصوفية فى هذا الجانب حتى وقعوا فى المحظور من القول برؤية الله حقيقة إلى غير ذلك من الطامات التى وقعوا فيها . و فى ذلك يقول ابن العربى : " نجمت فى آثارها أمم انتسبت إلى الصوفية وكان منها من غلا و طفف وكاد الشريعة و حرّف و قالوا : لا ينال العلم إلا بطهارة النفس و تزكية القلب و قطع العلائق بينه و بين البدن و حسم مواد أسباب الدنيا من الجاه و المال و الخلطة بالجنس و الإقبال على الله بالكلية علما و عملا مستمرا حتى تتكشف له الغيوب فيرى الملائكة و يسمع أقوالها و يطلع على أرواح الأنبياء

---

(١) فى هذا المعنى يقول الشاعر المعاصر محمد الزاهرى (أحد أعضاء جميعية العلماء المسلمين الجزائريين) .
و الأبيات منشورة فى مجلة الشهاب التى كان يصدرها الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - رئيس هذه الجمعية . (الجزء التاسع / ص ١٠ / سنة ١٩٣٤) .

كانوا طوائف شتى كل طائفة	تطيع شيخا لها فى كل مازعما
إن قال : إنى ولى صدقوه و إن	هو ادعى الغيب قالوا أحكم الحكما
و إن هو ارتكب الفحشاء فاضحة	فلا محالة معذور و قد اثما
او احتسى الخمر قالوا : إنها عسل	و لا غرابة فى هذا ولا جرما
او ادعى أن خير الخلق يخدمه	فما اعتدى عندهم فيها ولا ظلما
أو لم يصلّ رأوه حسبما زعموا	يقيمها إذ يزور البيت و الحرما
اذا بكى حسبوا الأيام باكية	و يضحك الدين و الدنيا إذا ابتسما
فى كفه المنع و الإعطاء عندهم	و الخير و الشر فيما شاد أو هدما

و يسمع كلامهم. هذا و وراء هذا ينتهي إلى القول بمشاهدة الله علنا يدخلونه في باب الكرامات . " (١)

وكان الاجتماع بالخضر (٢) -عليه السلام- والتحدث إليه من علامات الصالحين في ذلك الزمان ، وكأن الولاية لا تحصل إلا بملاقاة الخضر والاجتماع به ، فكثيرا ما نقرأ في تراجم الزهاد أن فلانا كان له اجتماع بالخضر ، فهذا عيسى بن مسكين (ت ٢٧٥) (٣) جاء في ترجمته أنه كان يجتمع بالخضر -عليه السلام- وقال هو عن نفسه : اجتمعت بالخضر مرتين .

وهذا حماس بن مروان الزاهد (ت ٣٠٣) (٤) ذكروا في ترجمته أنه كان له اجتماع بالخضر . وممن كان يجتمع بالخضر أيضا ، محمد بن محمد بن سحنون (ت ٣٠٧) (٥) فقد جاء في ترجمته هو أيضا أنه كثيرا ما كان يجتمع بالخضر ، وكذلك

---

(١) العواصم من القواصم (٢/٣٠) .

(٢) سبق الحديث عن الخضر وبقائه في الدنيا واجتماعه بالناس فراجع :(ص ١١٧)

(٣) هو عيسى بن مسكين بن منصور بن جريح بن محمد الإفريقي ، أصله من العجم ، سمع من سحنون وابنه جميع كتبه ، وسمع بالشام ومصر من أبي جعفر الآبلي والحارث بن مسكين ومحمد بن المواز وغيرهم . توفي سنة ٢٧٥ .
مصادر ترجمته : ترتيب المدارك (٢/٢١٢-٢٢٨) .

(٤) هو أبو القاسم حماس بن مروان بن سماك الهمذاني القاضي الزاهد. كان زاهدا ومتعبدا سمع من الإمام سحنون وابن عبدوس ، وكان بارعا في الفقه ولا يهاب سلطانا ، تولى القضاء وكان عادلا . توفي رحمه الله سنة ٣٠٣ .
مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٢/٣٢٠-٣٣٠) رقم : ١٦١ ، رياض النفوس (٢/١١٨-١٢٢) رقم ١٧٨ الديباج المذهب (١/٣٤٢-٣٤٤) رقم : ٠٣ .

(٥) هو أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي ، كان ورعا فاضلا لم يسمع من أبيه وسمع من رجال جده . ودارت عليه محنة . ضربه فيها المروزي قاضي الشيعة لاشياء بلغته عنه . توفي سنة ٣٠٧ وقيل ٣٠٨ وهو ابن اربع

المجال بالنسبة لمحمد بن القطانية المتعبد (ت ٣١١) (١) فقد كان يجتمع بالخضر - عليه السلام -.

وإذا كان الزهاد الأوائل يدفعهم زهدهم إلى بذل النفس في سبيل الله إرضاء لربهم ودفعا للعدو عن حياض المسلمين، ومن اطلع على تراجمهم في هذا الجانب رأى من ذلك العجب، إذا كان الزهاد الأوائل كذلك فإن المتأخرين منهم كانوا على غير ذلك تماماً حيث انصرفوا عن الجهاد والبذل إلى البحث في قضايا ليس وراءها أي فائدة تذكر، وانطووا على أنفسهم.
وبدل أن يكونوا عناصر فعالة تقود الناس إلى الخير وترشد إليه أصبحوا عناصر سلبية لا تقدم ولا تؤخر. وانصرفوا عن العمل إلى البحث عن المراتب الصوفية، فكثيرا ما نقرأ في تراجم الزهاد أن فلانا كان من الابدال(٢)، أو كان يجوب الأرض

= وخمسين سنة. وكان مولده سنة ٢٥٦ في العام الذي توفي فيه والده.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/١٥٢ - ١٥٥) رقم: ١٩٢، معالم الإيمان (٢/٣٤٥ - ٣٤٩) رقم: ١٦٩.

(١) هو ابو عبد الله محمد بن القطانية المتعبد، كان مشهورا بالاجتهاد في العبادة، وكان زاهدا ورعا، إلى جانب علمه بالفقه. توفي سنة ٣١١.
مصادر ترجمته: رياض النفوس (٢/١٧٦ - ١٧٧) رقم: ١٩٨، معالم الإيمان (٢/٣٦٠ - ٣٦١) رقم: ١٨٠.

(٢) الأبدال: جمع بديل، وتجمع أيضا على بدلاء. قال بعضهم: هو لفظ مشترك في عرف الصوفية فتارة يطلقونه على الذين بدلوا الصفات الذميمة بصفات حميدة. وعددهم لا يدخل تحت حصر. وتارة يطلقونه على عدد معين يبلغ عند البعض أربعين يشتركون في صفة خاصة، ويبلغ عند آخرين سبعة. وسموا بالأبدال السبعة لانهم حين يغيب واحد منهم يخلفه الذي يليه في المرتبة وقد استدلوا على وجودهم بحديث موضوع: " بدلاء أمتي سبعة ".
انظر حول تعريف البدلاء بتوسع: كشاف اصطلاحات الفنون (١/٢١٠ - ٢١٣) مادة: بدل. ولسان العرب (١٣/١٥) مادة (بدل)، تاج العروس =

بحثا عن الأبدال ، مثل ما جاء في ترجمة ربيع بن عبد الله الناسك (١) ، أنه كان من أهل الفضل والدين تخلى عن الدنيا وتجرد منها وسلك طريقة أهل الصدق في الانقطاع إلى الله عز وجل وكان كثير السياحة والتغريب عن الأوطان وسكن جبل اللكام (٢) وصحب الأبدال .

وهذا معاذ بن عثمان (ت ٢٣٤) (٣) كان عابدا ناسكا ، وكان يقال : إنه من الأبدال ، ومنهم محمد بن سلمة الصدفي (٤) الذي يقول عنه ابن الفرضي (٥) : " كان حافظا للمسائل ولي القضاء وكان أحد الأبدال " (٦) .

وكذلك كان أبو أيوب سليمان بن حامد الزاهد القرطبي (٧) ، الذي يقول فيه

= (٧/٢٢٣) وحول أحاديث الأبدال والاقطاب والاغواث وهي كلها باطلة ، انظر المنار المنيف (١٣٦) لابن القيم .

(١) هو أبو سليمان ربيع بن عبد الله الناسك ، كان من أهل الفضل والدين تخلى عن الدنيا وتجرد منها ، لم تذكر المصادر سنة وفاته . مصادر ترجمته : رياض النفوس (١/١٩٨ - ١٩٩) رقم : ٨٤ ، معالم الإيمان (٢/٢٩٣ - ٢٩٤) رقم : ١٥٧ .

(٢) جبل اللكام : هو امتداد لجبل لبنان عند المصيصة وأنطاكية ، كان الصالحون والعباد يأوون إليه . انظر : معجم البلدان (٧/٣٢٠ - ٢٣٦) .

(٣) هو ابو عبد الله معاذ بن عثمان الشيباني كان عابدا ناسكا وكانوا يعدونه مجاب الدعوة ، تقلد القضاء سنة ٢٣٢ فعطل فيه ثلاثة أعوام . ومات وهو يليه سنة ٢٣٤ مصادر ترجمته : المقتبس (ص ٦٨ - ٧١) والتعليق رقم : ١٧٥ (ص ٤٧٩) ، الخشني (ص ٨٥ - ٨٧) .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصدفي ، من أهل قطيلة ، تنقل في الأندلس ثم رحل إلى المشرق فسمع به كان بعيد الصوت في الخير جليلا ، لم أجد سنة وفاته ولكنه استقضاه الأمير سنة ٢٧٢ .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي (٢/١٢) رقم : ١١٢٤

(٥) سبقت ترجمته .

(٦) تاريخ علماء الأندلس (٢/١٢) .

(٧) هو أبو أيوب سليمان بن حامد الزاهد ، من أهل قرطبة كان من أعبد أهل زمانه =

ابن الفرضي : " كان أعبد أهل زمانه وكان يقال : إنه مجاب الدعوة و أحد الأبدال"

ولا شك أن اتصال المغرب بالمشرق عبر الرحلات التي كان يقوم بها الصوفية ، كان له الأثر الكبير في انتقال الأنماط السلوكية الخاصة بأهل التصوف إلى المغرب فعبر هذه الرحلات انتقلت كتب المشارقة المحملة بالاصطلاحات الصوفية مثل البدل و العارف وغير ذلك مما أغنانا كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم عن البحث فيها إلى المغرب.

إلا أن قاصمة الظهر جاءت عندما اختلط التصوف بالفلسفة ، عند ذلك انتقل التصوف من كونه مجرد سلوك عملي إلى تأملات عقلية فلسفية ، و انتقل من طور الزهد والرياضة والمجاهدة الى الطور البدعي الفلسفي ، والذى ظهرت ثماره كاملة في مذهب ابن عربي الطائي (ت ٦٣٨) (١) ونتج عن هذا

= توفي في سنة ٣٠١ . مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي : (١٨٦/١) رقم : ٥٥٤ .

(١) هو الشيخ محي الدين بن عربي ، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي . الصوفي المشهور. كان على مذهل أهل الظاهر في الفقه و مذهب أهل الباطن في الاعتقاد . ولد بمرسية (بالأندلس) سنه ٥٦٠ و انتقل إلى اشبيلية و سمع الكثير بها ثم ارتحل إلى المشرق و أجازه جماعة ، منهم الحافظ السلفي و ابن عساكر و ابن الجوزي . و دخل مصر و الحجاز و بغداد و الموصل ودمشق . من مؤلفاته : الفتوحات الربانية ، وكتاب الفصوص وغيرهما ، توفي سنة ٦٣٨ و قد أتى بالطامات ، كفره عليها كثير من العلماء و اعتذر له كثير منهم . من أقواله : يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

و هذا الكلام على ظاهره كفر لأن فيه نسبة صفة نقص إلى الله تعالى الذى لا يجوز في حقه إلا صفات الكمال . و قد اعتذر هو عن كلامه هذا بقوله جوابا لمن سأله عن هذا البيت: يا من يراني مجرما ولا أراه آخذا

كم ذا أراه منعما ولا يراني لائذا

و من هنا قال المقري في نفح الطيب (١٦٨/٢) : " من هذا و شبهه تعلم =

الانتقال تحول فى فهم القرآن الكريم . وفى فهم الشريعة الغراء ، فلم يعد القرآن هو هذا المعنى الظاهر الذى يفهمه كل واحد . والذى جاء القرآن من أجله كما قال تعالى : (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) (سورة القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠) . لم يعد هذا المعنى الظاهر هو المقصود من كلام الله تعالى ، وإنما وراء هذه المعانى الظاهرة معان أخرى باطنية هى المقصودة فى الحقيقة . وهذه المعانى لا يدركها ولا يصل إليها إلا من سلك طريقة القوم .

وصار علم الشريعة - كما يقول ابن خلدون : " على صنفين ، صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهى الأحكام فى العبادات والعادات والمعاملات ، وصنف مخصوص بالقوم فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام فى الأذواق والمواجد العارضة فى طريقها وكيفية الترقى فيها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم فى ذلك (١) " .

= أنه كلام الشيخ - رحمه الله تعالى - مؤول ولا يقصد ظاهره وإنما له محامل تليق به " . قلت : لقد كان ابن عربى يوسعه أن يقول هذا الكلام المؤول إليه كلامه الأول ، ونحن لسنا ملزمين بتأويل كل كلمة ينطق بها . وإنما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر . ولست أدرى ماذا يقول المغربى وغيره ممن همه الاعتذار لابن عربى ، فى كلامه الذى لا يحتمل إلا وجها واحدا ولا يمكن تأويله بحال من الاحوال مثل قوله :

الرب عبد والعبد رب   فليت شعرى ، من المكلف ؟
إن قلت : عبد فذاك رب   أو قلت : رب ، أنى يكلف ؟

انظر عن هذه الأقوال ومثلها رسالة العبودية : لابن تيمية (ص١٣ وما بعدها) .

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون (٣/١٠٦٣) تحقيق الدكتور : على عبد الواحد وافى . طبعة لجنة البيان العربى (١٣٧٩ / ١٩٦٠) .

ولقد برز في المرحلة التى أنا بصدد دراستها ، رجال كثيرون من هذا الاتجاه .

نذكر منهم : محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلى (ت ٣١٩) (١) ، الذى كان على طريقة من الزهد ، جمع أصنافا من المعرفة مما جعل الناس تفتتن به ، فقد كان بالإضافة إلى طريقته فى الزهد له طريقة فى البلاغة و تدقيق فى غوامض إشارات الصوفية . أضف إلى ذلك تأثره بالمتكلمين و بخاصة المعتزلة منهم .

فكان يذهب مذهبهم فى الاستطاعة و إنفاذ الوعيد إلى غير ذلك . يقول عنه صاعد الأندلسى : " وكان عبد الله بن مسرة الجبلى الباطنى من أهل قرطبة كلفا بالفلسفة دؤبا على دراستها . وكان أول من ذهب إلى الجمع بين معانى صفات الله تعالى و أنها كلها تؤدى إلى شيئ واحد و أنه إن وصف بالعلم و الجود و القدرة فليس هو ذ ومعان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة و إلى هذا المذهب فى الصفات ذهب أبو الهذيل العلاف ." (٢)

وكان قد اتهم - قبل ذلك - بالزندقة " فخرج فارا و تردد بالمشرق مدة فاشتغل بملاقاة أهل الجدل و أصحاب الكلام و المعتزلة. ثم انصرف إلى الأندلس فاظهر نسكا وورعا و اغتر الناس بظاهره ، فاختلفوا إليه و سمعوا منه ، ثم ظهر الناس على سوء معتقده " . (٣)

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة ، سمع من أبيه و من محمد بن وضاح و الخشنى . وخرج إلى المشرق فحرص على لقاء المتكلمين و الفلاسفة وعند عودته إلى الأندلس اختلف فيه الناس إلى فرقتين : فرقة تبلغ به مبلغ الإمامة فى العلم و الزهد و معظمهم ممن غلب عليهم الجهل و فرقة تطعن عليه بالبدع لما ظهر منه من الكلام و خروجه عن العلوم المألوفة بأرض الأندلس.
توفى سنة ٣١٩ . مصادر ترجمته : بغية الملتمس (ص ٧٨) رقم : ١٦٣ ، تاريخ علماء الأندلس (٢/٣٩ - ٤٠) رقم : ١٢٠٤ .

(٢) طبقات صاعد (ل : ١٠/ب) .

(٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (٢/٣٩) .

وأصبح لهذا الرجل مذهب خاص به ، خليط من كل المذاهب والاتجاهات يستمد أكثر آرائه من الفلسفة الشرقية في أمشاج من الأفلاطونية المحدثة والتصـــــوف الغالي إلى القول بآراء المعتزلة .

وإلى هذا المذهب ينتسب كثير من المغاربة منهم : محمد بن مفرج المعافري (ت ٣٧١)(١) الذي كان يعتقد مذهب ابن مسرة ويدعو اليه .

ومنهم محمد بن أحمد بن حمدون (ت ٣٨٠)(٢) الذي كان مشهورا باعتقاد ابن مسرة لا يتستر بذلك .

ومنهم محمد بن عبد الله بن خير القيسي (ت ٣٨٧)(٣) فقد كان هو الآخر ينســب إلى اعتقاد ابن مسرة ، ولذلك ترك أهل الحديث الأخذ عنه .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافري ، من أهل قرطبة سمع من قاسم بن أصبغ وغيره ، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من ابن الأعرابي وبمصر من عبد الملك بن محمد بن بحر . توفي في رمضان سنة ٣٧١ .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٨١ - ٨٢) .

(٢) هو أبو عبد الله أحمد بن حمدون بن عيسى بن علي بن سابق الخولاني من أهل قرطبة . يعرف بابن الإمام . ولد سنة ٣٠٥ ، سمع من أحمد بن خالد ومحمد بن قاسم والخشني وغيرهم . كان حافظا للأخبار والأنساب عالما باللغـــــة لسِناً . توفي سنة ٣٨٠ .
مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس (٢/ ٩٣) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر بن خير الأندلسي ، من أهل قرطبة ، سمع من أحمد بن خالد ومحمد بن قاسم وقاسم بن أصبغ وغيرهم . ورحل إلى المشرق سنة ٣٣٢ فسمع بمكة من ابن الاعرابي وبمصر من عبد الملك بن بحـــر الجلاب وغيرهما ثم قدم الأندلس فمكث بها قليلا ثم رحل ثانية إلى المشرق . وكان ضابطا لما كتب . توفي سنة ٣٨٢ ، وكانت ولادته سنة ٣٠٣ .
مصادر ترجمته : تاريـــخ علماء الأندلس (٢/ ٩٦ - ٩٧) رقم : ١٣٦٦ .

ومنهم عبد العزيز بن حكم بن أحمد (ت ٣٨٧) (١) ، فقد كان ينتحل مذهب بن مسرة ففض ذلك منه وكان يميل إلى الكلام والنظر .

ومنهم عبد الوهاب بن منذر القرطبي (ت ٤٣٦) (٢) وغير هؤلاء كثيرون .

وقد استمرت هذه المدرسة في تخريج دعاتها في عهد الحمود بين (٣) ، فكان من أبرز دعاتها ومفكريها في ذلك العهد : إسماعيل بن عبد الله الرعيني (٤) ، الذي عاش في المرية (٥) ، وكان أنصاره يعدونه إماما يؤدون إليه الزكاة . وقد احتفظ لنا الإمام ابن حزم - الذي كان معاصرا له ولكنه لم يلقه - ببعض آرائه ، وهي آراء يبدو فيها تأثير الباطنية واضحا . وكذا تأثير الشيعة الذين قويت شوكتهم في ذلك العهد . ويظهر ذلك في قوله بجواز نكاح المتعة (٦) " .

---

(١) هو أبو الاصبغ عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ينتهي نسبه إلى مروان بن الحكم أمير المؤمنين من أهل قرطبة . سمع من عبد الله بن يونس والحسن بن سعد وقاسم بن أصبغ وغيرهم وكان عالما بالنحو والغريب من الشعر ، توفي سنة ٣٨٧ . مصادر ترجمته : تاريخ علماء الاندلس (١ / ٢٧٩)

(٢) مرت ترجمته

(٣) سبق الحديث عنهم (ص ٤٣١) .

(٤) لم أجد له ترجمة سوى ما ذكره ابن حزم عنه في الفصل (٤ / ١٩٩ - ٢٠٠) .

(٥) المرية : بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء . مدينة كبيرة في الأندلس ، تقع على الساحل ، كان يركب منها التجار وفيها تحل مراكبهم . دخلها الافرنج سنة ٥٤٢ ، واسترجعها المسلمون سنة ٥٥٢ .
انظر عنها : معجم البلدان (٥ / ١١٩ - ١٢٠) .

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤ / ١٩٩ - ٢٠٠) .

و بيد و أنه كان شديد التطرف فى آرائه ، الأمر الذى جعل أهل المرية يتبرؤون منه . والسبب فى ذلك كما يقول ابن حزم أنه أحدث أقوالا سبعة منها :
أن الأجسام لا تبعث أبدا وإنما تبعث الأرواح وهى التى تحاسب ، وهى التى تدخل الجنة أو النار .
ومنها : أن العرش هو المدبر للعالم . وأن الله تعالى أجل من أن يوصف بفعل شيئ أصلا . (١)

وهى عين آراء الفلاسفة التى كفرهم العلماء من أجلها .

وأما الرجل الثانى : فقد جاء متأخرا عن ابن مسرة ولكنه كان له هو الآخر دور فى تحويل التصوف إلى قضايا فلسفية وتفكير باطنى ، ذالكم هو ابن برجان (ت ٥٣٦) (٢) ، الذى كان من أهل العلم والمعرفة. ألف فى التفسير كتابا على طريقة المتصوفة ، وله كتاب فى شرح أسماء الله الحسنى (٣) .

---

(١) الفصل (١٩٩/٤) .
(٢) هو ابو الحكم عبد السلام ابن عبد الرحمن بن أبى الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمى المغربى يعرف بابن برجان ، روى عن محمد بن أحمد بن منظور ، وروى عنه عبد الحق الإشبيلى وغيره . كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف ، توفى سنة ٥٣٦ مغربا عن وطنه بمراكش فى سجن على بن يوسف بن تاشفين .
مصادر ترجمته : لسان الميزان (١٤/٤) وفيات الأعيان (٢٣٦/٤ - ٢٣٧) رقم : ١٧٢ . النجوم الزاهرة (٢٧٠/٥) سير أعلام النبلاء (٣٣٤/٢٢) رقم : ٢٠٤ .
(٣) هذا الكتاب توجد منه نسخة مخطوطة بمركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت رقم : يقول أبو العلا عفيفى فى بحثه عن ابن قسى (مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية المجلد ١١/سنة ١٩٥٧/ص٥٣/أن التفسير وشرح أسماء الله الحسنى كتاب واحد وليس كتابين كما يزعم بروكلمان . ولكن الصحيح أنهما كتابان وليس كتابا واحدا كما حقق ذلك الطالب محمد السليمانى فى تحقيقه لقانون التأويل لابن العربى (ص ٥٧) تعليق (٣) .

وقد ذكروا أن تفسيره استنبطوا من رموزاته أمورا فأخبروا بها قبل الوقوع .
من ذلك ما استنبطه ابن الزكي (١) في مدحه للسلطان صلاح الدين (٢) حين فتحه حلب بقوله :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجـــب (٣)

فكان كما قال ، فقيل له : من أين لك هذا ؟ قال : أخذته من تفسير ابن برجان لقوله تعالى : (غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (سورة الروم : ٢) .

ورجل ثالث كان معاصرا لابن برجان ، وعلى منهجه في الانحراف هو ابـــن

---

(١) هو أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد ، الملقب بمحي الدين ، والمعروف بابن زكي الدين الدمشقي الفقيه الشافعي . كان ذا فضائل عديدة ، تولى قضاء دمشق سنة ٥٨٨ ، وكانت له عند السلطان صلاح الدين المنزلـــة الرفيعة والمكانة المرموقة توفي سنة ٥٩٨ وكانت ولادته سنة ٥٥٠ .
مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٤/ ٢٢٩ - ٢٣٦) رقم : ٥٩٤ ، طبقات السبكي (٦/ ١٥٧ - ١٥٩) رقم : ٦٧٣ شذرات الذهب (٤/ ٣٣٧ - ٣٣٨) ، النجـــوم الزاهرة (٦/ ١٨١) .

(٢) هو السلطان أبو المظفر صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بـــن شاذي بن مروان التكريتي . ولد سنة ٥٣٢ ، سمع من أبي طاهر السلفي وغيره . وسيرته مشهورة طبقت الآفاق لما له من الأيادي البيض على الاسلام وأهله . منها فتح بيت المقدس وتخليصه من أيدي الصليبيين ومنها قهره لبني عبيد وقضاؤه على دولتهم . فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء . ولا يكاد يخلـــو كتاب تاريخ من أخباره ممن تناولوا عصـــره .

(٣) انظر : وفيات الأعيـــان (٤/ ٢٢٩) .

العريف (ت ٥٣٦) (١) .

ورجل آخـــــر هو ابن قسى (ت ٥٤٦) (٢) .

كل هؤلاء وكثير غيرهم كان لهم الأثر الكبير والدور الفعال فى الانتقال بالزهد من كونه سلوكا عمليا إلى تفكير فلسفى . وحدث بذلك القول بالباطن - كما رأينا من قبل .

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاالله الصنهاجى . يعرف بابن العريف . من أهل المرية ، وأصل أبيه من طنجة. نشأ فقيرا . فقرأ القرآن . ودرس العلوم ثم توجه إلى الزهد حتى بعد صيته فى الزهادة والعبادة وكثر أتباعه على الطريقة الصوفية ، وأنكر عليه فقهاء عصره طريقه. فسعوا به إلـــى السلطان . فأمر باشخاصه . فتوفى فى سجنه سنة ٥٣٦ .
مصادر ترجمته : الصلة (١/ ٨١) رقم: ١٧٦ . المعجم فى أصحاب القاضـــى الإمام أبى على الصفدى (ص ١٨ - ٢٢) رقم: ١٤ طبعة مدريد (١٨٨٥) ، وفيات الأعيان (١/ ١٦٨- ١٧٠) رقم ٦٨ سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١١١ - ١١٤) رقم : ٦٨ .

(٢) هو أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسى رومى الأصل من بادية سلب، استغرب وتأدب. وقال الشعر ثم عكف على الوعظ وكثر مريدوه فادعى أنه المهدى وتسمى بالإمام ثار على دولة الملثمين واشترك فى الأحداث السياسية الى أن قتل سنة ٥٤٦
مصادر ترجمته : الحلة السيراء (٢/ ١٩٧) لسان الميزان (١/ ٢٤٧) معجم المؤلفين (٢/ ٥١) .

المبحث الثالث : مقاومة علماء المغرب للتصوف :-

بعد هذا العرض الذى أشرت فيه إلى نشأة التصوف و تطوره ، حتى وصل إلى ما وصل إليه من انحراف وصد عن سبيل الله . انتقل الآن إلى الحديث عن المقاومة السنية لهذه البدعة .

لكن - قبل ذلك - أود أن أقدم بين يدى هذا البحث بعض الملاحظات التى أراها مهمة لعلها تساهم فى فهم هذا الموضوع فأقول :

الذى يلاحظ - بادئ ذى بدء - أن مقاومة علماء المغرب للاتجاه الصوفى بدأت مبكرة جدا ، مع بروز هذا الاتجاه إلى الوجود ، مما يدل على غيرة هؤلاء العلماء الشديدة على الإسلام و بغضهم لكل من يحاول أن ينحرف بالمفاهيم الاسلامية الصحيحة عن مسارها الطبيعى . و هذا الموقف المتشدد - فى حقيقة الأمر - هو الذى جعل التصوف بمعناه المنحرف يتأخر ظهوره وانتشاره بالمغرب ، و هو ما يعدّ من حسنات علماء المغرب. لكن الأستاذ أبو العلا عفيفى يرى أن ذلك من سيئاتهم ، لأن عدم ترك هذه الانحرافات تنتشر معناه الحجر على حرية الفكر حيث يقول :

" إن عدم ظهور هذا النوع من التصوف (الباطنى) مبكرا فى المغرب يرجع للموقف العدائى الذى وقفه فقهاء المالكية من التصوف و الفلسفة على السواء" قال : " فقد اضطهد هؤلاء المتزمتون كل نوع من أنواع التفكير الحر داخل الدوائر الدينية و خارجها " . (١)

و نفس الرأى ، يذهب إليه الدكتور عبد الله عنان عند حديثه عن حركة ابن مسرة حيث يقول و هو يدافع بحماس عن هذه الحركة : " هل كانت حقا جمعية مارقة ملحدة

---

(١) انظر بحثه عن ابن قسى : أبو القاسم بن قسىّ وكتابه (خلع النعلين) . فى مجلة كلية آداب الاسكندرية (المجلد ١١/السنة ١٩٥٧/ ص ٥٣) .

تهدد العقائد والنظام والأمن ؟ أم هل كانت حركة تفكير فلسفي حر، لم يتسع لها أفق التفكير المعاصر، وكانت كمعظم الحركات المماثلة ضحية لنقمة المتزمتين الرجعيين من الفقهاء والحكام يدافعون بسحقها عن نفوذهم وسلطانهم المطلق" (١).

فانظر كيف يسميان الانحراف في الفكر حرية. ومحاربة هذا الانحراف ومقاومته تزمتا وتعصبا ورجعية.

الملاحظة الثانية الجديرة بالذكر أيضا : هي أن مقاومة علماء المغرب للتصوف لم تكن موجهة لمبدأ" الزهد. لأن هؤلاء "العلماء" كانوا - هم أيضا - قمة في الزهد والانقطاع إلى الله تعالى. ولكن المقاومة كانت موجهة بشكل خاص نحو الانحرافات والبدع التي دخلت هذا الاتجاه واختلطت به فلوثت صفاءه وكدرت مزاجه، فجاءت هذه المقاومة لتزيل ذلك التلوث والتكدر وتعيد إلى الزهد صفاءه ونقاءه.

الملاحظة الأخرى : هي أن هذه المقاومة كان يتولاها في بداية الأمر الأفراد كالإمام يحيى ابن عمر (٢) والإمام ابن ابي زيد القيرواني (٣)، ثم تطورت فيما بعد، فأصبحت الدولة هي التي تتولى هذه المهمة. كما كان عليه الأمر أيام الدولة الأموية بالأندلس. إذا استثنينا فترات قصيرة منها، وأيام المرابطين التي كانت شديدة على أهل البدع، وعلى هذا نجد وسائل المقاومة تختلف من مرحلة إلى مرحلة، فبينما تكاد تنحصر عند العلماء في المؤلفات التي ألفوها في الرد على هذا الاتجاه وفي الإنكار على أصحابه بالوسائل التي كانت متاحة لهم، وهي وسائل على قوتها كانت محدودة الفعالية لأنهم لا سلطان لهم على أحد في دولة تكفل الحرية

---

(١) انظر بحثه عن ابن مسرة بعنوان : اكتشاف السفر الخامس من المقتبس لابن حيان. في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (١٣/ص ١٣٣).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سبقت ترجمته.

لكل الاتجاهات ، نجدها عند الدولة أقوى وأشد وأنكى . وهى بالإضافة إلى وسيلة التأليف ، إحضار من يرى عليه أثر التصوف ومناقشته وحبسه عن الناس إن كانت أفكاره تشكل خطرا على العقيدة كما فعلوا بابن العريف وجماعته حين أحضروا الى السلطان فحبسهم وشدد عليهم حتى يأمن الناس شرهم ... نقل ابن الأبار تلك الحادثة فقال : " بعد أن بعد صيته (أى ابن العريف) فى الزهادة والعبادة وكثر أتباعه على الطريقة الصوفية نُمِيَ ذلك إلى أمير الملثمين (١) على بن يوسف بن تاشفين (٢) ، ويقال : ان فقهاء بلده اتفقوا على إنكار مذاهبه فسعوا به إلى السلطان فأمر بإشخاصه إليه من المرية (٣) مع أبى بكر محمد بن الحسين الميورقى (٤) من غرناطة (٥) ،

(١) الملثمين : أى المرابطين سموا بذلك لأنهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ، وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف. ذلك أن أصل هؤلاء القوم من حمير من سباء ، وكانت حمير تتلثم لشدة الحرو البرد، وقيل :كان اللثام لاسباب أخرى . انظر : وفيات الاعيان : (١٢٩/٧).

(٢) هو سلطان المغرب أمير المسلمين أبو الحسن على بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين تولى بعد ابيه سنة ٥٠٠ وكان شجاعا مجاهدا عادلا دينا . معظما للعلماء مشاورا لهم ، وابتلى بنواب ظلمة ، وخرج عليه ابن تومرت وأخذ البلاد وولت أيام المرابطين ، توفى سنة ٥٣٧ . مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (١٢٤/٢٠- ١٢٥) رقم : ٧٥ ، وفيات الاعيان (١٢٣/٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦) الإحاطة فى أخبار غرناطة (٥٨/٤- ٥٩) نفح الطيب (٣٧٧/٤) .

(٣) سبق التعريف بها .

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن أحمد بن يحى بن بشر الأنصارى الخزرجى الشهير بالميورقى . لأن أصله منها وسكن غرناطة ، روى عن أبى على الصدفى ورحل حاجا فسمع بمكة والاسكندرية وعاد إلى الأندلس فحدث فى غير بلد لتجوله وسُمِع منه سنة ٥٣٧ ، ولم اجد سنة وفاته .

مصادر ترجمته : نفح الطيب (١٥٥/٢) رقم : ١٠٦ .

(٥) غرناطة : بفتح أولها وسكون ثانيها ، ومعنى غرناطة بلسان عجم الأندلس رمانة ، سميت بها لحسنها وهى من أعظم مدن الاندلس وأحسنها ، يشقها النهر

وأبى الحكم بن برجان من إشبيلية (١) وكانوانمطا واحدا . فسيروا إلى مراكش ولم يقم بها ابن العريف الا قليلا وتوفى فى صفرعام : ٥٣٦ هـ . (٢)

= المعروف بنهر قلزم .

انظرعنها : معجم البلدان (٤/ ١٩٥) ، الآثار الأندلسية الباقية (١٦٠ - ١٨٣) .

(١) إشبيلية : بالكسر ثم سكون وكسر الباء الموحدة ، مدينة كبيرة عظيمة ، وهى قريبة من البحر وكانت تشتهر بزراعة القطن . ويطل عليها جبل الشريف وهو جبل كثير الشجرو الزيتون وسائر الفواكه .

انظر عنها : معجم البلدان (١/ ١٩٥) صفة جزيرة الأندلس (١٩ - ٢٠) الآثار الأندلسية الباقية (٤٥ - ٦٩) .

(٢) انظر : المعجم فى أصحاب القاضى الامام أبى على الصدفى - طبعة مدريد سنة ١٨٨٥ (ص ١٨ - ٢٤) وانظر : تاريخ فلسفة الإسلام فى القارة الافريقية للدكتور يحى هويدى طبعة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٦ . (ص ٢٩٩) .

والوسيلة الأخرى هي قطع الشرايين التي تغذى هذا الاتجاه كما فعلوا بكتاب " إحياء علوم الدين " للامام أبي حامد الغزالي (١) ، عندما أحرقوه لاعتقادهم أنه يشكل خطرا على العقيدة.

بالإضافة إلى وسيلة أخرى ، وهي وسيلة نشر السنة وتشجيع من يشتغل بها .

كل هذه الوسائل ، كان لها - في واقع الأمر - نتائج إيجابية وآثار طيبة في الحد من انتشار التصوف الباطني . نعم إنها لم تقض على الاتجاه الصوفي مرة واحدة ، ولكنها استطاعت أن تقضي على الحركات الباطنية الخطيرة . أو على أقل تقدير أن تحد من خطرها . وقد سمعنا كلام ابن العربي وابن جبير عن أحوال المغرب في هذا الجانب بالمقارنة مع المشرق . (٢)

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) راجع (ص١٦٩-١٧٠) .

أنواع المقاومـــــة :-

بعد هذه الملاحظات المهمة - في تقديري - أنتقل إلى الحديث عـــن أنواع المقاومة السنية لبدعة التصوف وهي تنحصر في نوعين :

النوع الأول : ويتمثل في مقاومة علماء المغرب للانحرافات التي دخلت التصوف .

النوع الثاني : ويتمثل في مقاومة الأشخاص الذين كان لهم دور في نشر الانحرافـات الصوفية .

وأبدأ بالنوع الأول فأقول : لقد كانت بداية المقاومة السنية للانحرافـــات الصوفية عندما اتخذ الزهاد موعدا أسبوعيا يلتقون فيه وهو يوم السبت ، في أحـــــد المساجد الذي أصبح يعرف - فيما بعد - بمسجد السبت (١) . فكان الزهـــاد والعباد يلتقون فيه ويعقدون حلقا للذكر وقراءة القرآن وإنشاد أشعار الزهـــــد والرقائق ، مثل أشعار ابن معدان (٢) ، فكان المتعبدون والصالحون اذا سمعوها

---

(١) مسجد السبت : يقع في ناحية الدمنه خارج مدينه السوسه (من مدن تونس) قريباً من تربة الصحابي أبي زمعة البلوي . انظر : ورقات في تاريخ الحضارة العربيـــة والإسلامية في تونس للأستاذ : حسن حسني عبد الوهاب (٢/١٨٠) .

(٢) يوجد هناك رجلان بهذا الاسم أحدهما : هو أبو عبد الله محمد بن يوســـف بن معدان بن سليمان الأصبهاني ، ويلقب (بعروس الزهاد) المتوفى سنـــة ٢٨٤ ، له أشعار جيدة في الزهد والرقائق منها قوله :

مُرَّ بِدَارِ المترفين وقل لهـــم أين أرباب المصانع والقـــرى

ومُرَّ بدار العابدين وقل لهم ألا قطع الموت التنصب والعنا

وقوله :

إذا كنت في دار الهوان فإنما ينجيك من دار الهوان اجتنابـها

مصادر ترجمته : ذكر أخبار اصبهان لأبي نعيم الأصبهاني (٢/١٧١-١٧٣) ، حلية الأولياء (١٠/٣٨٩-٣٩٠) ، صفوة الصفوة (٤/٨١-٨٣) .

استراحوا إليها بقلوبهم و انشرحت نفوسهم و انصرفوا من اللقاء وهم محزوزون نادمون (١) و تقع لبعضهم حالات فيبكى الناس و يفعلون و يفعلون .

من ذلك ما نقله صاحب معالم الإيمان قال : قال أبو الحسن الزعفرانى (٢) : حضرت مسجد السبت و معنا فيه ابو بكر بن اللباد الفقيه (٣) و أبو بكر بن سعدون (٤) فقال بعض القوالة : (٥)

لا يشغلنك عن حبيبك شاغل   فإذا فعلت فان حبك باطل

قال : فتحرك محمد بن أبى سهل الصوفى (٦) و استغرقه الحال ، فما بقى أحد

= وثانيهما : هو محمد بن يوسف بن معدان بن يزيد الثقفى يعرف بابن البناء الصوفى أصبهانى أقام بمكة و توفى سنة ٢٨٦ .
مصادر ترجمته : ذكر اخبار أصبهان (٢/٢٢٠-٢٢١) حلية الأولياء (١٠/٤٠٢-٤٠٣) رقم: ٦٨٦ ، صفوة الصفوة (٤/٨٣-٨٤) ، ولم أعثر لهذا الأخير على شعر فى معانى الزهد ، وعلى هذا فالراجح أن المقصود الاول والله أعلم.

(١) رياض النفوس (١/٤٩٥-٤٩٦) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) هو أبو بكر محمد بن سعدون الجزيرى التميمى . كان عابدا و حج حججا مع كثرة الرباط فى سبيل الله. سمع بمكة و غزا غزوات. وكان حسن الصوت بالقرآن . توفى سنة ٣٤٤.
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/٤١٤-٤١٨) رقم: ٢٥٥ ، معالم الإيمان (٣/٥٢-٥٤) رقم : ٢٠٣ .

(٥) القوالة : جمع قوال . و تجمع على قوالين . وهو المنشد للأبيات الزهدية.
انظر: رياض النفوس (٢/٣١٩) هامش (رقم: ٤٠) .

(٦) هو ابوعبدالله محمد بن أبى سهل الصوفى كان من أهل الفضل و الدين ، وكان عابدا توفى سنة ٣٣٢ .
مصادر ترجمته : رياض النفوس (٢/٣٠٥) رقم : ٢٢٩ ، معالم الإيمان (٣/٢٠-٢١) رقم : ١٩٠ .

بالمسجد الا بكى لصدقه فى حركته (١) .

وقد أنكر كثير من العلماء هذا العمل وعدّوه بدعة منكرة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله ، ولا فعله صحابته - من بعده - وهم خير القرون . بل ورد عنهم الإنكار عن مثل ذلك ، كما رأينا عند الحديث عن البدعة إنكار عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - وغيره لمثل هذا العمل (٢) .

وقد جاء إنكار العلماء لمثل هذا العمل من ناحيتين :

الناحية الأولى : تخصيص يوم بعينه ومكان بعينه بعبادة ، وهذا لا يجوز فعله إلا بنص من الشارع . وفى ذلك يقول الإمام الشاطبى (٣) : " فإذا خص يوما بعينه أو أياما بأعيانها لا من جهة ما خصه الشارع ضاهى به تخصيص الشارع أياما بأعيانها دون غيرها ، فصار التخصيص من المكلف بدعة إذ هى تشريع بغير مستند ومثل ذلك تخصيص اليوم الفلانى بكذا من الركعات وكقيام ليلة معينة دون غيرها فإن ذلك التخصيص بدعة " ثم يقول : " ومن نوادرها التى لا ينبغى أن تغفل ، ماجرى به عمل جملة ممن ينتمى إلى الطريقة الصوفية من تربصهم ببعض العبادات المشروعة أوقاتا مخصوصة غير ما وقته الشارع " (٤) .

ومن أمثلة ذلك تخصيص ليلة النصف من شعبان بنوع مخصوص من العبادة مثل الاعتمار فيها أو قيامها . ومثل ذلك - أيضا - اجتماع الناس عشية عرفة فى غير عرفة للذكر وقراءة القرآن ، وكذلك ليلة الاسراء ، فقد ورد النهى من السلف - رحمهم الله - عن مثل ذلك .

---

(١) معالم الإيمان (٣/ ٥٣) .

(٢) راجع (ص ٩٦) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) الاعتصام (/١٣ ، ١٩) .

ذكر محمد بن وضاح (١) فى كتابه (البدع و النهى عنها) (٢) بسنده إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٣) أنه قال : " لم أدرك أحدا من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان . ولم أدرك أحدا منهم يرى لها فضلا على ماسواها من الليالى " . ونقل بسنده أيضا عن ابن أبى مليكة (٤) أنه قيل له : " إن فلانا يقول : إن ليلة النصف من شعبان أجرها كأجر ليلة القدر - فقال ابن أبى مليكة : لو سمعته منه وبيدى عصا لضربته بها . " (٥)

---

(١) هو الإمام ابوعبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرزانى . مولى عبد الرحمن الداخل صاحب الأندلس،الامام الحافظ. محدث الأندلس،سمع من يحى بن معين و يعقوب بن كاسب وغيرهما . كان عالما بالحديث وطرقه وعلله . كثير الحكاية عن العباد ورعا زاهدا ،صبورا على نشر العلم ولم يكن له علم بالعربية ولا بالفقه . توفى سنة ٢٨٧ وكانت ولادته سنة ١٩٩ . مصادر ترجمته :تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٥ - ١٧) رقم ١١٣٦ ، بغية الملتمس (ص ١٢٣ - ١٢٤) رقم : ٢٩١ سير أعلام النبلاء (١٣/ ٤٤٥- ٤٤٦) رقم ٢١٩ ، شذرات الذهب (٢/ ١٩٤) .

(٢) انظر (ص ٤٦) .

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العمرى المدنى كان صاحب قرآن و تفسير و ألف كتابا فى الناسخ و المنسوخ . حدث عن أبيه وابن المنكدر، توفى سنة ١٨٢ . مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٥/ ٢٨٤) رقم :١١٠٧ ، الجرح و التعديل (٥/ ٢٣٣) رقم : ٩٢٢ ، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤٩) رقم : ٩٤ ، شذرات الذهب (١/ ٢٩٧) .

(٤) هو أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة القرشى التيمى المكى ،الإمام الحجة الحافظ كان قاضيا وكان أحول . ولد فى خلافة على أو قبلها . حدث عن عائشة وأسماء اختها وابن عباس وغيرهم - توفى سنة ١١٧ .
مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٥/ ١٣٧) رقم : ٤١٢ ، الجرح و التعديل (٥/ ٩٩) رقم ٤٦١ ، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٠٦) رقم : ٥٢٣ ، سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٨ - ٩٠) رقم : ٣٠ ، شذرات الذهب (١/ ١٥٣) .

(٥) كتاب البدع و النهى عنها (ص ٤٦) ولكن بعض العلماء يرى أن ليلة النصف من شعبان ليلة مفضلة ، و أن من السلف من كان يخصها بالصلاة ، يقول الإمام

وعن عشية عرفة و تخصيصها بنوع من العبادة ، نقل ابن وضاح بسنده عن أبى حفص المدنى (١) أنه قال : " اجتمع الناس يوم عرفة فى مسجد النبى صلى الله عليه و سلم يدعون بعد العصر فخرج نافع مولى ابن عمر (٢) من دار آل عمر فقال : أيها

= ابن تيمية : " ومن العلماء من السلف ـ من أهل المدينة ـ وغيرهم من الخلف من أنكر فضلها و طعن فى الأحاديث الواردة فيها . وقال : لا فرق بينها و بين غيرها ، لكن الذى عليه كثير من اهل العلم او اكثرهم على تفضيلها . و عليه يدل نص الإمام أحمد لتعدد الأحاديث الواردة فيها ، وما يصدق ذلك من الآثار السلفية وقد روى بعض فضائلها فى المسانيد و السنن " . ثم قال الإمام ابن تيمية : " فأما صوم النصف مفردا فلا أصل له بل إفراده مكروه ، وكذلك اتخاذه موسما تصنع فيه الأطعمة و تظهر فيه الزينة هو من المواسم المحدثة المبتدعة التى لا أصل لها " . انظر كلامه هذا فى اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٦٢٧ - ٦٢٨) .

و الأحاديث التى أشار إليها منها ما رواه ابن ماجه فى إقامة الصلاة (باب ما جاء فى ليلة النصف من شعبان) من حديث أبى موسى الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إن الله ليطلع فى ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن " رقم الحديث : ١٣٩٠ ، ١١٤٠ سنن ابن ماجه (١/٢٣٣) . و مارواه الترمذى فى كتاب الصوم (باب ما جاء فى ليلة النصف من شعبان) من حديث عائشة رضى الله عنها ـ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إن الله عز و جل ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر الغنم " . رقم الحديث : ٧٣٩ السنن (٣/١١٦) .

و انظر حول هذه الليلة كتاب (الحوادث و البدع للطرطوشى) (ص ٢٦١ - ٢٦٦) .

(١) لم اعثر له على ترجمه .

(٢) هو الإمام أبو عبد الله نافع مولى ابن عمر القرشى ثم العدوى ، روى عن ابن عمر وعائشة و أبى هريرة و غيرهم . وروى عنه جمع لا يحصون وقد اختلفوا فى أصله فقيل : بربرى و قيل نيسابورى و قيل غير ذلك . قال الإمام البخارى : أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر . توفى رحمه الله سنة ١١٧ وقيل سنة ١١٩ .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (٨/٨٤) رقم : ٢٢٧ ، المعارف لابن قتيبة (ص ٤٦٠) الجرح و التعديل (٨/٤٥١) رقم : ٢٠٧٠ ، سير أعلام النبلاء =

الناس إن الذى أنتم عليه بدعة وليست بسنة ، إنا أدركنا الناس ولا يصنعون مثل هذا ". (١)

ونقل عن إبراهيم النخعى (٢) : " انه سئل عن اجتماع الناس عشية عرفة فكرهه وقال : محدث ". (٣)

وعن ليلة الإسراء وتخصيصها بنوع من العبادة يقول الإمام ابن تيمية :

" ولا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها . ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها ، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله - صلى الله عليه وسلم - ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان بعبادة شرعية ". (٤)

وما يقال فى تخصيص الأزمنة يقال أيضا فى تخصيص الأمكنة . فليس لأحد أن يخص مكاناً بعينه بنوع من العبادة أو قربة ، يقول الإمام ابن تيمية : " بل غار حراء الذى ابتدئ فيه بنزول الوحى ، وكان يتحراه قبل النبوة لم يقصده (أى النبى صلى

= (٥/٩٥- ١٠١) رقم : ٣٤ ، تهذيب التهذيب (١٠/٤١٢) رقم : ٧٤٢

(١) البدع والنهى عنها (ص ٤٦) .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعى اليمانى ثم الكوفى فقيه العراق وأحد الأعلام أدرك جماعة من الصحابة ولم يحدث عن أحد منهم. وكان رجلا صالحا كبير النفس كثير المحاسن توفى سنة ٩٦ .
مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (٦/٢٧٠ - ٢٨٤) تاريخ البخارى (١/٣٣٣- ٣٣٤) رقم : ١٠٥٢ ، حلية الأولياء (٤/٢١٩- ٢٤٠) رقم : ٢٧٣ سير اعلام النبلاء (٤/٥٢٠-٥٢٩) رقم : ٢١٣.

(٣) البدع والنهى عنها (ص ٤٧) .

(٤) انظر هذا الكلام فى زاد المعاد (١/٥١) .

الله عليه وسلم) ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة ولا خص اليوم الذى نزل فيه الوحى بعبادة ولا غيرها . ومن خص الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله، كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله . وقد رأى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - جماعة يتبادرون مكانا يصلون فيه فقال : ما هذا ؟ قالوا : مكان صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم . فقال : أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد . إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، فمن أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليمض" (١)

الناحية الثانية التى أنكرها العلماء على هذه الأعمال : ما كان يحدث فى هذه المجالس أو الحلقات من أمور لم يعهدها السلف - رضى الله عنهم - ولا فعلوها ولا أمروا بها . مثل سماع الأناشيد وإنشاد أشعار الرقائق والاهتزاز لها والتحرك عندها . بينما يقرأ القرآن ولا يفعل شيئ من ذلك . وهذا أمر خطير للغاية . لأن القرآن يصبح كأنه لا مفعول له فى النفوس فيؤدى مع مرور الزمن إلى تركه واستبداله بأمور أخرى لها تأثير على النفوس . وهذا هو الذى حدث بالفعل وهو ما حذّر منه السلف الصالح - رضى الله عنهم - حيث يقول الإمام الشافعى - رحمه الله - :" خلفت ببغداد شيئا أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن" (٢) وكذلك ورد عن احمد وغيره أنهم كرهوه ونهوا عن الجلوس مع من يتعاطاه" . (٣)

وكيف يترك القرآن ويستبدل برقائق من وضع البشر . وهو الذى قال الله فيه : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

---

(١) انظر كلام ابن تيمية فى زاد المعاد (١/ ٥١) وأثر عمر - رضى الله عنه - رواه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٢/ ٨٤ / ١) .

(٢) راجع هذا الأثر (ص: ١١٤) .

(٣) مختصر الفتاوى المصرية للإمام ابن تيمية (ص ٥٩٢ - ٥٩٣) .

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) الزمر : ٢٣) .

وقال أيضا (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر : ٢١) . وذكر أقواما كانوا إذا تتلى عليهم القرآن تأثروا وبكوا فقال سبحانه : (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً) . (سورة مريم : ٥٨) . وقال عن وفد النصارى الذين قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلموا بين يديه : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ) (١) (المائدة : ٨٣) .

وذكر من صفات المؤمنين أنهم كانوا (إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) (الانفال : ٢) . اذا فالقرآن كاف أن يؤدى فى النفس والجوارح ما تؤديه هذه الرقائق - على فرض المقارنة - وزيادة . وهذه الآيات شاهدة على ذلك . فلماذا إذا يتركون القرآن ويستبدلونه برقائق من وضع البشر ؟ .

لقد كان السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - يدركون هذه الحقيقة ، ولذلك أقبلوا على القرآن قراءة وترتيلا ومدارسة . وكانت تقع لهم حالات عظيمة عند قراءته فهذا سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ، يقول لعبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - " اقرأ على ، قال ابن مسعود : يا رسول الله ، أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال :

---

(١) نزلت هذه الآية فى الوفد الذين بعثهم النجاشى مع جعفر بن ابى طالب ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة " يس " الى آخرها ، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا : ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى . فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية .
انظر : أسباب النزول للواحدي ، تحقيق سيد صقر (ص ٢٣٥ - ٢٣٦) ، تفسير الطبري (١٠ / ٥٠٤ - ٥٠٥) من طبعة محمود شاكر ، الدر المنثور (٢ / ٣٠٣) ، والقرطبى (٦ / ٢٥٦) .

إنى أحب أن أسمعه من غيرى - قال عبد الله بن مسعود : فقرأت سورة النساء حتى أتيت هذه الآية (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) (سورة النساء : ٤١) فقال : حسبك الآن فإذا عيناه تذرفان " . (١)

وهذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - روى عنه أنه صلى بالناس الفجر . فقرأ سورة يوسف - عليه السلام - فأخذ فى البكاء حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف " (٢)

وقدم ناس من أهل اليمن على أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون ، فقال أبو بكر : هكذا كنا " (٣)

بل ربما حدث لهم أكثر من ذلك كالصعق مثلا ، فقد ورد عن كثير من السلف أنهم كانوا يصعقون ويغشى عليهم عند قراءتهم للقرآن ، فهذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكى حتى يسقط ويبقى فى البيت حتى يعاد للمرض (٤)

---

(١) أخرجه البخارى فى التفسير (باب : فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) رقم الحديث : ٤٥٨٢ . الفتح (٨/٢٥٠) .
وفى كتاب فضائل القرآن (باب قول المقرئ للقارئ : حسبك) رقم : ٥٠٥٠ الفتح (٩/٩٤) وفى باب (البكاء عند قراءة القرآن) رقم : ٥٠٥٥ ، الفتح (٩/٩٨) .
وأخرجه أحمد فى مواضع من مسنده انظر الأرقام : ٣٥٥٠ ، ٣٥٥١ من طبعة أحمد شاكر ، ونقله ابن كثير فى فضائل القرآن (ص٧٧) عن البخارى ثم قال "وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طريق الأعمش وله طرق يطول بسطها" .

(٢) التبيان فى آداب حملة القرآن (ص ٦٩) .

(٣) نفس المصدر (ص ٦٩) .

(٤) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزى (ص ١٦٨) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

وعن زرارة بن أوفى التابعى الجليل (١) أنه أم الناس فى صلاة الفجر فقرأ حتى بلغ قوله تعالى فى سورة المدثر (فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ) (المدثر : ٨ ، ٩) خر ميتا . قال بهز بن حكيم (٢) : " وكنت فيمن حمله " (٣) .

---

(١) هو الإمام الكبير أبو حاجب بن زرارة بن أوفى العامرى البصرى قاضى البصرة. أحد الأعلام سمع من عمران بن حصين و أبى هريرة وابن عباس . توفى و هو يصلى بالناس الفجر سنة ٩٣ .

مصادر ترجمته : طبقات ابن سعد (١٥٠/٧) تاريخ البخارى (٤٣٨/٣- ٤٣٩) رقم : ١٤٦١ ، الحلية (٢٥٨/٢ - ٢٦٠) رقم : ١٩١ ، سير أعلام النبلاء (٥١٥/٤ - ٥١٦) رقم : ٢٠٩ ، تهذيب التهذيب (٣٢٢/٣ - ٣٢٣) رقم : ٥٩٨ .

(٢) هو أبو عبد الملك بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيرى البصرى ، الإمام المحدث له عدة أحاديث عن أبيه وعن جده وعن زرارة بن أوفى . توفى قبل الخمسين و مائة .

مصادر ترجمته : التاريخ الكبير (١٤٢/٢ - ١٤٣) رقم : ١٩٨٢ ، الجرح و التعديل (٤٣٠/٢ - ٤٣١) رقم : ١٧١٤ ، سير أعلام النبلاء (٢٥٣/٦) رقم : ١١٤ تهذيب التهذيب (٤٩٨/١) رقم : ٩٢٤ .

(٣) التبيان فى آداب حملة القرآن (ص٦٦) ، الحوادث و البدع للطرطوشى (ص ١٩٢) ، حلية الأولياء (٢٥٨/٢) .

وقد أنكر طائفة من الصحابة و التابعين مثل هذا ظنا منهم أنه تكلف و تصنع ، فقال ابن سيرين : " بيننا و بين الذين يصقعون عند سماع القرآن أن يقرأ واحد منهم على رأس حائط فإن خر فهو صادق " . و الصواب كما يقول الإمام النووى عدم الإنكار إلا على من اعترف أنه يفعله تصنعا . انظر : التبيان فى حملة القرآن (ص٦٦) .

و يقول الإمام ابن تيمية : " و الذى عليه الجمهور أنه إذا كان مغلوبا لم ينكر عليه ، و إن كان حال الثبات أكمل منه ، ولهذا لما سئل أحمد عن هذا قال : قرئ القرآن على يحى بن سعيد فغشى عليه ولو قدر لدفعه ، فما رأيت أعقل منه" انظر : مختصر الفتاوى المصرية (ص ٥٦٦) .

هذا و مثله كثير عن السلف ـ رضى الله عنهم ـ فكيف لا يتأثر المسلم بالقرآن . و يتأثر بما دونه من الرقائق. ولذلك فلا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن أعظم جناية جنتها الصوفية هى صرف الناس عن القرآن الكريم .

و من هنا جاء الإنكار على اجتماع الناس بمسجد السبت، وكان رأس المنكرين عليهم الإمام يحى بن عمر (ت ٢٨٩) (١) الذى كان شديدا فى دين الله قامعا لأهل البدع ، ناصرا للسنة ، و قد ترك بعد وفاته فراغا كبيرا ، ولذلك كثرت مراثيه و التى جاء فى إحداها : (٢)

عين ألم بها وجد ولم تنم	تبكى بدمع كنظم الدر منسجم
يا موت أثكلتنا يحي وكان لنا	فى بلدة الغرب مثل البدر فى الظلم
وكان يحي لنا فى الزائغين إذا	ضلوا . لسانا يبين الحق عن أمم
لتبك يحي عيون بالدموع فإن	غاضت مدامعها فلتبكه بدم
ما كان أرغبه فى سنة درست	يشيدها بيناء الحاذق الفهم

لقد كان هذا الرجل يرى أن اجتماع الناس فى مسجد السبت بدعة ، لم تكن فى الزمن الأول وكان يحث الناس على مقاطعته وعدم حضوره . بل ألف تأليفا حسنا فى وجوب مقاطعته . و الانكار على من يحضره وكان يقول لمن يحضره : " يا قوم ، هذا القرآن يتلى و الأحاديث النبوية تقرأ ولا متعظ و يسمع بيت من الشعر فيبكى هذا عجب " . (٣)

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) انظر: تراجم أغلبية (ص ٢٦٩) .

(٣) معالم الإيمان (٢٣٢/٢) .

كما كان يشتد عليه أمر المسجد و يود لو أنه هدمه حتى لا يجتمع فيه أحد و قد تكلم فيه بكلام شديد كبير (١) .

قلت : لعله استند فى رغبته فى هدم المسجد إلى فعل النبى صلى الله عليه و سلم حين أمر بهدم مسجد الضرار الذى قال الله فيه : (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (٢) (التوبة : ١٠٧) .

---

(١) رياض النفوس (٤٩٥/١) .

(٢) كان ذلك بعد غزوة تبوك . يقول ابن اسحاق: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان (بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار) وكان أصحاب مسجد الضرار قد أتوه و هو يتجهز إلى تبوك فقالوا : يارسول الله : إنا قد بنينا مسجدا لذى العلة و الحاجة و الليلة المطيرة و الليلة الشاتية و إنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه. فقال : إنى على جناح سفر وحال شغل - أو كما قال - ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه فلما نزل بذى أوان أتاه خبر المسجد . فدعا رسول الله مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف و معن بن عدى أو أخاه عاصم بن عدى أخا بنى العجلان فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه و حرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف رهط مالك فقال مالك لمعن : انظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى فدخل إلى أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه و فيه أهله فحرقاه و هدماه و تفرقوا عنه .

انظر : الاكتفاء فى مغازى رسول الله و الثلاثة الخلفاء لسليمان بن موسى الكلاعى الأندلسى تحقيق : د . مصطفى عبد الواحد . ط: مكتبة الخانجى (١٣٨٩/١٩٧٠) (٣٨٨/٢ - ٣٨٩) .

و انظر : سيرة ابن هشام بتحقيق مصطفى السقا و ابراهيم الابيارى (المجلد الثانى / ص ٥٢٩ - ٥٣٠) . الطبعة الثانية (١٣٧٥ - ١٩٥٥) . مصطفى البابى الحلبى .

ومثله فى ذلك المساجد التى تقام على القبور ، فقد أفتى العلماء بهدمها لأنها أسست على معصية الله (١).

كما أنكر عليهم - رحمه الله - رفع أصواتهم بالتكبير ونهاهم عن ذلك ، وكان المتصوفة أيام العشر الأوائل من ذي الحجة يكبرون الله تعالى ، رافعين أصواتهم بذلك ، فكان هو ينكر عليهم ذلك وينهاهم عنه . لأنه بدعة محدثة . إذ السنة فى الذكر والدعاء الإسرار بهما ، كما قال تعالى : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ) (الاعراف : ٢٠٥) .
أى : اذكر ربك فى نفسك رغبة ورهبة وبالسر من القول لا جهرا . وهكذا يستحب أن يكون الذكر خفيا لا يكون نداء وجهرا بليغا . (٢)

وقال تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) (الاعراف : ٥٥) أى : خشوعا وسرا (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) . الاعتداء فى الدعاء أنواع منها : الجهر الكثير والصياح (٣) وهو ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله لقوم رفعوا أصواتهم بالتكبير : " أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سميعا قريبا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " . (٤)

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان (١/ ٢٣٧ - ٢٤١) فقد فصل ابن القيم القول فيما يجب هدمه وقطعه مما يخشى على الناس أن يكون لهم ذريعة إلى الشرك . ومن ذلك المساجد التى بنيت على القبور .
ويقول الإمام ابن تيمية فى فتاويه (١٣/ ٤٦٣) : " يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم بناء كل مسجد بني على قبر ... " .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٤) طبعة دار الشعب .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٧/ ٧٨) .

(٤) أخرجه البخارى فى الدعوات (باب الدعاء إذا علا عقبة) رقم : ٦٣٨٤ ، الفتح (١١/ ١٨٧) وفى كتاب القدر (باب لا حول ولا قوة إلا بالله) رقم : ٦٦١٠ ، =

ولما سأل قوم النبي صلى الله عليه وسلم ـ بقولهم : " أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ أنزل الله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (١) (البقرة : ١٨٦) .

وقد أثنى الله على زكريا ـ عليه السلام ـ بقوله : (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) (سورة مريم : ٣) أى سرا . قال العلماء : " أخفاه لأنه أحب إلى الله " .

و هكذا كان هدى السلف رضى الله عنهم ، يقول الحسن البصرى (٢) ـ رحمه الله ـ " لقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض عمل يقدرون أن يكون سرا فيكون جهرا أبدا ، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء فلا يسمع لهم صوت إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم " (٣) .

= الفتح (٥٠٠/١١) من غير زيادة : أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته " .
و أخرجه مسلم فى الذكر و الدعاء (باب استحباب خفض الصوت بالذكر) رقم : ٢٧٠٤ ، صحيح مسلم (٢٠٧٦/٤) .
و أخرجه الترمذى فى الدعوات (باب ماجاء فى فضل الدعاء) رقم : ٣٣٧٤ السنن (٤٢٧/٥) و أخرجه فى (باب فضل التسبيح و التكبير و التهليل و التحميد) من كتاب الدعوات رقم ٣٤٦١ ، السنن (٤٧٦/٥) و قال : هذا حديث حسن صحيح
و أخرجه أبو داود فى الصلاة (باب فى الاستغفار) رقم : ١٥٢٦ ، السنن (٢/ ٨٧) و معنى اربعوا : بهمزة وصل مكسورة ثم موحدة مفتوحة ، اى ارفقوا ولا تجهدوا أنفسكم انظر الفتح (١٨٨/١١) .

(١) هذا الحديث يقول فيه العلامة أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ بعد دراسة سنده " انه ضعيف جدا ، منهار الإسناد بكل حال " .
انظر تخريجه لاحاديث تفسير الطبرى ، من الطبعة التى قام هو و أخوه محمود محمد شاكر بتحقيقها (٣/ ٤٨٠ - ٤٨١) .
طبعة دار المعارف بمصر .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية (٧٨/٧) .

هذا ، وقد أنكرعلى الامام يحى بن عمر كثير من المشيخة ، لإنكاره عليهم ، وضيقوا عليه ، وجعلوا له مقرئا حسن الصوت يقرأ قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا) (البقرة : ١١٤) . مشيرا بذلك إلى يحى بن عمر ، فبكى يحى عندما سمع ذلك وقال : " اللهم إنك تعلم أن هذا لا يريد بقراءته وجهك فلا تمهله بعد ثلاث ، فاستجاب الله لدعائه وتوفى الرجل بعد ثلاثة أيام " (١) .

---

(١) رياض النفوس (١/٤٩٥) .

هذه الحادثة تكشف لنا عن بداية الصراع بين السنة والبدعة فى هذا الجانب وهو صراع سيستمر بدون توقف . تظهر فيه السنة تارة ، وتظهر البدعة تارة أخرى ولكن ظهور البدعة وغلبة المبتدعة لا يكون إلا عندما يخفت صوت السنة ، وما ظهرت بدعة إلا أميتت سنة ورحم الله من أحيا سنة تركها الناس .

وقد استمر الإنكار من العلماء على من يقوم بمثل العمل الذى أنكره الإمام يحى بن عمر من ذلك قراءة القرآن فى المسجد جماعة على وجه مخصوص وفى وقت معلوم . فقد أنكره العلماء إنكارا شديدا وعدوه بدعة . أمثال الإمام الطرطوشى (١) وغيره (٢) وقد أنكروا ذلك اقتداء بالإمام مالك - الذى تأثروا به فى كل شيئ - كما سبق الحديث عنه ، فقد نقل الإمام الشاطبى (٣) عنه أن كرهه وقال : هذا لم يكن من عمل الناس " ونقل عن العتبية قوله فى القراءة فى المسجد على وجه مخصوص كالحزب ونحوه : " لم يكن بالأمر القديم وإنما هو شيئ أحدث " يعنى أنه لم يكن فى زمان الصحابة ولا التابعين . قال (أى الإمام مالك) : " ولن يأتى آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها " . وقال أيضا : " أترى الناس أرغب فى الخير ممن قضى " . (٤)

يقول الإمام الشاطبى تعليقا على كلام مالك - رحمه الله - : " لأن قراءة القرآن جماعة وفى وقت معلوم أمر مخترع وفعل مبتدع لم يجر مثله قط فى زمان

---

(١) هو الإمام أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهرى الأندلسى الطرطوسى العلامة القدوة الزاهد الفقيه شيخ المالكية عالم الاسكندرية . وطرطوشة : هى آخر حد المسلمين من شمالي الأندلس . سمع أبا الوليد الباجى ثم حج ودخل العراق وسمع بالبصرة وبغداد ونزل بيت المقدس مرة . وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ . مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (١٩ / ٤٩٠ - ٤٩٦) رقم : ٢٨٦ الديباج المذهب (٢ / ٢٤٤ - ٢٤٨) رقم : ٤٣ ، نفح الطيب (٢ / ٨٥ - ٩٠) رقم ٤٦

(٢) انظر : المعيار المعرب (١٢ / ٣٦٣) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) انظر : المعيار المعرب (١١ / ١١٢) .

الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى زمان الصحابه - رضى الله عنهم - حتى نشأ بعد ذلك أقوام خالفوا عمل الأولين وعملوا فى المساجد بالقراءة على ذلك الوجه الاجتماعى (أى الجماعى) الذى لم يكن قبلهم فقام عليه العلماء وأفتوا بكراهيته " (١) .

ثم إن الاتجاه الصوفى لم يتوقف عند هذا الحد من الانحراف . ولو أنه توقف عنده لأمكن معالجته . ولكنه تطور تطورات خطيرة ، مما جعل العلماء يجمعون على الإنكار عليهم ورميهم بالبدعة والضلالة ، هذه التطورات تمثلت فى اقتران هذه الأعمال التى ذكرناها آنفا من اجتماع فى مكان معين وفى يوم بعينه وإنشاد أشعار الرقائق ورفع الصوت بالذكر إلى غير ذلك . اقتران هذه الأعمال بالرقص والسماع . وما يحدث بعد ذلك من الوجد والإغماء ، ثم ما يلى ذلك من الانبساط فى الأكل والشرب (٢) حتى أصبحت هذه الأمور دأب الصوفية وسنة متبعة عندهم إلى يومنا هذا .

وكان للأغانى الروحية العاطفية شأن عظيم عند الصوفية . ويحدثنا المقدسى (٣) فى أحسن التقاسيم (٤) عن حضوره مجالس الصوفية قائلا : " فَكَرَّةً أرْعَوَى معهم وتارة أقرأ لهم القصائد " ثم زاد بعد ذلك الرقص إلى جانب الغناء . حتى بلغ ببعض العوام أن يظن بأنه مذهب الصوفية ليس إلا الرقص . وقد عاب عليهم المعرى (ت ٤٤٩) (٥) ذلك فقال :

---

(١) المعيار (١١/١١٢) .

(٢) يحدثنا المقدسى أنه دفعته الظروف إلى بعض المجالس الصوفية بشيراز فكان لا يخرج من دعوة حتى يدخل فى دعوة أخرى . حيث يقول : "كنت غنيا فى وسطى نفقة وافرة وأنا فى كل يوم فى دعوة وأى دعوة" . انظر : أحسن التقاسيم (ص ٤١٥) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) (ص ٤١٥) .

(٥) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى . شاعر حكيم أديب لغوى نحوى ولد سنة ٣٦٣ بمعرة النعمان من أعمال الشام وتوفى بها

أرى جيل التصوف شرَّ جيل   فقل لهم و أهون بالحلول

أقال الله حين عبدتموه   كلوا أكل البهائم و ارقصوا لي (١)

و قد أنكر العلماء هذه الأعمال أشد الإنكار وعدوها من رواسب الديانات الأخرى كاليهودية و النصرانية ، فهذا الإمام الطرطوشي يسأل عن مذهب المتصوفة فى اجتماع جماعة كثيرة يكثرون ذكر الله سبحانه و تعالى و الصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم و مدحه بما هو أهله ، ثم يقوم بعضهم يرقص و يتواجد حتى يقع مغشيا عليه ، ثم يحضرون شيئا من الطعام يأكلونه : هل الحضور معهم جائز أو لا ؟ فأجاب - رحمه الله - بقوله " مذهب الصوفية بطالة و جهالة و ضلالة . فما الإسلام إلا كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم . و أما الرقص فأول من أحدثه السامرى فإنهم لما عبدوا العجل صاروا يرقصون حوله و يتواجدون فهذا دين الكفار وعباد العجل " . (٢)

و بذلك أجاب المازرى - أيضا - عند ما سئل عن رفع الصوت بالذكر فقال : " الاجتماع بالذكر و التطريب و التحنين و رفع الأصوات قد نهى العلماء عنه و انكروه و عدوه بدعة و قد قال عليه الصلاة و السلام : " عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فكل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة (٣) " . و قد علم أن هذا الفعل لم يكن فيما سبق من الزمن

= سنة ٤٤٩ ، وكان يرمى بالإلحاد . من مصنفاته : سقط الزند و هو ديوان شعره رسالة الغفران و رسالة الملائكة ، لزوم مالا يلزم .

مصادر ترجمته : تاريخ بغداد (٤/٢٤٠ - ٢٤١) رقم: ١٩٦٦ . المنتظم (٨/١٨٤ - ١٨٨) رقم : ٢٤٩ وفيات الاعيان (١/١١٣ - ١١٦) رقم : ٤٧ سير أعلام النبلاء (١٨/٢٣ - ٣٩) رقم: ١٦ ، معجم المؤلفين (١/٢٩٠ - ٢٩٤)

(١) انظر: الحضارة الاسلامية لآدم متز. (٢/٣٢) .

(٢) المعيار المعرب (١/١٦٢ - ١٦٣) و الجامع لاحكام القرآن (١١/٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٣) سبق تخريجه .

الأول ولا فعله السلف الصالح من الصحابة . مع العلم بأنهم أعبد ممن يأتى بعدهم ونقل عنهم بالتواتر أنهم شديدو الحزم فى الازدياد من الطاعة حتى يخف عليهم إراقة دمائهم وقتل أولادهم وآبائهم فى الجهاد فى ذات الله ورسوله . فلو كان خيرا ما سبق هؤلاء إليه ." (١)

ومن قبيل ذلك ما أحدثه الناس من الاحتفال باليوم الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم. وهو أمر لم يكن فى الزمن الأول وإنما هو كما يقول أبو الوليد الباجى (٢) : " بدعة أحدثها البطالون وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون " وقد ألف فى الإنكار على هذا الأمر فى الزمن الذى نحن بصدد الحديث عنه ، ابوالوليد الباجى ، حيث ألف رسالة صغيرة سماها (حكم بدعة الاجتماع فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم) (٣) .

---

(١) المعيار المعرب (١٢/٣٦٣) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هذه الرسالة نشرتها مجلة الاصلاح (المجلد الاول / العدد الخامس / ص ٢٧٨) . ونسبها اليه صاحب الفتح المبين فى طبقات الأصوليين (١/٢٥٤) ويذكر المؤرخون أن أول من أحدث الاحتفال بالمولد هم الفاطميون الذين اتخذوه من شعائر دولتهم .
ويصور لنا القلقشندى طريقة هذا الاحتفال فيقول :" وكان عادتهم فيه أن يعمل فى الفطرة عشرة من السّكر الفائق وحلوى من طرائف الأصناف ، وتعبأ فى ثلاثمائة صينية نحاس . فإذا كان ليلة ذلك المولد تفرق أرباب الرسوم. ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر . فيجلسون فى الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة . ثم يستدعى القاضى ومن معه فيحضرون وهم متشوقون لانتظار ظهور الخليفة. فتفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهه . ويقرأ القراء ويخطب الخطباء وينبهون إلى فضل ذلك الشهر ويدعون للخليفة ، وهكذا ينتهى الحفل وينفض الناس" .
انتهى بتصرف من صبحى الاعشى (٣/٤٩٣) .
وقد استمر الاحتفال بالمولد طيلة العهد الفاطمى ، فلما جاء العهد

= الأيوبى نقض كل ما نسجه خلفاء الدولة الفاطمية من مظاهر شيعية و ما أحدثوه من المواسم و الأعياد و منها المولد النبوى .
ولكن رغم نقضه إلا أن الأسر الإسلامية بقيت تحتفل به و بحكم اتصال العالم الإسلامي بعضه ببعض فقد انتقل الاحتفال بهذا الموسم إلى أطرافه كلها .
و ظهرت هذه العادة فيما بعد بأشكال مختلفة. فظهرت فى بداية القرن السابع بشكل رسمى فى مدينة اربل على يد اميرها الملك مظفر الدين بن أبى سعيد كوكبرى بن زيد الدين على بن سبكتكين الذى أحدث فيه من الابتهاج مالا يعقل. يقول ابن الاثير : " انه كان ينفق على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار و أحدث فيه من الأغانى و الملاهى و الطبول الشيئ الكثير " .
الكامل فى التاريخ لابن الاثير (١٣/١٣٧) .
و يحدثنا ابن الحاج فى المدخل (٢/١١- ١٢) عن الفساد الذى دخل الاحتفال بالمولد فيذكر أنه كان فى مصر - على عهده - احتفالان : احتفال للنساء و احتفال للرجال . فعن احتفال النساء يقول : كن يذكرن جماعة و يرفعن أصواتهن، و أصوات النساء فيها من الترخيم و النداوة ما هو فتنة - فى الغالب - فى واحدة منهن فكيف إذا اجتمعن ، فتكثر الفتن فى قلوب من يسمعهن . و تصفيقهن بالأكف فيها فتنة. وكان بعضهن يرقص ثم أنهن لا يحضرن للمولد الذى احتوى على ما تقدم من المفاسد المذكورة إلا بحضور من يزعمن أنها شيخة على عرفهن . و قد تكون - وهو الغالب - ممن تدخل نفسها فى التفسير فتفسر و تحكي قصص الأنبياء - عليهم السلام - و تزيد و تنقص و ربما وقعت فى الكفر الصريح و هى لا تشعر بنفسها " .
و يذكر الشيخ عبد الحى الكتانى أنه ألف فى قصة المولد الكثير فى القرن السابع . مثل ابن دحيه المتوفى بمصر (سنة ٦٣٣) . و محى الدين بن العربى المتوفى بدمشق (سنة ٦٣٨) و احمد العزفى المتوفى (سنة ٦٧٧) و غيرهم .
كما ألف فى الإنكار على ما يحدث فى هذه المناسبة الفقيه المالكى تاج الدين عمر بن على اللخمى الاسكندرى المعروف بالفاكهانى (ت ٧٣١) رسالة أسماها : المورد فى الكلام على المولد . أوردها السيوطى بنصها فى حسن المقصد .
و انظر : المجلة الزيتونية (المجلد الأول / الجزء ١٩ / ص ٤٦٦) .
و أنظر أيضا مقال محمد الفاضل بن عاشور : كيف نشأ الاحتفال بالمولد فى =

وهى على صغرها ، غزيرة الفائدة. بين فيها مؤلفها حكم هذا العمل من جهة الشرع فقال : " إذا أَدَرْنَا على هذا العمل الأحكام الخمسة قلنا : إما أن يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا أو مكروها أو محرما. وليس بواجب إجماعا ، ولا مندوبا لأن حقيقة المندوب ما طلبه الشارع من غير ذم على تركه ، وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة والتابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت. وهذا جوابى عليه بين يدى الله تعالى إن سئلت عنه ، ولا جائز أن يكون مباحا لأن الابتداع فى الدين ليس مباحا باجماع المسلمين فلم يبق إلا أن يكون مكروها أو حراما " .

ثم يبين - رحمه الله - متى يكون الاحتفاء بهذه المناسبة مكروها ومتى يكون حراما . فالمكروه هو " أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله ولا يجاوزون فى ذلك الاجتماع أكل الطعام ولا يقترفون شيئا من الآثام. وهذا الذى وصفناه بأنه بدعة مكروهة ، إذ لم يفعله أحد من متقدمى أهل الطاعة الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام ، سرج الأزمنة وزين الأمكنة " .

ولكن بعض العلماء يخالفونه فى كون الاقتصار على ما ذكر ، اذا كان صاحبه يقصد تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم - يكون مكروها ، بل يكون مأجورا أجرا عظيما ، حيث يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - " فتعظيم المولد واتخاذه موسما قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده . وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم " واستدل له بما ورد عن أحمد أنه : " لما سئل عن بعض الأمراء أنه أنفق على مصحف ألف دينار أو نحو ذلك فقال : دعهم فهذا أفضل ما أنفقوا فيه الذهب " .

قال ابن تيمية عقب ذلك " مع أن مذهبه (أى أحمد) أن زخرفة

= بلاد الاسلام فى كتابه (ومضات فكر) ص ٢٠٧ .

المصاحف مكروهة " (١)

وأما الحرام فهو عند الباجي " أن تدخله الجناية وتقوى به العناية "
والجناية المقصود منها " الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل من الدفوف وغيرها
واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات والرقص بالتثني والانعطاف و
الاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف . وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن
رافعات أصواتهن بالتهنيك والتطريب في الانشاد والخروج في التلاوة والذكر عن
المشروع والمعتاد . وهذا هو الذي لا يختلف في تحريمه اثنان ولا يستحسنه
ذوو المروءة الفتيان . وإنما يحلو ذلك النفوس موتى القلوب وغير المستقلين من الآثام
والذنوب .

وأزيدك أنهم يرونه من العبادات لا من الأمور المنكرات فإنا لله وإنا إليه
راجعون " .
ثم يُنَبِّهُ الباجي في آخر الرسالة إلى أن " الشهر الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم
وهو ربيع الأول هو بعينه الذي توفى فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن " . انتهت
الرسالة .

هذه نماذج من مقاومة علماء المغرب للبدع التي دخلت التصوف . انتقل
بعدها إلى النوع الثاني من أنواع المقاومة وهو مقاومة الأشخاص الذين كان لهم دور في

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم (٦١٧/٢) . وممن جوز الاحتفال بالمولد إذا
جرد مما علق به من الأمور المنكرة الإمام السيوطي وابن حجر العسقلاني وابن
حجر الهيثمي . وللسيوطي رسالة في هذا الباب أسماها (حسن المقصد في
عمل المولد) رد فيها على رسالة الفاكهاني المالكي في الإنكار على عمل المولد .
انظر مقال محمد الفاضل بن عاشور : " كيف نشأ احتفال المولد في بلاد الإسلام "
في كتابه ومضات فكر . (ص ٢٠٧) .

نشر الانحرافات الصوفية .

النوع الثاني : مقاومة الأشخاص :-

لقد بدأ الاهتمام بالكرامات (١) مبكرا جدا . وهذا أمر بديهي ، لأن الكرامات أمر عظيم يتفضل الله به على من يشاء من عباده المؤمنين الصالحين . وهي ثابتة لهم بالتواتر ، بل ان ابن تيمية يقول : " إن ثبوت الكرامات من جهة النقل أكثر من ثبوت المعجزات " (٢) . وفي سير الصحابة والتابعين والعلماء العاملين كثير منها ، وهي تدل على أن صاحبها على درجة كبيرة من التقوى والايمان وأنه مقتف أثر الرسول عليه الصلاة والسلام .

هذا أمر لا غبار عليه ولا مراء فيه . ولكن عندما يتجاوز هذا الأمر حدوده الشرعية ويصبح معارضا للنصوص الثابتة التي لا تقبل التأويل ، عند ذلك يصبح جديرا بالإنكار على صاحبه وأن تجند كل الإمكانات لمقاومته لأن في تركه دون مقاومة أو إنكار خطرا كبيرا على العامة ، والناس سراع إلى كل مبتدع هذا فضلا عن أنه إقرار لهم على باطلهم .

وهذا هو الذي حدث بالفعل ، فلقد اهتم الناس بالكرامات وبالغوا في ذلك حتى تجاوزوا الحدود المشروعة التي حددتها الشريعة الغراء ، وجعلت المنطقة التي بعدها محرمة لا يجوز البحث فيها .

لقد ذكرت فيما سبق من البحث قول ابن العربي في هذا الموضوع من أن الناس بالغوا في هذا الأمر حتى قالوا برؤية الله حقيقة ، يدخلونه في باب الكرامات.

---

(١) الكرامة : هي امور خارقة للعادة، تظهر على يد المؤمن المتقي العارف بالله وصفاته غير مقرونة بدعوى النبوة .
انظر: كشاف اصطلاحات الفنون(١٣٩٩/٥)،وانظر عن الفرق بينهما وبين المعجزة والارهاص والاستدراج ،المرجع ذاته (٤٤٤/٢ ومابعدها).

(٢) كتاب النبوات (ص) .

وهو قول عظيم لأنه يتعارض مع النصوص المتواترة الدالة على عدم جواز رؤية الله حقيقة فى الدنيا . وقد سبق ذكر هذه النصوص فى موضعها من هذا البحث (١) .

ولما انتشرت هذه المقالة فى العصر الذى نبحث فيه . وأصبح كل دَعِيٍّ يثبت هذه الكرامة - أى رؤية الله حقيقة - لمن يشاء . قيض الله من العلماء من يردها ويبطل أدلتها كالإمام ابن زيد القيروانى وغيره . فإنه لما ألف أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد البكرى (٢) (ت ٣٨٠) كتابا فى كرامات الأولياء أسماه (كرامات الأولياء المطيعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان) وذكر فيه أشياء تنفر منها العقول . مثل قوله : رأيت كذا وكلمنى كذا حتى قال : رأيت الله تعالى يقظة . أنكر عليه أهل العلم ذلك . وذكروه للإمام ابن أبى زيد القيروانى الذى أجاب بقوله " لعله فى المنام " فقالوا : إنه يزعم أن ذلك فى اليقظة . عند ذلك انبرى الإمام ابن ابى زيد القيروانى لرد هذه المقالة الخطيرة ، وألف فيها كتابا أسماه (الاستظهار فى الرد على البكرية) وكتابا آخر أسماه (الكشف والتلبيس) فى الرد عليهم أيضا .

---

(١) راجع (ص) .

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله البكرى الصقلى ثم القيروانى . سمع من على بن محمد بن مسرور الدباغ وحبيب بن نصر الحزرى وغيرهما . ورحل إلى المشرق فسمع من الآجرى وغيره . ألف عدة مؤلفات فى التصوف منها هذا الكتاب وكتاب الأنوار فى علم الأسرار ومقامات الأبرار فى التصوف) يوجد ضمن مجموعة مخطوطة رقم : ٢٣ تصوف بدار الكتب المصرية ، وكتاب (الدلالة على الله تعالى) توجد منه قطعة ضمن المجموع السابق وهو عبارة عن حكايات وأقوال مروية عن الصحابة وكراماتهم وحكايات عن الخضر وشعيب) . وكتاب (الشرح والبيان لما أغفل من كلام سهل بن عبد الله التسترى) وكتاب (صفة الأولياء ومراتب أحوال الأصفياء) .

مصادر ترجمته : معالم الإيمان (٣/ ١٤٤ - ١٤٦) رقم : ٢٦٨ ، شجرة النور =

وقد أثار هذان الكتابان غضب المتصوفة ، فطفقوا يشنعون عليه بحجة أنه ينكر الكرامات وقالوا : هذا مذهب المعتزلـــة . (١)

والحقيقه إن الامام ابن إبي زيد القيرواني لا ينكر الكرامات ولم يفعل كما يقول القاضـي الباقلاني "بل من طالع كتبه عرف مقصده" وكيف ينكرها وهـــو قـــد ألـــف في إثباتها كتابا (٣) .

إنما الذى أنكره هو رؤية الله تعالى حقيقة ، وهو أمر طبيعى ، فأهل السنة مجمعون على إنكاره لأنه مخالف للنصوص الشرعية الثابتة المتواترة من القرآن والسنة وأقـــوال السلف - رضى الله عنهم - وقول ابن أبى زيد القيروانى : " لعله فى المنام " إشارة إلى مذهب القائلين بجواز رؤية الله تعالى فى المنام . وقد ثبت عن غير واحد من السلف أنه رأى الله فى المنام ، وأما اليقظة فلم يقل به أحد من أهل العلم ممن يعتد بهم ، وإن كان قاله فلا يلتفت إليه لشذوذه ، ومن جوزها من العلماء فإنما جوزهـــا عقلا لا على أنها وقعت حقيقة . بحجة أنها " لو لم تكن جائزة لكان سؤال موسى - عليه السلام - مستحيلا ، ومحال أن يجهل نبيٌّ ما يجوز على الله وما لا يجـــوز ، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل " . وممن ذهب إلى هذا القول الإمام القرطبى (٤) وأبو حيان (٥) وهو قول ظاهر التهافت ، والنصوص القرآنية والحديثية ترده .

= الزكية (ص١٩٨) هدية العارفين (١/١٤١) . معجم المؤلفين (٥/١٨١) العرب فى صقلية لاحسان عباس. طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٩ . (ص ١١٥ - ١١٩) .

(١)

(٢) ترتيب المدارك (٢/٤٩٤) .

(٣) هدية العارفين . (ص٤٤٧) .

(٤) تفسير القرطبى (٧/٥٥) من طبعة وزارة الثقافة المصرية (١٣٨٧ / ١٩٦٧) .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى الشهير بأبى حيان ولد سنة ٦٥٤ . وكان رحمه الله ملما بالقراءات صحيحهـــا وشاذها . رحل فسمع بالاسكندرية وبمصـــر . وكان عالما بالنحو واللغـــة =

وقد أثارت هذه المسألة وقتها جدالا عنيفا بين علماء المغرب . الأمر الذى حدا بهم إلى أن يرسلوا إلى الإمام أبى الطيب الباقلانى (١) يستفتونه فى ذلك ، فما كان منه - رحمه الله - إلا أن برأ ابن أبى زيد مما رمى به من إنكار الكرامات ، وقد ذكر ذلك فى كتابه (البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات) (٢) .

حيث يقول فيه : " وقد كان بعض أصحابنا المغاربة ذكر لنا من إنكار شيخنا أبى محمد بن أبى زيد القيروانى لذلك ما لم يثبت عندنا . ولعله إن كان قال ذلك فإنما أنكر منه ما يجب إنكار مثله ، فإننا لا نجيز الكرامات للصالحين بجميع الأجناس وبمثل سائر آيات الرسل عليهم السلام ، أو أنكر اغراقا فى ذلك وتجاوزا لا يجوز المصير إليه . لأن فضل عليه وما نعرفه من دينه وحسن بصيرته واضطلاعه بعلم أصول الدين والانبساط فى التوسع فى معرفة فروعه وأحكامه يبعد عندنا خلافه فى هذا الباب إلا على وجه ما ذكرنا " .

فهذه شهادة من الباقلانى على براءة هذا الإمام مما رمى به وفيها إشارة إلى أن هناك من الكرامات ما يجوز إنكاره ، ورؤية الله تعالى حقيقة مما يجوز إنكاره لأن فيه إغراقا وتجاوزا لا يجوز المصير اليه .

وممن ألف من العلماء - أيضا - فى الرد على هذه المقالة التى يبدو أنها كانت منتشرة بشكل كبير . الإمام أبوعمرو الطلمنكى (ت٤٢٩) (٣) فقد ألف .

= يقرظ الشعر ، ألف عدة مؤلفات منها : البحر المحيط فى التفسير وغريب القرآن ونهاية الاعراب . توفى رحمه الله سنة ٧٤٠ .

مصادر ترجمته : الدرر الكامنة (٥/ ٧٠ - ٧٦) رقم : ٤٦٩٣ .

(١) مرت ترجمته .

(٢) (ص ٥) .

(٣) مرت ترجمته .

وممن ألف فى الـــرد على ابن مســرة أبو محمد عبد الله بن محمد الأموى النحوى (ت ٤٠٠) (١)
فقد جمع كتابا فى الرد عليه أكثر فيه من الحديث و الشواهد و هو كتاب " كبير حفيـــل " (٢)
و كذلك ألف الإمام أبو عمرو الطلمنكى كتابا فى الرد عليهم . (٣)
كما ألف احمد بن خالد المعروف بالحباب صحيفة فى الرد عليه أيضـــا (٤)
و ألف الزبيدى (٥) كتاب الرد على ابن مسرة (٦) .

هذا بالإضافة إلى الإنكار العام الذى نراه عند علماء المغرب على من عرف عنــه
أنه من أتباع ابن مسرة. فمحمــد بن عبد الله القيسى (ت ٣٨٢) (٧) ترك أهـــل
الحديث الأخذ عنه لما علموا أنه ينسب إلى اعتقاد ابن مسرة بالرغم مما عرف عنه من العلـم
الغزيــر و الضبط لما كتب (٨) .
و كذلك عبد العزيز بن أحمد بن محمد (ت ٣٨٧) (٩) فقد غض اعتناقه لمذهـب

---

(١) هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن نصر ابن ابيض بن محبوب بن ثابت الأموى النحوى
من أهل طليطلة سكن قرطبة واستوطنها . عنى بالحديث وجمعه وتقييده و ضبطه
كان أديبا حافظا نبيلا سمع الناس منه . توفى سنة ٤٠٠ وكانت ولادته سنة ٣٢٩ .
مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (١/٢٤٩) رقم : ٥٦٥ .
(٢) الصلة (١/٢٤٩) .
(٣) ترتيب المدارك (المجلد الثانــى ص ٧٥٠) .
(٤) الملامح العامة لشخصية ابن مسرة وآرائه لا لوارد محمد (ص ٤٤) . كما ألـــف
فى الرد عليـــه من المشارقة أبو سعيد بن الاعرابى (ت ٣٤١) ن م (ص ٤٤) .
(٥) هو أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى النحوى الاشبيلى (ت ٣٧٩) . ترجمته :
عند الحميدى (ص ٤٦ - ٤٩) رقم : ٣٤ ابن سعيـــد (١/٢٥٥ - ٢٥٦) رقم :
١٧٨ .
(٦) انظر مصادر ترجمته
(٧) تقدمت ترجمته .
(٨) تاريخ علماء الأندلس (٢/٩٦ - ٩٧) .
(٩) سبقت ترجمته

هو الآخر كتابا فى ذلك رد فيه على الباطنية ، يقول الامام الذهبى : " وألف كتابا فى الرد على الباطنية فقال : ومنهم قوم تعبدوا بغير علم وزعموا أنهم يرون الجنة كل ليلة ويأكلون من ثمارها ، وتنزل عليهم الحور العين وأنهم يلوذون بالعرش ويرون الله بغير واسطة ويجالسونه " (١) .

كما تناولهم بالرد ضمن من تناولهم الإمام أبو بكر ابن العربى فى كتابه القيم (العواصم من القواصم) . حيث ذكر نشأة هذه المقالة وأنكرها إنكارا شديدا . وقد سبق نقل كلامه فى ذلك فليراجع (٢) .

ولما ظهر ابن مسرة واشتهر أمره وبَانَ انحرافه قام عليه علماء السنة وأظهروا زيفه ومروقه . وألفوا فى الرد عليه كالإمام ابن ابى زيد القيروانى ، الذى ألف فى الرد عليه كتابا أسماه (كتاب الرد على ابن مسرة المارق) وهو كتاب كما شهد له العلماء " منطو على التقاسيم الأصولية والقوانين الحقيقية البرهانية التى تدل على تبحره فى علم أصول الدين " . وقد شهد له بذلك الإمام الباقلانى (٣) وغيره

ومن قاوم جماعة ابن مسرة وألف فى الرد عليهم القاضى محمد بيقى بن زرب (ت ٣٨٩) فقد اعتنى - رحمه الله - بطلب أصحاب بن مسرة والكشف عنهم واستتابة من علم أنه يعتقد مذهبهم . وأظهر للناس كتابا حسنا وضعه فى الرد على ابن مسرة قرئ عليه وأخذ عنه .

ومن مظاهر مقاومته لهم ، أنه قام فى سنة ٣٥٠ باستتابة جملة منهم جيء بهم إليه ، ثم خرج إلى جانب المسجد الشرقى وقعد هناك وأحرق بين يديه ما وجد عندهم من كتب ابن مسرة وهم ينظرون إليه فى سائر الحاضرين (٤) .

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (١٧/٥٦٩) .

(٢) راجع (ص: ٥٦٤ - ٥٦٥)

(٣) يراجع حديثى عن مؤلفات ابن ابى زيد ص؟ من هذا البحث .

(٤) انظر: تاريخ قضاة الأندلس للنباهى المالقى (ص٧٧ - ٨٢) .

ابن مسرة منه (١) وكذا عبد الوهاب بن منذر القرطبي (ت ٤٣٦) (٢) ، فقد تكلم فيه علماء المغرب من أجل ذلك (٣) .

وهناك رجال آخرون تركهم علماء المغرب وقاوموهم ليس من أجل اعتناقهم لمذهب ابن مسرة ولكن من أجل قضايا أخرى . فعطية بن سعيد بن عبد الله (٤) كان كثير من المغاربة يتحامونه لتأليفه كتابا في تجويز السماع على مذهب الصوفيه ، فتركه الناس لذلك وكان عالما (٥) .

وقد أثار أبو بكر يمن بن رزق الزاهد (٦) غضب الفقهاء الملتزمين بالكتاب والسنة لتأليفه كتابا في الزهد فمنعوا الناس من النظر فيه بدعوى أن مؤلفه صاحب وساوس.ولم تقتصر مقاومة ابن مسرة وأتباعه على العلماء ، بل امتدت الى الدولة التي اتخذت - هي الأخرى - موقفا حازما من هذه الجماعة الأمر الذي جعلها تجند إمكانات كبيرة من أجل القضاء على هذه النحلة وعلى أتباعها . فكان أن صدر سنة ٣٤٠ منشور

---

(١) تاريخ علماء الأندلس (١/٢٧٩) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) الصلة (٢/٣٨٠) .

(٤) هو أبو محمد عطيه بن سعيد بن عبد الله أندلسي حافظ. سمع بالأندلس من أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي وطبقته . وطاف بلاد المشرق سياحة وانتظمها سماعا وكان يتقلد مذهب التصوف ويقول بالإيثار ولا يمسك شيئا توفي سنة ٤٠٣ . مصادر ترجمته : جدوة المقتبس (٣١٩ - ٣٢٢) رقم الترجمة : ٧٤١ .

(٥) نفس المصدر .

(٦) ترجمة في تاريخ علماء الأندلس (٢/٢٠٠) رقم : ١٦١٣ .

من الخليفة الناصر قرئ على الناس بالمسجدين الجامعين بالحضرتين قرطبة والزهراء (١) تقضي بتعقب أتباع ابن مسرة ومعاقبتهم . ومنشور آخر صدر في شعبان سنة ٣٤٦ يصب في الاتجاه ذاته . وهو ما يؤكد الاتجاه السني العام لبلاد المغرب في ذلك العهد - على أقل تقدير - وقد اكتشف هذا المنشور - أخيرا - (٢) والذي جاء فيه بعد البسملة وذكر بداية أمر هذا الدين وأنه آخر الرسالات وأنه المهيمن عليها والناسخ لها وأنه الدين الذي ارتضاه الله للبشرية فلا يجوز العدول عنه إلى غيره . بعد هذه المقدمة في بيان عظمة هذا الدين . جاء ذكر هذه النحلة الملحدة " التي لا تبتغي خيرا ولا تأتمر رشدا من طغام السواد . استولى عليهم الخذلان وأحال عليهم بخيله ورجله الشيطان فقالوا بخلق القرآن وآيسوا من روح الله وأكثروا الجدال في آيات الله وحرفوا التأويل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبرئت منهم الذمة بقوله تقدست أسماؤه (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) (غافر: ٧٢) . فهذا أبلغ الوعيد وأقطع النكال لمن جادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ

---

(١) هي مدينة صغيرة بناها عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٥هـ . وعطها منتزها له وأنفق في بنائها ما تجاوز حد الإسراف . وهي تقع غربي قرطبة على بعد خمسة أميال . انظر عنها : معجم البلدان (١٦١/٣) . صفة جزيرة الأندلس للحميري (ص٩٥) الآثار الأندلسية الباقية لعبد الله عنان (٣٥ - ٤٤) .

(٢) نشره لأول مرة الدكتور عبد الله عنان في كتابه القيم (دولة الإسلام في الأندلس) (العصر الاول / القسم الثاني / ص ٧٠٨) وفي صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد (١٣٣/١٣) ضمن مقال له بعنوان : اكتشاف السفر الخامس من المقتبس لابن حيان وانفذه الخليفة الناصر لدين الله إلى آفاق ملكه بشأن هؤلاء المبتدعة قرئ عليهم بأمصارهم .

الْحَرِيقِ) (الحج : ٩) ثم تجاوزوا فى البهتان وأبطلوا الشفاعة ونالوا محكم التنزيل ، فصاروا بجهل الآثار وسوء حمل الأخبار إلى القدح فى الحديث وترك نجح السبيل . فأقدموا بمكروه القول فى السلف الصالح . ولما صار غيهم فاشيا وجهلهم شائعا (واتصل بأمير المؤمنين) (١) من قدحهم فى الديانة وخروجهم عن الجادة ما أشغل نفسه وأقض مضجعه وأسهر ليله . فأغلظ أمير المؤمنين فى الأخذ فوق أيديهم وأوعز إيعازا ، وأُنذر إنذارا فظيعا وعهد عهدا مؤكدا شافيا كافيا . نظر به لوجهه تبارك وتعالى ، وقدم فيه بين يدى العقاب الشديد وأمر بقراءة كتابه هذا على المنبر الأعظم بحضرته ليقرع قلب الجاهل ويفت كبد المستهتر الحائر وينقض عزم المعاند ، ويضطر الغواة إلى الإثابة الصحيحة التى يتقبلها الله منهم أو يكشف عن الأذهان سرائرهم فيكون عليهم شهيدا ويأتيهم عذاب غير مردود . ورأى أمير المؤمنين أن يشمل بنظره أقطار كوره (٢) ويرسله فى بدوه وحضره . يقرأ على منابر المسلمين ولا يحرم القاصي ما عم الداني من تطهير هذا الرجز وتمحيصه وكفاية المسلمين شبهته وفتنته فلم يهلك الله أمة من الأمم إلا بمثل ما يكشف عن هذه الطغمة الخبيثة من التبديل للسنة والاعتداء فى القرآن وأحاديث الرسول الأمين صلوات الله عليه وسلم . وَتَتَبَّعْ هذه الطائفة بجميع أعمالك واثبت فيهم عيونك فمن قامت عليه البينات بذلك فاكتب إلى أمير المؤمنين بأسمائهم ومواضعهم وأسماء الشهود عليهم ونصوص شهاداتهم لنعهد باستجلابهم إلى باب سدته لينكلوا بحضرته فيذهب غيظ نفسه ويشفى صدره وإياك أن تهون من أهل الريبة وتتخطاهم إلى ذوى السلامة والأحوال الصالحة فإن فرطت فى أحد

---

(١) هو الخليفة الناصر لدين الله الذى تقدمت ترجمته .

(٢) الْكُوَرُ جمع كُورَه وهو الصقع ، أو البقعة التى يجتمع فيها قُرًى ومحال .

المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٤) .

الأمرين أو كليهما فقد برئ الله منك و أحل دمك فاعلمه و اعتقد به .

قال ابن حيان (١) : و تمادى الطلب لهذه الفئة السرية و الإخافة لهم و تخويف الناس من فتنتهم بقية أيام الناصر لدين الله " (٢) .

و تستمر مقاومة الاتجاه الصوفي و تصل ذروتها في عهد المرابطين . ففي هذا العهد اتخذت المقاومة شكلا آخر تميز بالتشدد و الحزم و العنف في بعض الحالات الأمر الذي أوجد اتجاها آخر مضادا يُقْبِل على كتب الصوفية و كما يقال : فكل ممنوع مرغوب . و في رأيي لو سلك المرابطون إزاء هذا الاتجاه سياسة الإقناع ببيان مضار كتب التصوف وما تؤدي إليه من انحراف في العقيدة و السلوك و ما إلى ذلك و تربية الناس على هذه المفاهيم مع تلقينهم العقيدة الصحيحة السليمة ، في نظري لو سلكوا هذا المسلك لكان أجدى لهم في إبعاد الناس عن هذه الكتب و تزهيدهم فيها . أما و قد سلكوا مسلك العنف فإنهم في النهاية لم يقضوا على التصوف ولا على كتبه . فضلا عن أنهم أحدثوا بتصرفهم ذلك ردة فعل قوية عند الطرف المقابل تمثلت في تلك الكمية الكبيرة من المؤلفات الصوفية التي ألفت في ذلك العهد . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مؤلفات ابن برجان مثل : الإرشاد و الإشارات ، و شرح أسماء الله الحسنى ، و الالهام .

---

(١) هو الإمام أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي القرطبي . المؤرخ النحوي الأديب صاحب التصانيف ، ولد سنة ٣٧٧ ، سمع من أبي حفص عمر بن حسين بن بابل وغيره . من تصانيفه : " المقتبس في تاريخ الاندلس" " المبين في تاريخ الاندلس" توفي سنة ٤٦٩ .
مصادر ترجمته : الصلة (١/١٥٣ - ١٥٤) رقم : ٣٤٥ ، بغية الملتمس (ص ٢٧٥) ، سير أعلام النبلاء (١٨/٣٧٠ - ٣٧٢) رقم : ١٧٩ ، شذرات الذهب (٣/٣٣٣) .

(٢) سبقت ترجمته .

و ألف ابن العريف أيضا عدة مؤلفات فى التصوف منها : (محاسن المجالس) وكتاب (مفتاح السعادة و تحقيق طريق الإرادة) و هناك مؤلف ذكره له المقرى (١) فى نفح الطيب (٢) هو (مطالع الأنوار و منابع الأسرار) .

و ألف أبو الحسن بن غالب (٣) عدة تواليف فى هذا الفن منها كتاب : (الاعتبار) وكتاب (الأيام و الحجب) وكتاب (اليقين) .

كما ألف الصوفى الكبير أبو العباس أحمد بن معد المعروف بابن الإقليشى (ت : ٥٥٠) (٤) مصنفات عديدة فى التصوف منها : (كتاب النجم فى كلام سيد العرب و العجم) وكتاب الغرور من كلام سيد البشر) (٥) .

و ألف الخراط أبو محمد الإشبيلى (ت ٥٨١) (٦) عدة مؤلفات فى هذا

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) (٤٩٧/٧) .

(٣) ترجمته فى الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشى (سفر٥/ قسم ١/ ص ٢٠٩) رقم الترجمة : ٤١٥ . تحقيق إحسان عباس . ط دار الثقافة بيروت (الطبعة الاولى ١٩٧٣) .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن عيسى بن الوكيل التجيبى الزاهد . يعرف بابن الإقليشى ، سمع بالإندلس من عدد من الشيوخ و رحل إلى المشرق فحج و جاور بمكة سنين وكر راجعا إلى المغرب ، وكان عالما عاملا شاعرا مجودا . وكان متصوفا توفى سنة ٥٥٠ و قيل ٥٥١ .

مصادر ترجمته : التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (١/ ٦٠ - ٦٢) رقم : ١٦٧

(٥) انظر هذه المصنفات فى التكملة (١/ ٦١) .

(٦) هو أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعد الأزدى الاشبيلى و يعرف بابن الخراط . كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله عارفا بالرجال مع الزهد و الورع و التقلل من الدنيا . ألف عدة مؤلفات فى الفقه و الحديث و الزهد توفى سنة ٥٨١ وكانت ولادته سنة ٥١٠ .

مصادر ترجمته : الديباج المذهب (٢/ ٥٩ - ٦١) رقم : ٩ .

الفن منها (كتاب التوبة) و (كتاب معجزات الرسول) و (كتاب الصلاة و التهجد) (١)

وكذا ألف أبو العباس احمد بن الصقر السرقسطي (ت ٥٥٩) (٢) كتاب (أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد و الأبرار) .

و ألف ابن قسي (٣) كتاب (خلع النعلين) وهو كتاب - كما يقول أبو العلا عفيفي " مجموعة من اللمحات الإشراقية) (٤) .

كما أن موقفهم من كتاب (الإحياء) لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥) (٥) - رحمه الله - وَلَّدَ عند الناس حبا كبيرا لهذا الكتاب و إقبالا شديدا عليه حتى قال قائلهم :

أبا حامد أنت المخصص بالمجد ... و أنت الذي علمتنا سنن الرشد

وضعت لنا الإحياء يحيي قلوبنا ... و ينقذنا من طاعة النازع المردي

و فيها ابتهاج للجوارح ظاهر ... و منها صلاح للقلوب من البعد (٦)

و قد وجد لأبي حامد أنصار كثيرون نهجوا منهجه و تأثروا بآرائه ورؤوه

---

(١) الديباج (٢/٦١) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الصقر الأنصاري الخزرجي ، من سرقسطة ، كان محدثا مكثرا ثقة ضابطا مقرئا مجودا حافظا للفقه عارفا بالأصول متقدما في علم الكلام ، وكان زاهدا توفي سنة ٥٥٩ و كانت ولادته سنة ٥٠٢ .

مصادر ترجمته : الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (١٨٢/١ - ١٨٦) - تحقيق د عبد الله عنان .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) انظر مجلة الآداب جامعة الاسكندرية (الجزء ١ / سنة ١٩٥٧ / ص) .

(٥) مرت ترجمته .

(٦) طبقات الشافعية للسبكي (٢٥٤/٦) و الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤٠/١) .

مما رمى به ، وقد حدث القاضى ابن حمدين (١) عن هذا النوع من الناس فقال :

" إن بعض من كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفا بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب أبى حامد إمام بدعتهم فأين هو من شُنَعِ مناكيره ومضاليل أساطيره المباينة للدين وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضى إلى علم المكاشفة..... " (٢) .

ويحدثنا ابن طملوس (٣) عن موقف أهل الأندلس من كتب الإمام الغزالى وبخاصة كتاب الإحياء ، وكيف انقلب هذا الموقف من العداء الشديد إلى الحب الشديد فيقول :

" ولما امتدت الأيام وصل إلى هذه الجزيرة (الأندلس) كتب أبى حامد الغزالى فقرعت أسماعهم بأشياء لم يألفوها ولا عرفوها ، وكلام خرج عن معتاد هم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتد أهل الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم ، فبعدت عن قبوله أذهانهم ونفرت عنه نفوسهم وقالوا :

« إن كان فى الدنيا كفر وزندقة فهذا الذى فى كتب الغزالى هو الكفر والزندقة . وأجمعوا على ذلك واجتمعوا للأمير إذ ذاك وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب وعزموا عليه فى ذلك حتى أجابهم إلى ما سألوه فأحرقت كتب الغزالى وخاطب الأمير إذ ذاك جميع أهل مملكته يأمرهم بحرقها ويعلمهم

---

(١) هو العلامة ابو عبد الله محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسى المالكى صاحب فنون ومعارف وتصانيف. ولى القضاء ليوسف بن تاشفين سلطان المرابطين . فسار أحسن سيرة . روى عنه القاضى عياض وكان ذكيا بارعا فى العلم. متفننا أصوليا لغويا شاعرا وكان يحط على الإمام الغزالى وألف فى الرد عليه توفى سنة ٥٠٨ . مصادر ترجمته : الصلة لابن بشكوال (٢/٥٧٠) رقم : ١٢٥٤ . سير أعلام النبلاء (١٩/٤٢٢) رقم : ٢٤٤ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٣٢) .

(٣) سبقت ترجمته .

أنه هو الذى أدى إليه نظر العلماء ، وقرئت مخاطبته على المنابر وامتحن من كان عنده منها كتاب وخاف كل إنسان على نفسه أن يرمى بأنه قرأ منها كتابا أو اقتناه وكان فى ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه......

هذا عن موقفهم أول الامر ، ثم لم يلبث أن انقلب إلى نقيضه وبخاصة أيام ابن تومرت (١) الذى كان شغوفا بالنحلة الغزالية : فيقول :

" ثم لم تكن الأيام تمتد إلا قليلا حتى جاء الله بالإمام المهدى فبان به للناس ما قد تحيروا فيه وندب الناس إلى قراءة كتب الغزالى ، وعرف من مذهبه أنه يوافقه ، فأخذ الناس فى قراءتها وأُعجبوا بها . ولم يبق فى هذه الجهات من لم يغلب عليه حب الغزالى فصارت قراءتها شرعا ودينا بعد أن كانت كفرا وزندقة (٢) ".

هكذا - إذاً - كان موقف الأندلسيين من الاتجاه الصوفى ، ولعل ذلك كان نتيجة للتشدد الذى تميز به عهد المرابطين تجاه التصوف ورموزه .

والسبيل الأجدى الذى ينبغى للانسان أن يسلكه فى حكمه على الأشياء هو السبيل الوسط بين الإفراط والتفريط . وأحسن من وجدته سلك هذا المسلك مع كتاب الإحياء ، الإمام الذهبى (٣) حيث قال فيه : " أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنجرفى الصوفية . نسأل الله علما نافعا . تدرى أخى ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا . ولم يأت

---

(١) مرت ترجمته .

(٢) انظر : تاريخ الفكر الأندلسى لبالنثيا : ترجمة د . حسين مؤنس (ص ٣٦٥ - ٣٦٦) نقلا عن كتاب : المدخل لصناعة المنطق لابن طملوس (١/ ٩ - ١٣) طبعة (مدريد ١٩١٦) .

(٣) مرت ترجمته .

نهى عنه . قال عليه السلام : " من رغب عن سنتى فليس منى " (١)

فعليك يا أخى بتدبر كتاب الله و بإدمان النظر فى الصحيحين و سنن النسائى و رياض النووى و أذكاره تفلح . وإياك و آراء عباد الفلاسفة ووظائف أهل الرياضات و جوع الرهبان . فكل الخير فى متابعة الحنفية السمحة. فواغوثاه بالله اللهم اهدنا الصراط المستقيم (٢) " .

هذا هو المسلك الصحيح و القويم الذى ينبغى للمسلم أن يسلكه فى حكمه على الأشياء و تقويمه لها . و هو المسلك الذى دل عليه القرآن و السنة . و هو العدل ، فتقول لمن أحسن أحسنت ولمن أساء أسأت . ونقول لمن أحسن فى جانب و أساء فى آخر ،أحسنت فى هذا و أسأت فى هذا ، أما أن ننسف جميع الحسنات و نغض عنها الطرف لمجرد أن صاحبها أخطأ ، فهذا الذى لا ينبغى و قد قال تعالى : (ولَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَن لَاَّ تَعْدِلُوا . اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (المائدة : ٨) . " أى لا يحملنكم بغضكم لقوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل فى كل أحد صديقا أوعدوا " . (٣)

كما أن سلوكهم مع كتاب الإحياء جعل الناس تنقم عليهم فعلهم و تشنع حتى أنه لما آل الأمر إلى الموحدين حرقوا كتب المذهب المالكى المعتبرة كرد فعل لما فعله المرابطون .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٣٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٥٧ - ٥٨) ، طبعة دار الشعب .

وهذا الكلام ليس جديدا بل هو مسلك العلماء الأكابر الذين هم أغير على الإسلام منا و أشد حبًّا له و إنما الجديد هو سب العلماء و ثلبهم و التنقص منهم و اتهامهم بما لا يليق ، هذا فضلا عن التعالى على مخلوقات الله .

= واعتبار كل مخالف لنا دوننا . ونحن نسمع قول الله تعالى :
" فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى " (النجم : ٣٢) .

قلت : إن هذا الكلام ليس جديدا . بل هو مسلك كبار العلماء قديما وحديثا ، وهذه نماذج من أقوالهم في الباب تدل على ذلك . فهذا الإمام ابن تيمية - رحمه الله - على الرغم مما نعرفه عن حطته الشديدة على المتكلمين وتشنيعه عليهم نراه لا يغمض الجوانب المضيئة من أعمالهم وهي دفاعهم عن الإسلام وبلاؤهم في ذلك البلاء الحسن ، فيقول مثلا بعد ذكر دور ابي الوليد الباجي وابن العربي وغيرهما من المتكلمين في نشر المذهب الأشعري :

" ثم إنه ما من أحد من هؤلاء إلا وله في الإسلام مساع مشكورة وحسنات مبرورة وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة ، والله يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر : ١٠) .

انظر : درء التعارض : (١٠٢/٢ - ١٠٣) .

ويقول في موضع آخر (٢٧٥/٨) : " فإن الواحد من هؤلاء له مساع مشكورة في نصر ما نصره الإسلام والرد على طوائف من المخالفين لما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - فحمدهم والثناء عليهم مما لهم من السعي الداخل في طاعة الله ورسوله وإظهار العلم الصحيح الموافق لما جاء به الرسول - عليه الصلاة والسلام - والمظهر لباطل من خالف الرسول عليه الصلاة والسلام " .

وهذا الإمام الذهبي - أيضا - يجلي لنا هذه القاعدة فيقول في ترجمته لابن عبد البر من كتابه القيم : سير أعلام النبلاء (١٥٨/١٨) :
" وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن أخطأ إمام في اجتهاده لا ينبغي أن ننسى محاسنه ونغطي معارفه بل نستغفر له ونعتذر عنه " .

هذه نماذج من أقوالهم في هذا الباب أوردتها هنا للتنبيه فقط .

يقول المراكشي[1] في معجبه (٢) : " وفي أيامه (أي أيام يعقوب المنصور ثالث خلفاء الموحدين) انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر بإحراق كتب المذهب (أي المالكي) بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن . فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره . وكتاب التهذيب للبراذعي وواضحة ابن حبيب ، لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار ، وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة ، الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي ومسند البزار ومسند ابن ابي شيبة وسنن الدارقطني وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها ؟ وكان قصده محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة " . انتهى كلامه بتصرف قليل .

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) (ص ٢٧٨ - ٢٧٩) .

حادثة إحراق إحياء علوم الديـــن :-

لقد وقعت حادثة إحراق الإحياء للإمام أبى حامد الغزالى فى بداية سنـــة ٥٠٣ ، فى عهد علي بن يوسف بن تاشفين (١) ، وكان يوسف بن تاشفين (٢) والده على علاقة طيبة مع الإمام الغزالى يستفتيه فى القضايا العظيمة ، كما كان الغزالى من جانبه يقدر ليوسف نصرته للإسلام حتى قيل : إنه عزم على أن يسير إلى المغـــرب لرؤيته والاجتماع به ولكنه حينما وصل إلى الاسكندرية علم بوفاته سنة ... فعدل عن الرحلة (٣) .

ولكن الأمور تغيرت على عهد ولده على بن يوسف ، الذى كان -كما ذكـــرت غبريـــرة- يتسم بنوع من الزهد والورع ويميـــل إلى إيثار الفقهاء ومشاورتهم فاشتـــد نفوذهم حتى أصبح لا يقطع فى أمر من الأمور إلا برأيهم ، وكان على رأس الفقهاء قاضي قرطبة أبو عبد الله محمد بن حمدين . وكان الفقهاء يهتمون بعلم الفروع ويهملـــون علم الأصول -كما سبق الحديث- وكان لا يحظى لدى أمير المسلمين إلا من برع فـــى علم الفروع .

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) هو السلطان أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتونى البربري الملثم ، أمير المرابطين ، كان بطلا شجاعا شهما عادلا مهيبا . وهو الذى اختط مراكش سنه ٤٦٥ وجعلها دار ملكه ، وكثرت جيوشه وخافته الملوك ، ولما ثارت الافرنج بالأندلس عبـــر ابن تاشفين إليها ينجـــد الإسلام وكسر جيوش الافرنج فى وقعة الزلاقـــة تملك بضعا وثلاثين سنة وكانت وفاته سنة ...

مصادر ترجمتـــه : وفيات الأعيان (١١٢/٧ - ١٣٠) رقم : ٨٤٤ ، ســـير أعلام النبلاء (٢٥٢/١٩ - ٢٥٤) رقم : ١٥٦ ، الكامل فى التاريخ (١٠/ ٤١٧ - ٤١٨) ، شذرات الذهب (٤١٢/٣ - ٤١٣) ، نفح الطيب (٣٥٤/٤) .

(٣) ابن خلكـــان (٤٨٨/٢) .

فلما وصلت كتب الإمام الغزالى إلى المغرب والأندلس ، وفى مقدمتها كتاب (الإحياء) ، قرئت وذاع ما فيها سخط الفقهاء وأنكروا كثيرا من المسائل التى وردت فى كتاب الإحياء حتى بلغ ببعضهم أن يكفر من يقرأ كتاب (الإحياء) . ثم رفع الفقهاء الأمر إلى على بن يوسف بن تاشفين وطلبوا إليه حرق الكتاب ومطاردته أينما وجد ، فأذعن علي بن يوسف بن تاشفين لطلبهم وأخذ برأيهم وجمعت نسخ الكتاب واحتفل بإحراقها فى رحبة المسجد الجامع بقرطبة أمام الباب الغربى بعد أن أُشْبِعَتْ جلودها بالزيت ، وعُمِّمَ الأمر على سائر انحاء الاندلس والمغرب وانتزعت نسخه من أصحابها وتوالى الإحراق وشدد أمير المسلمين فى ذلك حتى أنه توعد بعقوبة الإعدام ومصادرة المال لكل من وجد عنده (١) .

واستمرت المطاردة لكتب الإمام الغزالى طوال أيام المرابطين ، وجدد المرسوم فى أواخر عهد تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٣٨ .
هذه هى قصة إحراق الإحياء باختصار ، وهى تدل على معاداة المرابطين ورفضهم لكل اتجاه فلسفى أو صوفى أو عقلانى .

ويذهب بعض المؤرخين المعاصرين إلى أن إحراق الإحياء من قبل المرابطين لا يرجع لاسباب تتعلق بالعقيدة أو لأنه يخالف الدين فى شيئ . وإنما يرجع إلى حملة صاحب الإحياء اللاذعة على علماء الفروع واتهامهم بالجهل وسخف مجادلاتهم السطحية وكونهم يجهلون علم أصول الدين الذى ينوه الإمام الغزالى بأهميته وعظيم قدره . وممن يذهب إلى هذا القول الدكتور محمد عبدالله عنان فى كتابه : (عصر المرابطين فى المغرب والأندلس) (٢) وكذا الدكتور يحي هويدى

---

(١) انظر : المعجب (٩٦) .

(٢) (ص ١٦٠ - ١٦٢) .

فى كتابه (فلسفة الإسلام فى القارة الإفريقية) (١) وقد سبقهما فى ذلك المستشرق اليهودى جولد سيهر فى كتابه عن ابن تومرت (٢) .

ولكن هذا الكلام يرده ما ذكرناه عن الاتجاه السنى العام للمغرب وأنهم لم يقاوموا كتاب الإحياء فحسب وإنما كل كتاب يُشْتَمُّ منه رائحة الانحراف عن المنهج السنى كانوا يقفون منه هذا الموقف المتشدد ، وقد ذكرت كمثال على ذلك إحراق القاضى بقى بن زرب لكتب ابن مسرة . (٣)

وهناك آراء غير هذا الرأى فى تحديد الأسباب التى حملت المرابطين على إحراق كتاب (الإحياء) نذكر منها أن المرابطين أنكروا على الإمام الغزالى ما شحن به كتابه المذكور من أحاديث موضوعة ، يقول صاحب (بيوتات فاس) :
" تكلم فيه فقهاء قرطبة لما فيه من الأحاديث الموضوعة التى لا أصل لها وقالوا : هذا الكتاب يغر المسلمين : الصواب إحراقه " (٤).

وهناك تفسير آخر ذكره بعضهم - وهو فى رأيى تفسير وجيه - وهو أن المرحلة التى كتب فيها الإمام الغزالى كتابه الإحياء الذى يحث فيه على العزلة كان المسلمون فى حاجة إلى من يحمسهم للجهاد ضد الصليبيين الذين كانوا يتربصون بالمسلمين فى الشرق والغرب فى حرب صليبية قذرة وشرسة. فترك مثل هذا الكتاب فى مثل هذه الظروف تثبيط للمسلمين عن أداء واجبهم تجاه دينهم ، فلذلك أمروا

---

(١) (١/٢٠٤) ومابعدها .

(٢) الكتاب مؤلف باللغة الفرنسية وعنوانه : محمد ابن تومرت والعقيدة الإسلامية فى المغرب فى القرن الحادى عشر الميلادى (ص ٣٥ - ٣٦) .

(٣) راجع (ص) .

(٤) انظر مقال محمد اليعقوبى البدراوى : إحراق كتاب الاحياء فى المغرب الإسلامى مجلة المنهل المغربية (عدد ٦ / سنة ٤٠ / رجب ١٣٩٧ / يوليو ١٩٧٧ / ص ٣٢٠) .

بإحراقه تفاديا لآثاره السلبية (١) .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه الحادثة كانت بداية النهاية لعهد المرابطين اعتمادا على حادثة تاريخية غير ثابتة ، وهى أن الإمام الغزالى لما سمع بإحراق كتابه الإحياء دعا الله أن يمزق ملك المرابطين كما حرقوا كتابه ، فاستجاب الله لدعوته .

وكان ابن تومرت جالسا فى مجلسه فقال للإمام الغزالى : " ادع الله أن يجعل ذلك على يدى " . فكان ذلك ، إلا أن هذه الحادثة لم تثبت من الناحية التاريخية (٢) . حيث يقول ابن الاثير : " والصحيح أنه لم يجتمع به " . (٣)

هذا موقف دولة المرابطين مع كتب الغزالى عموما وكتاب الإحياء على الخصوص. ولننظر الآن إلى موقف العلماء من الغزالى ، وهو موقف لا يختلف فى عمومه عن موقف الدولة ، على الرغم من تقديرهم الكبير لشخصه والاعتراف له بالعلم والفهم ، كل هذا لم يمنعهم من أن يقيموه التقييم الصحيح ويقولوا فيه كلمة الحق ، كما فعل الامام الطرطوشى الذى قال فيه : " رأيت الرجل وكلمته فوجدته رجلا جليلا من أهل العلم نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره . وكان على ذلك معظم عمره " . هذه كانت نظرته لشخص الإمام وتقييمه له ، ولكن مع ذلك كان يرى أن دخوله فى التصوف أفسد عليه كل شيئ حيث " هجر العلوم وأهلها ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ولقد كاد أن ينسلخ من الدين " .

---

(١) نفس المقال (ص ٣١٤) .

(٢) انظر : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس) لعبد الله عنان (ص ١٦٠ - ١٦٢) .

(٣) الكامل فى التاريخ (١٠/٥٦٩) .

هذا عن تقييمه للرجل فى مرحلتين : مرحلة ما قبل دخوله فى التصوف .
وهى المرحلة التى بلغ فيها الغاية من العلوم . ومرحلة ما بعد دخوله فى التصوف
وهى المرحلة التى سقط فيها من القمة إلى الحضيض .

بعد ذلك ينتقل الرجل إلى تقييم كتاب الإحياء الذى كثر الحديث عنه فى ذلك
العهد فيقول : " فلما عمل كتابه الذى سماه (إحياء علوم الدين) عمد يتكلم فى
علوم الأحوال ومرامز الصوفية " إلا أنه لم يوفق فى ذلك لأنه " كان غير آنس بها ولا
خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه . فلا فى علماء المسلمين قر ولا فى أحوال الزاهدين
استقر " . ثم يأتى إلى خصائص الكتاب فيبين أن صاحبه " شحنه بالكذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم " وهو يقصد بالكذب الأحاديث الموضوعة التى ملأ بها
الغزالى كتابه . والسبب فى ذلك أن بضاعته فى الحديث كانت مزجاة ، وقد حاول
تدارك ذلك النقص فى آخر حياته فأقبل على مطالعة صحيح البخارى وصحيح مسلم
وغيرهما من كتب السنة . ثم يؤكد الإمام الطرطوشي دعوى الكذب هذه بقوله :
" فلا أعلم كتابا على وجه بسيط الأرض أكثر كذبا على الرسول صلى الله عليه وسلم منه ".
هذا بالإضافة الى ما ورد فى الكتاب من " مذاهب الفلاسفة ورموز الحلاج ومعانى
إخوان الصفا . (١) وهم قوم يرون النبوه اكتسابا . . . .

وما مثل من ينصر دين الإسلام بمذاهب الفلاسفة والآراء المنطقية إلا كمن
يغسل الثوب بالبول " . كما أن النزعة الباطنية جلية فيه لأن الإمام الغزالى " يسوق
الكلام سوقا يرعد فيه ويبرق ويمنى ويشوق حتى إذا تشوقت له النفوس قال : هذا
من سر الصدر الذى نهينا عن إفشائه . وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل والدجل
فى الدين يستقل الموجود ويعلق النفوس بالمفقود . وهو تشويش لعقائد القلوب
وتوهين لما عليه كلمة الجماعة فإن كان الرجل يعتقد ما سطره لم يبعد تكفيره وإن كان

---

(١) سبق الحديث عنهم .

لا يعتقد فما أقرب تضليلـــه " .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن حادثة إحراق كتاب الإحياء ، فيـــؤيد هذا العمل بحجة أنه " إن ترك (أى الإحيـــاء) انتشر بين ظهور الخلق ومـــن لا معرفة له بسمومه القاتلة وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال . فيحرق قياسا على ما أحرقته الصحابة - رضى الله عنهم - من صحائف المصحف الـــتى تخالف المصحف العثمانى . ألا ترى أنهم لو لم يحرقوا تلك الصحائف وانتشرت فـــى الخلق لحفظ كل إنسان ما وقع منها إليـــه وأوشك أن يختلفوا فيتقاتلوا " . ثم ينهى كلامه بالتنبيـــه على أنه عازم على أن يتفرغ لهذا الكتاب فيستخرج جميـــع هفواتـــه ويوضح سقطاته ويبينها حرفا حرفا ثم ينصـــح المسلمين بأن " فى دونه من الكتـــب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين وطبقات الصالحين . ومعظم من وقع فى حب هـــذا الكتاب رجال صالحون لا معرفة لهم بما يلزم العقل وأصول الديانات ولا يفهمـــون الإلاهيـــات (١) " .

ومن سلك هذا المسلك ووقف هذا الموقف مع الإمام الغزالى وكتابه (الإحيـــاء) الإمام الطرزى (٢) حيث ألف كتابا فى الرد عليه أسماه (الكشف والانباء عن كتاب الاحياء) بين ما فيه من انحراف وتلفيق فقال : " وفيه (أى الإحياء) كثير من الآثار عن النـــبى صلى الله عليه وسلم لفق فيه الثابت بغير الثابت ، وكذا ما أورده عن السلف لا يمكـــن ثبوته كله ، وأورد من نزعات الأولياء ونفثات الأصفياء ما يجل موقعه ، لكن مزج النافـــع بالضار كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها " .

ورأيه هذا ليس قاصرا على كتاب الإحياء بل هو عام فى كل مذاهب المتصوفـــة

---

(١) انظر هذه الرسالة فى سير أعلام النبلاء (١٩/٣٣٩ - ٣٤٣) وفى المعيـــار المعرب (١٢/١٨٦) .

(٢) مرت ترجمتـــه .

وأصحاب الإشارات و الفلاسفة لأن كتاب الإحياء " متردد بين هذه الطرائق لا يعدوها" وهو بذلك يكشف عما دخن من جبال الغرور ليحذر من الوقوع فى حبالة صائده " (١)

ومن انتقد الإمام الغزالى وكتابه الإحياء ، الإمام أبو بكر بن العربى (٢) الذى كان على صلة قوية مع الإمام الغزالى بحكم تلمذته عليه . هذا الإمام رأيه فى الغزالى يشبه رأى الإمام الطرطوشى . فقد كان يرى أن الإمام الغزالى - قبل دخوله فى التصوف - كان نجما ساطعا يرده على الفلاسفة الذين كانوا يهزؤون من أهل السنة لأنهم كانوا يردون عليهم بما ذكر الله فى كتابه وعلمه لنا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، كانوا "يهزؤون بتلك الردود ويضحكون منها . فانتدب أبو حامد للرد عليهم بلغتهم ومكافحتهم بلسانهم والنقض بأدلتهم فأفاد وأبدع فى ذلك كما أراد الله" (٣)

هذه كانت نظره ابن العربى للغزالى قبل أن يدخل فى متاهات التصوف . ولكنه بعد دخوله فى التصوف تغير رأيه فيه . فوجه له النقد اللاذع وأبدى الأسف الشديد على أفول نجمه . وفى ذلك يقول : " كان أبو حامد تاجا فى هامة الليالى وعقدا فى لبة المعالى . حتى أوغل فى التصوف وأكثر معهم التصرف فخرج على الحقيقة وحاد فى أكثر أحواله عن الطريقة . وجاء بألفاظ لا تطاق ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق . فوا حسرتى عليه أى شخص أفسد من ذاته وأى علم خلط منه

---

(١) انظر رده هذا فى سير أعلام النبلاء (١٩/٣٣٠) . وطبقات الشافعية (٦/٢٤٠) .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) العواصم من القواصم (٢/١٠١) واستحسان ابن العربى لطريقة الغزالى هذه ليس معناه أنها الطريقة المثلى ، فالطريقة المثلى عند ابن العربى فى الرد على المخالفين هى الطريقة التى سلكها القرآن حيث يقول : " خذوا منى نصيحة مشحونة بنكت الأدلة وهى أن الله سبحانه وتعالى رد على الكفار على اختلاف أصنافهم من ملحدة وعبدة أوثان وأهل كتب وصابئة وشركة ويهودية بكلامه وساق أدلته وجاء بها فى أحكم نظام وأبدع ترتيب فعلى ذلك فعول . لكن طريقه الغزالى يلجأ إليها فى الحالات التى يأبى فيها المخالف أدلة القرآن عند ذلك يرد عليه بلغته "

مفرداتـــه (١) " .

وممن ألف فى الرد عليه - أيضا - ابن حمدين ، الذى كان حامل لواء الحملة على كتب الإمام الغزالى . يقول الإمام الذهبى " وكان يحط على الإمام أبى حامد الغزالى فى طريقة التصوف وألف فى الرد عليه " . (٢)

ومنهم القاضى عياض (٣) الذى رد عليه هو أيضا ، كما جاء فى كتاب (معجم أصحاب أبى على الصفدي) (٤) إذ يقول : " والشيخ أبو حامد ذو الأنبـــــاء الشنيعة والتصانيف العظيمـة غلا فى طريقة التصوف وتجرد لنصرة مذهبهم . وصار داعية فى ذلك وألف فيه تواليفه المشهورة. أُخِذَ عليه فيها مواضع وساءت به ظنـــون الأمة ، والله أعلم بسره ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامْتُثِل لذلك " .

هذه هى آراء علماء المغرب فى الإمام الغزالى وكتابه (الإحياء) وهـــى آراء تتفق جميعها فى أن دخول الإمام الغزالى ميدان التصوف كان قاضيا عليه ، ووضعه فى موضع حرج ، وتتفق أيضا على أنه كان - قبل ذلك فى القمة .

بعد هذا وتتمة لهذا المبحث ، أنتقل إلى نوع آخر من المقاومة ، وهى مقاومة التصوف من خلال تفسير القرآن الكريم ، حيث يعمد المفسر إلى مناقشة آراء الصوفية وتحريفهـــم لأدلة الكتـــاب وإبطالهـــا بصريح الكتاب والسنة .

---

(١) العواصم من القواصم (٢/١٠١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/٤٢٢) .

(٣) مرت ترجمتـــه .

(٤) انظـــر: بسير أعلام النبلاء (١٩/٣٢٧) .

وأذكر هنا نماذج من هذه التفاسير ، لأستدل بها على ما أذهب إليه ويبرز معنا تفسيران لعلمين من أعلام المغرب هما : ابن العربى وابن عطية (١).

لقد قاوم ابن عطية التفسير الصوفى الباطنى لآيات القرآن الذى يمسخها مسخا ، وعده إلحادا فى آيات الله حيث يقول فى مقدمة تفسيره : " وأثبت أقوال العلماء فى المعانى منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - كتاب الله تعالى من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز واللغز وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم " (٢).

ومقاومته هنا جاءت نتيجة قناعة عنده بأنه لا وجه لإخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر لغير علة تدعو إليه ، كما كان يرى أن طريق الرموز والألغاز قد تنزه عنها القرآن وبرئ منها ، لأن القرآن يتميز بالوضوح والبيان ، والرموز والألغاز فيها لبس وإيهام. فكيف تلصق القرآن الكريم الذى أنزله الله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

ففى تفسيره لقوله تعالى فى سورة الأنعام : " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ " (الانعام : ١) . يقول : " وقالت فرقة : الظلمات : الكفر ، والنور : الإيمان . قال : وهذا غير جيد لأنه إخراج لفظ بين فى اللغة عن ظاهره الحقيقى إلى باطن لغير ضرورة . وهذا هو طريق اللغز الذى برئ القرآن منه " (٣)

وفى تفسيره لقوله تعالى فى سورة الرعد : (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ....) (الرعد : ١٧) ينعى على الغزالى

---

(١) كلاهما سبقت ترجمتهما .

(٢) انظر : منهج ابن عطية فى تفسير القرآن للدكتور عبد الوهاب فايد (ص ١٩٠) .

(٣) نفس المصدر .

وأمثاله من أصحاب الرموز تمسكهم فى تفسير القرآن بأقوال لا وجه لها فى العربية فيقول : " وروى عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنه قال : قوله تعالى (أُنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يريد به الشرع والدين . وقوله (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ) يريد به القلوب : أى أخذ النبيه بحظه والبليد بحظه " .

قال ابن عطية : " وهذا قول لا يصح - والله أعلم - عن ابن عباس لأنه ينحو إلى أقوال أصحاب الرموز ، وقد تمسك به الغزالى وأهل ذلك الطريق ، ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم كلام العرب لغير علة تدعو إلى ذلك . والله الموفق للصواب برحمته " . (١)

وهكذا شأن ابن عطية فى تفسيره ،كلما سنحت له الفرصة للتشهير بالصوفية وانتقادهم فعل . وإن كنت - أنا - أخالفه فى هذه الآية بالذات ، والذى أداه إلى الخطأ فيها هو شدة مخالفته لكل ما يصدر عن الصوفية وإن كان صحيحا فى ذاته ، وتفسير الماء بالهدى تفسير صحيح ذهب إليه كثير من أهل العلم أمثال ابن تيمية الذى يقول فى درء تعارض العقل والنقل (٢) " فإن هذا مثل ضربه الله فشبه فيه ما ينزله من السماء من العلم والإيمان بالمطر وشبه القلوب بالأودية والأودية منها صغار وكبار فكل يسيل بقدره " .

وهو قول ابن كثير أيضا حيث يقول : " وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها فمنها ما يسع علما كثيرا ومنها ما لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها" (٣)

ويؤيد هذا التفسير ما ورد فى السنة من قوله عليه الصلاة والسلام فى

---

(١) انظر : منهج ابن عطية فى تفسير القرآن للدكتور عبد الوهاب فايد (ص١٩٠) .
(٢) (٥/٧٦) .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٣٦٩) طبعة دار الشعب .

تصنيفه للناس إزاء ما جاء به من العلم والهدى فيقول : " مثل ما بعثني به الله من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكان منها بقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " (١)

---

(١) أخرجه البخاري في العلم (باب فضل من علم وعلم) رقم الحديث : ٧٩ الفتح (١/ ١٧٥) .

ومسلم في الفضائل باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم به من الهدى والعلم) رقم : ٢٢٨٢ ، صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٧ - ١٧٨٨) .

والإمام احمد في المسند (٤/ ٣٩٩) .

الرجل الثانى هو الإمام ابن العربى ، الذى مافتئ - هو الآخر - يشنع على الصوفية و يفند آراءهم . وبخاصة تلك التى تتعلق بتفسير القرآن حيث عمدوا إلى تحريف آيات الكتاب تحريفا يخل بالمعنى الحقيقى لها . وقد تناول آراءهم هذه بالرد فى مواضع مختلفة من كتبه ، وسأكتفى - هنا - بإيراد نماذج منها تحقق الغرض - بإذن الله .

ففى تفسيره لقوله تعالى فى سورة البقرة (فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ) (البقرة : ٢٧٩) ، يقول : " ذهب بعض الغلاة من أرباب الورع إلى أن المال إذا خالطه حرام حتى لم يتميز ثم أخرج منه مقدار الحرام المختلط به لم يحل ولم يطب لأنه لا يمكن أن يكون الذى أخرجه هو الحلال ، والذى بقى هو الحرام . وهذا غلو فى الدين فإن كل ما لم يتميز فالمقصود منه ماليته لا عينه ولو تلف لقام المثل مقامه والاختلاط إتلاف لتميزه كما أن الإهلاك إتلاف لعينه والمثل قائم مقام الذاهب وهذا بين حسا ومعنى والله أعلم " (١) .

وفى تفسيره لقوله تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) (هود : ١١٤) يقول : المسألة الخامسة : قال شيوخ الصوفية : إن المراد بهذه الآية استغراق الأوقات بالعبادات نفلا وفرضا . وهذا ضعيف فإن الأمر لم يتناول ذلك لا فرضا ولا نفلا فإن الأوراد معلومة وأوقات النوافل المرغب فيها محصورة وما سواها من الأوقات يسترسل عليه الندب على البدل لا على العموم فليس ذلك فى قوة البشر " . (٢)

وفى تفسيره لقوله تعالى : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا

---

(١) أحكام القرآن لابن العربى (١/
(٢) أحكام القرآن (١٠٥٧/٣) .

وكرها) (الرعد : ١٥) .

يقول : " المسألة الثانية : اختلف الناس فى تفسيرها على أقوال أربعة : منها : القول الثالث : قالت علماء الصوفية : المخلص يسجد لله محبة وغيره يسجد لا بتغاء غرض أو لكشف محنة فهذا الذى يسجد كرها " .

فيقول ابن العربى فى تفنيد هذا التفسير : " أما من سجد لدفع الشر فذلك بأمر الله هو الذى أمرنا بالطاعة ووعدنا بالثواب عليها ونهانا عن المعصية وأوعدنا بالعذاب عليها . وهذه حال التكليف فلا يتكلف فيها تعليلا إلا ناقص الفطرة قاصر العلم ، وغرض الصوفية ساقط فما عبد الله نبى مرسل ولا ولى مكلى إلا طلب النجاة (١) " .

ومن الأمثلة على ذلك أيضا قوله تعالى : (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) (طه : ١٢) .
تقول الصوفية : إن الإشارة فيه إلى خلع الدنيا والآخرة من قلبه .
وقالوا فى قوله تعالى : (وَأَلْقِ عَصَاكَ) (النمل : ١٠) أى لا يكون لك معتمد ومستند غيرى " .

فيقول ابن العربى فى رد هذه الأقوال وبيان فسادها : " هذه إشارة بعيدة أو قل معدومة ، وما أمر بطرح النعل إلا لأحد وجهين : إما لأنهما كانا من جلد غير مذكى ، كما روى عن ابن مسعود ، أو لئلا يطأ الأرض المقدسة بنعل تكرمة لها . فأما تفريغ قلبه فعند سماع كلام الله يفرغ ضرورة . وأما إلقاء العصا فقد بين الله تعالى الفائدة فيه . وهل من يعتمد على عصا من طول قيام يقال : إنه على غير الله يعتمد ؟ هذه خرافة . فدع عنك هذا وعوّل على كتاب الله ومعلوماته " (١)

---

(١) أحكام القرآن (١/١٩٨-١٩٩) .

(٢) العواصم من القواصم (٢/٢٦٨ - ٢٨٩) .

وهذا مثال آخر عن تحريف المتصوفة للكلم عن مواضعه ، ولكن هذه المرة من السنة فينقل ابن العربى عن المتصوفة قولهم فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة " (١) قالوا : " هو تنبيه على تطهير القلوب عن الحسد والحقد والغضب والبخل والخديعة والمكر وسائر الصفات الذميمة فإنها تمنع من الأعمال الصالحة بالتنفير والاقصاد لأسبابها ما تفعله الكلاب فى منازلها . وإذا طهرت المنازل الحسية عن أجسام الكلاب الحسية ، فتنزيه القلوب عن صفات المكروه أولى .

ويرد ابن العربى هذا التفسير لأنه خروج عن ظاهر النص وهو مذهب من يسعى إلى " تعطيل الشرائع وأن كل ما جاء منها وجرى فى ألفاظها ليس على ظاهره وإنما هو كله مبنى على التعبير عن باطن سواه وغرض آخر غيره " . وهذا فاسد وليس هو مراد النبى صلى الله عليه وسلم لأن " تطهير القلوب عن هذه الصفات الذميمة كلها جاء منصوصا عليه فما الذى يحوجنا إلى أن نأخذه على بعد من لفظ آخر يبعد أو يقرب " . وهذا كله ناتج عن " الاحتكاك بتلك الأغراض الفلسفية ، وهى عن منهج الشريعة قصية كادت بها الدين طائفة خبيثة (٢) " .

هذه نماذج اخترتها من تفسير ابن عطية ومن مواضع مختلفة من كتب ابن العربى واكتفائى بهذين الرجلين ليس معناه أن غيرهما من المفسرين لم يعرض للتفسير الصوفى للقرآن بالنقد وإنما لأن غيرهما متأخر فى الزمن عن العهد الذى أنا بصدد دراسته ، وإلا فتفسير القرطبى وابن حيان مشحونان بالرد على هؤلاء القوم . كما أنّ اقتصارى على ذكر من ذكرت من العلماء الذين انتقدوا الغزالى وكتابَهُ (الإحياء) ليس معناه أنه لم يوجد غيرهم وإنما لان غيرهم متأخر عنهم . والا فقد الف فى الرد عليه كثير غير هؤلاء .

---

(١) اخرجه مسلم فى اللباس والزينه (باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنه ونحوه وان الملائكه عليهم السلام لا يدخلون بيتا فيه صورة ولا كلب رقم الحديث ٢١٠٦ ، صحيح مسلم (٣/١٦٦٥) .

(٢) العواصم من القواصم (٢/٢٧١-٢٧٢)

الفصل الخامس

مقاومة أهل السنة المغاربة للفلسفة

المبحث الاول : دخول الفلسفة الى المغرب

المبحث الثاني : جهود العلماء في مقاومة الفلسفة

المبحث الاول :

دخول الفلسفة (١) الى المغرب :-

لقد أشرت أثناء حديثى عن التصوف إلى الانحراف الشديد الذى حدث فى هذا الاتجاه بسبب اختلاطه بالفلسفة (راجع ص ٥٦٨-٥٦٩)، ولذلك أحب هنا أن أتحدث عن دخول هذا النوع من العلوم إلى المغرب ومقاومة علماء السنة له ولكن قبل الشروع فى ذكر ذلك يجدر بى أن أشير إلى أن هذا النوع من العلوم لم تكن له سوق رائجة فى المغرب لمعارضة أهل المغرب له، ولكل محاولة عقلية فى مسائل الدين، حيث نظروا إلى من يشتغل بالفلسفة على أنه زنديق.

ولم يبرز فى هذا العلم سوى عدد قليل لا يكاد يذكر. وحتى هؤلاء الذين برزوا لم يكن لهم تأثير ظاهر لأن صوتهم كان خافتا بحكم اشتغالهم فى الخفاء خوفا من بطش الفقهاء. ولم يكن هذا الظهور إلا خلال القرن الثالث الهجرى وما بعده أما قبل ذلك فلم يظهر بين مسلمى المغرب فيلسوف واحد. إنما كان همهم إلى ذلك الحين الدراسات الفقهية واللغوية (٢).

وأصبح هذا النوع من العلوم - كما يقول المقرى - ممقوتا بالأندلس لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه (٣). ويقول فى موضع آخر عن أهل الأندلس: " وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم. فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه فإن زل فى شبهة رجموه بالحجارة

---

(١) الفلسفة: مشتقة من كلمة (فيلاسوفيا) اليونانية أى محبة الحكمة. فالفيلسوف هو محب الحكمة.

الخوارزمى: مفاتيح العلوم (ص ٧٩).

(٢) انظر تاريخ الفكر الاندلسى للمستشرق آنخل جنثالث بالنثيا ترجمة الدكتور: حسين مؤنس نشر: دار النهضة المصرية الطبعة سنة ١٩٥٥. (ص ٣٢٤).

(٣) نفح الطيب (١٨٦/٣).

أو حرقوه قبل أن يصل أمره إلى السلطان أو يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة (١) .
و يقول ابن سعيد (٢) عن هذا العلم : " و هو علم ممقوت بالأندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره فلذلك تخفى تصانيفه " (٣) .

و يقول أحد فلاسفة الأندلس و هو ابن الطفيل (ت ٥٨١) (٤) ، فى وصف حال الفلسفة بالأندلس بشيئ من المرارة : " إن هذا الأمر (يعنى الفلسفة) أعدم من الكبريت الأحمر و لا سيما فى هذا الصقع (يعنى الأندلس) الذى نحن فيه لأنه من الغرابة إلى حد لا يظفر باليسير منه " (٥)

و يقول المستشرق رينان فى كتابه عن ابن رشد و الرشدية : " ما كادت الفلسفة العربية

---

(١) نفح الطيب (١/٢٠٥ ، ٢٢٠) .

(٢) هو أبو الحسن على بن موسى بن عبد الملك بن سعيد العنسى الأندلسى الغرناطى أديب شاعر لغوى رحالة مؤرخ ، ولد بغرناطة سنة ٦١٠ و رحل إلى المشرق فدخل دمشق و الموصل و بغداد و مصر و سكن تونس . من تصانيفه : ريحانة الأدب ، لذة الأحكام فى تاريخ الامم الأعجام . توفى سنة : ٦٧٣ و قيل : ٦٨٥ .
مصادر ترجمته : فوات الوفيات (١/١٠٣-١٠٦) رقم : ٣٦٣ ، نفح الطيب : (٢/٢٦٢) ، معجم المؤلفين (٧/٢٤٩) .

(٣) رسالة ابن سعيد فى التذييل على رسالة ابن حزم فى أفضل الأندلس (ص٢٧) نشرها : صلاح الدين المنجد ـ ط : دار الكتاب الجديد (١٣٨٧ / ١٩٦٨)

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل العيسى من " وادى آش " الفيلسوف درس عن جماعة من المحققين فى علم الفلسفة . منهم ابن باجة . و إلى جانب دراساته الفلسفية درس الفقه و العلوم الإسلامية الأخرى و برع فيها . كما برع فى الطب و تولى القضاء ، ثم دخل فى خدمة السلطان الموحدى أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . و استمر فى خدمته إلى أن توفى ابو يعقوب سنة ٥٨٠ . و بقى فى خدمة ابنه من بعده ابى يوسف يعقوب الى أن توفاه الله سنة ٥٨١ . من تصانيفه المشهورة و الباقية " حى بن يقظان " .
مصادر ترجمته : المعجب لعبد الواحد المراكشى (ص ٢٤٠) وفيات الأعيان (٦/١٣٤) .

(٥) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبى . و يعرف بابن رشد =

فى الأندلس تبلغ قرنين من الزمان حتى توقفت فجاءة بسبب التعصب الدينى (١) " .

ولم تكن الفلسفة فى القيروان وما ورآءها من بلاد المغرب بأحسن حالا من الأندلس بل كان حالها لا يختلف هنا عن حالها هنـــاك .

وفى ذلك يقول الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب (٢) عن حال الفلسفة فى هذا الصقع من بلاد المغرب ، ومقاومة علماء القيروان لها ما نصه : " وكانت علوم الفلسفة غـــير مرموقة بعين الرضا من الفقهاء والمحدثين ، فكان علماء السنة أصحاب المدرســـة القيروانية ينظرون إليها بتأفف وشيء من الاشمئزاز . ولذا لم نرها تدرس فى مساجد القيروان وإنما أستأثر بيت الحكمة (٣) بالعناية بها وبدراستها ونشرها بين الراغبين فيها ، ومن هنا نشأ شيء من التنافر والتباعد بين مدينتى القيروان ورقادة " (٤) .

هكذا كان حال الفلسفة فى المغرب ، مثلها فى ذلك كل جميع العلوم العقلية الـــتى تخالف علوم الشريعة .

— الحفيد ، عالم ، حكيم مشارك فى الفقه والطب والمنطق والعلوم الرياضيـــة والالهية . ولد بقرطبة سنة ٥٢٠ ونشأ بها ودرس الفقه والأصول وعلم الكلام. ثم أقبل على علوم الأوائل ومال إلى علوم الحكماء . ولى قضاء قرطبة وتوفـــى بمراكش سنة ٥٩٥ . من تصانيفه : الكليات فى الطب ، كتاب فى المنطق ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد فى الفقه .
مصادر ترجمته : عيون الأنباء (ص ٥٣٠ - ٥٣٣) ، بغية الملتمس (ص ٤٤) رقم : ٣٩ ، شذرات الذهب (٣٢٠/٤) معجم المؤلفين (٣١٣/٨ - ٣١٤) .

(١)

(٢) العالم التونسى المعروف ولد سنة (١٣٠١هـ/١٨٨٤م) وتوفى سنة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) . انظر عنه : تراجم المؤلفين التونسيين (٣٣٧/٣ - ٣٤٤) .

(٣) هو بيت أنشئ بغرض تدريس الفلسفة والعلوم العقلية الأخرى أنشأه الأمـــير إبراهيم بن الأغلب فى مدينة رقادة . انظر عنه ورقات عن الحضارة العربيـــة بإفريقية التونسية (١٩٢/١ - ٢١٧) .

(٤) انظر ورقات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية فى تونس (١٩٥/١ - ١٩٦) .

هذا وقد نظر علماء المغرب إلى من عساه أن يشتغل بالفلسفة على أنه زنديق يجب محاربته بكل الوسائل المتاحة حتى يرتدع و يعود عن غيه . يقول أحمد أمين (١):

" لم يسلم فيلسوف من رمي له بالزندقة و الكفر والإلحاد ، و يكاد تاريخ الأندلس يكون سلسلة اتهامات من هذا القبيل كالذى حدث لابن باجة " . (٢)

و أصبح أى شخص يقرأ الفلسفة أو يتناول منها شيئا ولو يسيرا تطلق عليه العامة لقب " زنديق " و يسلك بنفسه طريقا إلى الهلاك و ينتهى به إلى مالا يحمد عقباه (٣) كما أنهم حرضوا عليه العامة .

و تجدر الإشارة الى أن المالكية هم الذين كانوا يقودون الحملة ضد الفلسفة و ضد كل حركة ترمى إلى التجديد و مخالفة ماكانوا سائرين عليه ، وقد شدت الدولة فى ذلك أزرهم .

ولا عجب ولا غروفي أن تنال الفلسفة هذا القسط من المقاومة و الكراهية من قبل علماء الأمة الذين سلكوا منهج السلف - رضى الله عنهم - و التزموا بالكتاب و السنة و كل من سلك هذا السبيل يدرك مدى انحراف الفلسفة عن هذا المنهج بما تشتمل عليه من كفر صريح . كقولهم بأن الله لا يعلم الجزئيات و قولهم بقدم العالم ، و القول بإنكار البعث الجسدى ، و إنكار العذاب و النعيم الماديين يوم القيامة . فكل واحدة من هذه الأقوال تستحق بذل أقصى الجهد للقضاء عليها وعلى من يقول بها بله جميعها .

ولم يكن علماء المغرب هم وحدهم الذين قاموا على الفلسفة ، و قاوموها بكل الوسائل المتاحة لهم . بل سبقهم فى ذلك إخوانهم بالمشرق حيث نشأت الفلسفة

---

(١) الكاتب المعاصر المعروف .

(٢) ظهر الإسلام (٣/٢٣٤) و يأتى الحديث عن ابن باجة .

(٣) النفح (١/٢٢١) ظهر الإسلام (٣/٢٣٤) .

(٤) تاريخ الأدب الاندلسى : عصر سيادة قرطبة : احسان عباس (ص ٣٠) .

الإسلامية متأثرة بالفلسفة اليونانية (١). حين اقدموا على التنديد بكل من يشتغل بهذا اللون من العلوم و تكفيرهم وإغراء الخاصة و العامة عليهم و إحاطتهم بمختلف الشبهات (٢).

وكانت بداية دخول الفلسفة إلى المغرب الاسلامى تحت أقنعة مختلفة ولم تدخل سافرة ، دخلت تحت أقنعة العلوم التطبيقية كالطب و الفلك و الرياضيات لِعِلْمِ أصحابها بمعاداة أهل المغرب لها . يقول المستشرق آسين بلاثيوس : "إن الفلسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مسفر و إنما وفدت عليه فى صحبة العلوم التطبيقية - الفلك و الرياضة و الطب - أو تسربت إليه منتشرة فى ثنايا بدع الاعتزال وبعض المذاهب الباطنية ، كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب التى كان الناس يتحاشونها - فى النجاة بأنفسهم من تعقب الفقهاء و أهل الدولة ، بالظهور فى مظهر التدين و النسك". (٣)

و يقول صاعد الطليطلى عن إخفاء فلاسفة الأندلس لهذا النوع من العلوم و ابداء غيره للسبب ذاته ما نصه : " لم يزل أولوا النباهة من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونه

---

(١) لقد انتقلت الفلسفة اليونانية إلى العلوم الإسلامية عبر الترجمة فى خلافة الرشيد على يد خالد بن يحي البرمكى (ت ١٩٠) وكان زنديقا كما تشير المصادر - و هناك رواية أخرى تعزو انتقالها الى المأمون . الذى كان السبب فى ذلك.ولذلك يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - " ماأظن أن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخاله هذه العلوم الفلسفية بين أهلها " انظر حول هذا الموضوع : صون المنطق (ص ٧ ومابعدها) ، الإسلام و المذاهب الفلسفية للدكتور مصطفى حلمي (ص ٩٧ - ٩٩) .

(٢) عن مقاومة علماء المشرق للفلسفة ينظر : قصة الصراع بين الدين و الفلسفة لتوفيق الطويل (ص ١١٧) .

(٣) تاريخ الفكر الإندلسى (ص ٣٢٥ - ٣٢٦) .

منها (يعنى الفلسفة) و يظهرون ما تُجوِّز لَهم فيه من الحساب و الفرائض و الطب و ما أشبه ذلك . إلى أن انقرضت دولة بنى أمية من الأندلس (١) " .

هذه كانت حالة الفلسفة فى أول الأمر ، ولكن بعد ذلك ظهر من الأمراء من دعم هذا الاتجاه و ساعد على نشر هذا النوع من العلوم .

حيث كان للأمراء الأغالبة بتونس ولا سيما الأمير إبراهيم الثانى (ت ٢٦٤) (٢) أكبر الأثر فى نشر الفلسفة بها حيث أنشؤا لهذا الغرض بيت الحكمة (٣) و جلبوا إليه نفائس الكتب من أطراف العالم العربى حيث كانت تنتشر الفلسفة و نقصد بذلك العراق و الشام و مصر ، فكان إبراهيم بن الأغلب يرسل فى كل عام سفارة إلى بغداد لتجديد ولائه للخلافة العباسية ، وإلى جانب هذه المهمة كان يكلف هذه السفارة بمهمة أخرى هى اقتناء نفائس ما يوجد فى بغداد و دمشق و مصر مما لا يوجد له نظير فى أنحاء المغرب من كتب الحكمة و العلوم القديمة ، وكذلك جلب العلماء المبرزين فى هذه العلوم ليقوموا بمهمة نشرها فى الناس و تعليمهم إياها . (٤)

و تذكر المصادر بعض الأسماء اللامعة فى هذا المجال ممن كان لهم نصيب وافر فى نشر هذه العلوم فى المغرب ممن جلبهم إبراهيم الثانى أمثال : اسحاق بن

---

(١) انظر طبقات الأمم لصاعد الطليطلى (ل : ٣٨ ب) .

(٢) هو الأمير إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلبى الذى بنى مدينة رقادة و انتقل إليها لسكناها وكان بدء بنائها سنة ٢٦٣ ، وكملت سنة ٢٦٤ . حيث سكنها و اتخذها داراً لملكه . وكان ذا فطنة و صاحب معروف و طالت مدته حيث كانت ولايته ٢٨ سنة امتدت من سنة ٢٦١ إلى حين وفاته سنة ٢٨٩ .
مصادر ترجمته : المؤنس فى تاريخ إفريقية و تونس (ص٥٢) و انظر ايضا : ورقات من تاريخ الحضارة العربية فى تونس لحسن حسنى عبد الوهاب (ص٢٢٢- ٢٢٦)

(٣) سبق التعريف به .

(٤) انظر : ورقات من تاريخ الحضارة العربية بتونس (٢٢٤) .

عمران البغدادى الملقب بساعة (ت ٢٩٤) (١) . بغدادى المولد و النشأة ، قدم إلى إفريقية سنة ٢٦٤ ، كان عالما بالطب إلى جانب اتقانه لعلوم الفلسفة و إليه يرجع الفضل فى ظهور الفلسفة وعلوم الطب بالمغرب ، فهو الذى أشاعها و فسر غامضها يقول ابن جلجل (٢) : " به ظهر الطب فى المغرب وعرفت الفلسفة " (٣) .

و يقول صاعد الأندلسى (٤) : " و هو الذى ألف بين الطب و الفلسفة بديار المغرب " (٥)

---

(١) هو إسحاق بن عمران : أصله من بغداد ، كان طبيبا حاذقا مميزا بتأليف الأدوية المركبة و ألف فى ذلك عدة كتب . ودارت له مع ابن الاغلب محنة اوجبت الوحشة بينهما حتى صلبه ابن الأغلب سنة ٢٩٤ . مصادر ترجمته : طبقات الأطباء و الحكماء لابى داود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بجلجل تحقيق سيد فؤاد طبعة : المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة (سنة ١٩٥٥) (ص ٨٤ - ٨٦) رقم الترجمة : ٣٢ . ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية لحسن حسنى عبد الوهاب (١/ ٢٣٣ - ٢٣٦) و انظر ايضا : طبقات الأمم لصاعد الأندلسى (ل : ٣٤ب - ٣٥أ) من المخطوطة .

(٢) هو أبو داود سليمان بن حسان و يعرف بابن جلجل . كان طبيبا فاضلا متعمقا فى صناعة الطب و خبيرا بفن المعالجات ، سمع الحديث بقرطبة فى سنة ٣٤٣ و هو ابن عشر سنين . و عُنِىَ بطلب الطب فغلب عليه وعرف به و بلغ منه الغاية . لم تذكر المصادر سنة وفاته سوى ماذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون من أنه توفى سنة ٣٧٢ و قيل ٣٧٧ . مصادر ترجمته : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى اصيبعة تحقيق الدكتور نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت) (ص ٤٩٣ - ٤٩٥) و انظر المقدمة التى وضعها فؤاد السيد على كتاب ابن جلجل : طبقات الأطباء و الحكماء . ففيها ترجمة ضافية لابن جلجل .

(٣) طبقات الأطباء و الحكماء (ص ٨٥) .

(٤) هو ابو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد الأندلسى ، مؤرخ باحث أصله من قرطبة و مولده فى المرية ولى القضاء فى طليطلة إلى أن توفى سنة ٤٦٢ . وكانت ولادته سنة ٤٢٠ . من مصنفاته : " طبقات الأمم ، مقالات أهل الملل و النحل ، تاريخ الأندلس وغيرها " . مصادر ترجمته : كشف الظنون (٢/ ١٠٩٦) الأعلام للزركلى (٣/ ١٨٦) من الطبعة الخامسة ١٩٨٠ . معجم المؤلفين لكحالة (٤/ ٣١٧) ، الصلة لابن بشكوال (١/ ٢٣٦ - ٢٣٧) رقم : ٥٤٠ .

(٥) طبقات الأمم (لوحة : ٣٥ أ) .

وقد أخذ عنه خلق كثير من أهل المغرب (١)

ورجل آخر ممن قدم من المشرق وكان له أثر بالغ فى نشر علوم الفلسفة بالمغرب ، هو إسحاق بن سليمان الإسرائيلى . أبو يعقوب (٢) ، المصرى المولد والمنشأ ، كان يهوديا وهو ما يؤكد الأصول الأجنبية لهذه العلوم التى ما أنزل الله بها من سلطان . وذلك لصد المسلمين عن سبيل الله وعن علوم الكتاب والسنة ، وكان قدومه سنة ٢٩٢ . وكان متضلعا فى علوم كثيرة إلى جانب إتقانه للفلسفة يقول عنه ابن جلجل (٣) : " كان إسحاق طبيبا فاضلا بليغا مشهورا بالحذق والمعرفة جيد التصنيف بالعربية . وكان مع فضله فى صناعة الطب بصيرا بالمنطق (يعنى الفلسفة) متصرفا فى ضروب المعارف " . (٤)

وكان يهود إفريقية (تونس) يجلونه حتى إنهم أُسندوا إليه رياستهم الدينية عمراً طويلا ،وتوفى فى أواسط القرن الرابع .

---

(١) ورقات (٢٣٣ - ٢٣٦) .

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلى ، نشأ فى مصر وبها تعلم الصناعة الطبية أيام أحمد بن طولون . قدم إلى القيروان سنة ٢٩٢ فأقام برقادة وانخرط فى جملة من يحضر دروس الطب عند الطبيب إسحاق بن عمران - السابق الذكر - ولما انقضت دولة بنى الأغلب التحق بالأمراء العبيديين ولازم خدمتهم وقد تتلمذ له جماعة من أبناء البلاد منهم الطبيب الشهير أحمد بن الجزار القيروانى . والف عدة مؤلفات بالعربية وأخرى بالعبرانية توفى قريبا من ٣٢٠ مصادر ترجمته : طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (٨٧ - ٨٨) رقم الترجمة ٣٣ . ، عيون الأنباء فى طبقات الاطباء (٤٧٩ - ٤٨١) ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية (١/ ٢٣٧ - ٢٣٩) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) طبقات الأطباء والحكماء (ص ٨٧) .

كما ألحقوا ببيت الحكمة مجموعة أخرى من القسيسين الذين انكبوا على ترجمة مؤلفات يونانية ولاتينية في موضوعات شتى وأهمها الفلسفة .

وبعد أن قضى الجيل الأول ممن حمل علوم الفلسفة إلى المغرب ، تولى تلاميذهم - وكان أكثرهم من أبناء اليهود - مهمة نشر هذه العلوم وتعلمها لأبناء الإسلام من بعدهم (١) .

والرجل الثاني الذي ظهرت في زمانه الفلسفة بالمغرب ولكن بالجانب الآخر منه ، أعني الأندلس ، هو الأمير الحكم الثاني (٣٥٠-٣٦٦) (٢) الذي كان شغوفا بعلوم الأوائل شديد الحرص عليها وعلى جمع تصانيفها . فكان يبعث في شرائها إلى الأقطار رجالا من التجار ويرسل معهم الأموال لهذا الغرض . (٣) ويحدثنا ابن أبي أصيبعة (٤) عن انتشار كتب الفلسفة وتداولها في عهده فيقول : " فإن هذه الكتب الفلسفية كانت متداولة بالأندلس في زمان الحكم مستجلبها ومستجلب غرائب ما صنف بالمشرق " فمن هؤلاء الذين أرسلهم في هذه المهمة عباس

---

(١) ورقات (ص٢٦) .

(٢) انظر التعليق رقم (٣)

(٣) انظر : الحلة السيراء لابن الأبار بتحقيق الدكتور : حسين مؤنس (١/٢٠٠-٢٠١) حيث يقول في ترجمته : " كان حسن السيرة فاضلا عادلا مشغوفا بالعلوم ، حريصا على اقتناء دواوينها ، يبعث إلى الأقطار والبلدان ويبذل في أعلاقها ودفاترها أنفس الأثمان حتى غصت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه .

(٤) هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة ولد في مدينة دمشق سنة ٦٠٠ ، من بيت علم وأدب فقد كان والده أمهر الكحالين (اطباء العيون) في دمشق ، وبعد أن أتقن العلوم اللسانية انصرف إلى تلقى علوم الطب حتى برع فيه من مصنفاته ، كتابه المشهور في تراجم الأطباء : عيون الانباء في طبقات الأطباء توفى سنة : ٦٦٨ .

مصادر ترجمته : مقدمة كتابه عيون الأنباء في طبقات الاطباء وانظر الأعلام =

بن ناصح الثقفى (١) الجزيرى ، وهو شاعر فقد أرسله إلى العراق فى التماس الكتب القديمة فأتاه بها . وقد برز فى عهد الحَكَم هذا وبعده جلة من المشتغلين بهذا الفن من العلوم ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، أبا القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى (ت ٣٩٨) (٢) . ومن تلاميذه الحاذقين ابن السمح الذى توفى بغرناطة سنة (٤٢٦) (٣) وأبو مسلم عمر بن أحمد المعروف بابن خلدون (ت ٤٤٩) (٤) ، الذى كان من أشراف اشبيلية وكان متصرفًا فى علوم الفلسفة ووصفه ابن صاعد بالمعرفة الواسعة بالفلسفة إلى جانب علوم أخرى .

وغيرهم كثيرون ذكرهم صاعد الأندلسى فى طبقاته (٥) .

ولكن أشهر تلاميذ المجريطى هذا ، هو أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن على الكرمانى من أهل قرطبة (ت٤٥٨) (٦) الذى رحل إلى المشرق وانتهت به الرحلة الى حران (٧) ثم رجع إلى الأندلس واستوطن

= للزركلى (١/١٩٧) النجوم الزاهرة (٧/٢٢٩) ،(دائرة المعارف الاسلامية (١/٦٩ - ٧١) .

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) كان إمام الرياضيين فى الأندلس فى وقته وأعلم أهل زمانه بالفلسفة (انظر طبقات صاعد (ل : ٣٩ ب) .

(٣) انظر عنه طبقات صاعد (ل : ٤٠ أ) .

(٤) هو أبو مسلم عمر بن احمد بن خلدون الحضرمى من اشراف أهل اشبيلية ، مشهورا بعلم الفلسفة والهندسة والطب يُشَبِّهُ فى سمته بالفلاسفة . توفى فى بلده سنة ٤٤٩ . مصادر ترجمته : طبقات الأمم لصاعد الأندلسى (لوحة : ٤١ أ) .

(٥) طبقات صاعد (لوحة : ٣٧ ومابعدها) .

(٦) سبقت ترجمته .

(٧) حران : بتشديد الراء وآخره نون ، قال ياقوت : " هى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور ، وهى على طريق الموصل والشام والروم " فتحت فى أيام =

سرقسطة (١) وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا . وهو أول من أدخلها إلى الأندلس.يقول صاعد : " وجلب الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفا ولا نعلم أحدا أدخلها الأندلس قبله (٢) " .

وظهر أيضا فيلسوف آخر فى هذه المرحلة . هو سعيد بن محمد البغونش (ت ٤٤٤) (٣) . الذى كان ماهرا فى الفلسفة ، يقول عنه ابن صاعد : " لقيت منه رجلا عاقلا جميل الذكر والمذهب ـ ذا كتب جليلة فى أنواع الفلسفة وضروب الحكمة . وتبيّنت منه أنه قرأ الهندسة وفهمها والمنطق وضبط كثيرا منه . ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها (٤) .

ولكن الفلسفة وإن كان ظهورها ضئيلا أيام بنى أمية نتيجة لتشددهم اتجاهها إذا استثنينا أيام الحكم . الذى ازدهرت فى عهده شيئا ما.كما سبق الحديث عنه . فإن الأمر تغير بعد انقراض دولتهم وتفرق الملك بين الطوائف حيث " اضطرتهم الفتنة إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ، فبيع بأوكس ثمن وأتفه قيمة وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس ووجد من خلالها أعْلاق من العلوم القديمة . وأظهر أيضا كل من كان عنده من الرغبة شيء مما كان لديه منها . فلم تزل الرغبة ترتفع من حين

= عمر على يد عياض بن غنم .
وهناك مدينة أخرى بهذا الاسم من قرى حلب ، وحران أيضا : قرية بغوطة دمشق . انظر: معجم البلدان (٢/٢٣٥-٢٣٦) .

(١) سبق التعريف بها .

(٢) طبقات صاعد الأندلسى (لوحة : ٤٠ ب) .

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش من أهل طليطلة . رحل إلى قرطبة لطلب العلم . ثم انصرف إلى طليطلة حيث حصلت له حُظوة عند أميرها وكان أحد مديرى دولته . توفى سنة ٤٤٤ وكانت ولادته سنة ٣٦٩ . مصادر ترجمته طبقات الأمم لصاعد الأندلسى (ل:٤٧أ ب) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (ص٤٩٥ - ٤٩٦) .

(٤) طبقات الأمم لابن صاعد (لوحة : ٤٧) .

فى طلب العلم القديم شيئا فشيئا (١) " .

ويعزو بعضهم سبب انتشار هذه الكتب وما تحمله من علوم إلى التسامح الذى وقع أيام المرابطين . حيث تكلم كل صاحب رأى بما أراد من دون أن يخشى شيئا .
فظهر الفقهاء المتشددون كما ظهر الفلاسفة ولكن هذا الرأى ينقضه ما قلناه عند حديثنا عن مقاومة علماء المغرب لعلم الكلام ، وللتصوف . من أن أيام المرابطين كانت شديدة على أصحاب العلوم العقلية وعلومهم ولا سيما أيام على بن يوسف بن تاشفين حيث " دان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض فى شيء من علوم الكلام (٢) " .
وفى أيامهم أحرقت كتب أبى حامد الغزالى -كما رأينا - وفى أيامهم وقع التشهير بجماعة ابن مسرة وتتبعهم ومعاقبتهم .
ومهما يكن فإنه برز فى أيامهم بعض المشتغلين بعلم الفلسفة كابن السيد البطليوسى (ت ٥٢١) (٣) الذى كانت له عناية واسعة بالفلسفة ، ومساهمة هامة فى الدراسات الفلسفية . حيث صنف فيها رسالته المعروفة (الحدائق فى المطالب العالية العويصة) وهى مطبوعة ، وهى على صغر حجمها غزيرة العلم فى هذا الجانب .
وأبو الصلت أمية بن عبد العزيز الدانى (ت ٥٢٨) (٤) .

---

(١) صاعد الطليطلى : طبقات الأمم (ص ٧٦) .
(٢) المعجب للمراكشى (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) .
(٣) هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى (نسبة الى بطليوس ، بفتح الباء والطاء وسكون اللام من إقليم ماردة بالأندلس) أديب نحوى لغوى ، مشارك فى أنواع العلوم ، ولد فى مدينة بطليوس سنة ٤٤٤ وسكن بلنسية وبها توفى سنة ٥٢١ . من تصانيفه الكثيرة : الاقتضاب فى شرح أدب الكاتب شرح سقط الزند لابى العلاء المعرى ، الانصاف فى التنبيه على الأسباب التى اوجبت الخلاف بين المسلمين. مصادر ترجمته : وفيات الأعيان (٣/٩٦ - ٩٨) رقم : ٣٤٧ ، أزهار الرياض (٣/١٠١ وما بعدها) الصلة (١/٢٨٢) ، معجم المؤلفين (٦/١٢١ - ١٢٢) .
(٤) هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ، أديب شاعر من أهل دانية ، رحل إلى =

و مالك بن وهيب (١) الذى كان يوصف " بفيلسوف المغرب " (٢) و ابن باجه (ت ٥٣٣) (٣) وهو أبرزهم ، وقد شاع ذكره فى الأندلس و شاع مذهبه بين شعراء زمانه الذين فشا فى شعر بعضهم لون من ألوان التحرر من قيود الدين و قد جمع شتات العلوم و نبغ فيها . يقول عنه صاحب الخريدة (٤) : " لم يبلغ درجته من أهل عصرنا فى الحكمة. و له تصانيف فى الرياضيات و المنطق و الهندسة فاق فيها المتقدمين ووصف بالتفرد بعلم الهيئة و الهندسة العطية و النظرية و سائر العلوم الحكمية و الأدبية " . و نسبه صاحب (قلائد العقيان) (٥) إلى التعطيل و مذهب الحكماء و الفلاسفة و انحلال العقيدة و قال عنه : " نظر فى كتاب التعاليم

= الشرق فدخل مصر وأقام بها عشرين عاما ثم انتقل إلى المهدية بالمغرب . توفى سنة ٥٢٨ أو ٥٢٩ وكانت ولادته سنة ٤٦٠ . مصادر ترجمته : خريدة القصر و جريدة العصر (القسم الخاص بشعراء المغرب و الأندلس) (٢/١٤٨) تحقيق مجموعة من المحققين . الدار التونسية للنشر (١٩٦٦) .
وانظر ايضا : نفح الطيب (٣/٣٤٢) .

(١) هو مالك بن وهيب ، كان مشاركا فى جميع العلوم ، إلا انه لم يكن يظهر إلا ما ينفق فى ذلك الزمان . وله تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة . من مؤلفاته قراضة الذهب فى ذكر لئام العرب . ولم اعثر على سنة وفاته . مصادر ترجمته : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب (ص ٢٥٢ - ٢٥٣) . نفح الطيب (٣/ ٤٧٩ - ٤٨٠) رقم : ٣٤١ .

(٢) نفح الطيب (٣/٤٧٩) .

(٣) هو أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ السرقسطى الشاعر. كان يضرب به المثل فى الذكاء والطب ودقائق الفلسفة. وعنه اخذ ابن رشد الحفيد الفيلسوف توفى بفاس سنة ٥٣٣ و الفعدة كتب منها " رسالة الوداع " "كتاب كلام البرهان" وغيرهما . مصادر ترجمته : طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعه (ص ٥١٥ - ٥١٧) المغرب فى حلى المغرب (٢/١١٩) رقم : ٤٣ . وفيات الأعيان (٤/٤٢٩ - ٤٣١) رقم : ٦٧٠ الوافى بالوفيات (٢/٢٤٠ - ٢٤٢) رقم: ٦٤٣ نفح الطيب (٧/١٧ - ٢٥ ، ٢٧) .

(٤) العماد الأصفهانى : خريدة القصر (رقم ٩٤) .

(٥) (ص ٣٠٠ - ٣٠٦) .

و فكر فى أجرام الأفلاك و حدود الأقاليم ، و رفض كتاب الله الحكيم ، و نبذه من وراء ظهره ثانى عطفه ، و أراد إبطال مالا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، و اقتصر على الهيئة و أنكر أن يكون لنا إلى الله فَيْئَة . و أستهزأ بقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) (سورة القصص : ٨٥) إلى آخره كلامه فيه .

وقد تتلمذ لابن باجه كثير من أبناء الأندلس أشهرهم أبو الوليد ابن رشد .
وقد برز الى جانب الفلاسفه المسلمين مجموعة كبيرة من الفلاسفه اليهود

المبحث الثانى

جهود علماء السنة فى مقاومة الفلسفة :-

لقد سبقت الإشارة - فى بداية الحديث عن الفلسفة - إلى نظرة علماء المغرب إلى المشتغلين بهذا النوع من العلوم ، و هى نظرة مريبة - كما رأينا - ، و فيما يلى أحاول أن أبرز الأساليب التى اتخذوها فى مقاومتها و أبرز الرجال الذين قادوا الحملة ضدها .

لقد كان الاتجاه العام لعلماء المغرب هو مقاومة الفلسفة بشتى الوسائل المتاحة ، و من هنا فقد شَهَّرُوا بمن يشتغل بها . و منع علماء القيروان أهلها من إلقاء دروسهم فى مسجد القيروان . كما أنهم اعتزلوهم ، و منعوا العامة أن تتصل بهم و نشأ بين مدينة القيروان السنية و مدينة رقادة التى كانت موطن بيت الحكمة الذى أنشئ بغرض تعليم الفلسفة و نشرها فى المغرب ، نشأ شيئ من التنافر و التباعد بسبب ذلك. و مما يدل على معاداة علماء السنة المغاربة لهذا النوع من العلوم ، إهمال أصحاب الطبقات منهم و مؤلفى كتب التراجم ذكر بيت الحكمة الذى كانت موئلا للمشتغلين بعلم الفلسفة . و التعريف بمن كان يجلس فيه ويتردد عليه و هذه الأساليب كانت لها ثمرة طيبة ، إذ أصبح من الصعوبة بمكان أن تعثر على تعريف مستفيض لبيت الحكمة وللرجال الذين كانوا يتولون مهمة نشر الفلسفة به .

و كان الأمر أشد فى الأندلس إذ شدد علماء السنة على من يشتغل

بالفلسفة و يتعاطاها ، و اتهموه بالزندقة . وطالبوا بدمه . و يقول ابن أبي أصيبعة عن السبب الذى جعل مالك بن وهيب الفيلسوف يضرب عن النظر فى هذه العلوم و التكلم فيها " و أضرب الرجل عن النظر ظاهرا فى هذه العلوم . وعن التكلم فيهما لما لحقه من المطالبات فى دمه لسببها ".(١)

و مما قالوه فى هذا الرجل :(٢)

دولة لابن تاشفين علي	ظهرت بالكمال من كل عيب
غير أن الشيطان دس إليها	من خباياه مالك بن وهيب

وكذلك كان الأمر بالنسبة لابن باجه الذى عاش أيام علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين . وكان هذا الأمير مطواعا للفقهاء منقادا لأوامرهم ، فسعوا إليه بأمر ابن باجه و طالبوه بدمه (٣) و تكرر السعى منهم عدة مرات حتى قيل: إنه قتل مسموما .

ولم تقتصر مقاومة الفلسفة على العلماء ، بل شاركهم فى ذلك بعض الأمراء و رجال الدولة وشدوا أزرهم . حيث تشير المصادر إلى أنه بعد انقضاء أيام الحَكَم الثانى الذى انتشرت فى عهده علوم الفلسفة كما رأينا جاء ابنه هشام (٤) الذى

---

(١) عيون الأنباء (٣/١٠١) .

(٢) انظر: نفح الطيب (٣/٤٧٩) .

(٣) انظر: نفح الطيب (٣/٤٣٤) .

(٤) هو هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، الملقب بالمؤيد بالله ، تولى الخلافة بعد موت أبيه سنة ٣٦٦هـ و هو لما يجاوز الثانية عشرة من عمره ، كان ضعيف الرأى ، أخرق ، محجورا عليه ، فكان صورة ، وكان المنصور بن أبي عامر هو الذى تغلب على الملك و بعد موت ابن عامر ، أخبر هشام المؤيد على خلعه نفسه ، ثم انقطع خبره . قال الذهبى : " ومن بعد سنة ثلاث و أربعمائة انقطع خبر المؤيد بالله ، و انتقل إلى الله و اظنه قتل سرا . فكان له حينئذ خمسون سنة . مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٨/٢٧١) (١٧/١٢٣-١٣٣) ، جذوة المقتبس (١٧) نفح الطيب (١/١٨٧) .

كان له حاجب يدعى المنصور بن أبى عامر (ت ٣٩٢) .[١] وكان هذا الرجل يؤيد الفقهاء ضد الفلاسفة ، حيث أقدم على إخراج كتب الفلسفة وعلوم اليونان من مكتبة الحكم المستنصر وإحراقها [٢] وشدد على المشتغلين بها أيضا ، فممن امتحن على يديه بسبب ذلك / الفيلسوف سعد بن فتحون السرقسطى المعروف بالحمار [٣] الذى كانت له - كما يقول ابن حزم - " رسائل مجموعة وعيون مؤلفة فى الفلسفة دالة على تمكنه فى الصناعة [٤] " . فنالته محنة كانت سببا فى هجرته بعد ذلك إلى صقلية حيث توفى بها .

ومن الفلاسفة الذين هربوا بسبب حملة ابن أبى عامر عليهم - أيضا - عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المعروف بالاقليدى ، فقد هرب إلى المشرق وتوفى هناك .
يقول ابن ابى أصيبعة : " كان المنصور قصد ألا يترك شيئا من كتب المنطق والحكمة باقيا فى بلاده وأباد كثيرا باحراقها بالنار ، وشدد فى أن لا يبقى أحد يشتغل

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد . الملقب بالمنصور بن أبى عامر . ولد سنة ٣٢٦ وأصله من الجزيرة الخضراء ، قدم قرطبة شابا لتلقى العلم بها . فبرع فيه ، واستخلف على قضاء كورة (ريه) ثم تولى النظر فى أموال أم هشام بن الحكم المؤيد فارتفعت منزلته بالقصر بذلك . وولى الشرطة والسكة والمواريث كما تولى قضاء إشبيلية ساهم بقسط وافر فى إعادة الهدوء إلى البلاد وقام بعدة غزوات وفتح عدة فتوحات . ووصلت جيوشه إلى جنوب فرنسا . توفى فى إحدى غزواته سنة ٣٩٢ مصادر ترجمته : نفح الطيب (١/ ٣٩٦- ٣٩٩) ، الذخيرة فى محاسن الجزيرة (المجلد الاول من القسم الرابع (ص ٣٩- ٥٨) بغية الملتمس (ص ١٠٥) الحلة السيراء (١/ ٢٦٨- ٢٧٧) ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٥- ١٦) رقم : ٧ .
(٢) دولة الإسلام فى الأندلس ، عبد الله عنان (القسم الأول / الطبعة الثانية ص ٥٢٧ .
(٣) ترجمته فى الجذوة (٢١٦) البغية (رقم ٨١٣) طبقات الأمم لابن صاعد (٣٥ب) الذيل والتكملة (٤/ ٤٠) وله تآليف فى الموسيقى ورسالة المدخل إلى علوم الفلسفة (شجرة الحكمة) يقول عنه صاعد : " كان متحققا بعلم الهندسة والمنطق والموسيقى متصرفا فى سائر علوم الفلسفة إماما فى علم النحو واللغة وله تآليف فى علم العربية ورسالة حسنة فى المدخل إلى علوم الفلسفة سماها شجرة الحكمة و

بشيئ منها ، وأنه متى أحد ينظر فى هذا العلم أووجد عنده شيئ من الكتب المصنفة فيه فإنه يلحق به ضرر عظيم (١) ."

ويقول صاعد الأندلسى عن دور المنصور بن أبى عامر فى القضاء على الفلسفة ما نصه : " وولى بعده (أى بعد الحكم المستنصر بالله) ابنه هشام المؤيد بالله وهو يومئذ غلام لم يحتلم بعد ، فتغلب على تدبير ملكه بالأندلس حاجبه ابن ابى عامر وعمد أول تغلبه عليه إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة (كتب الفلسفة) وغيرها وأبرز ما فيها من ضروب التواليف بمحضر خواص من أهل العلم بالدين وأمرهم بإخراج ما فى جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة فى علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل حاشى كتب الطب والحساب ، فلما تميزت من سائر الكتب المؤلفة فى النحو واللغة والأشعار والأخبار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم المباحات عند أهل الأندلس إلا ما قلت منها فى أثناء الكتب وذلك أقلها أمر بإحراقها وإفسادها فأحرق بعضها وطرح بعضها فى آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة تحببا إلى عوام الأندلس وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة. وكان من قرأها متهما عندهم بالخروج من الملة مظنونا به الإلحاد فى الشريعة فسكن أكثر من تحرك للحكمة عند ذلك وخطت نفوسهم وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم (٢) ".

من هذا النص يتبين لنا أن سياسة المنصور تلك آتت أكلها حيث توقف تطور الدراسات الفلسفية فى الأندلس وتوقفت مسيرتها (٣) أمدا طويلا .

= رسالة فى تعديل العلوم وكيف درجت إلى الوجود من انقسام الجوهر والعرض"

(٤) رسائل ابن حزم (٢/٧٨) .

(١) طبقات الأطباء (ص ٦٩) .

(٢) طبقات الأمم لصاعد الأندلسى (لوحة : ٣٨ أ ، ب) .

(٣) تاريخ الفكر الأندلسى (ص ٣٢٢) .

وقد رأينا فى فصل مقاومة التصوف موقف العلماء وموقف الدولة المرابطية من ابن مسرة واتباعه فلا داعى لاعادة ذكره هنا . إنما أحب أن أشير فقط إلى أسلوب آخر من أساليب مقاومة الفلسفة . وهو أسلوب لم يكن مقتصرا على كتب الفلسفة بل شمل جميع الكتب التى فيها انحراف عن السنة . وهو ما يحدثنا به النباهى (١) حيث يقول :

" من وجد بخطه شيئ من المذاهب الفلسفية المخالفة للشريعة أو بمنزلتها فى هذا المعنى ، حكمها أن ينظر فى المكتوب فإنه كان فيه تصريح أن كاتبه يقول به ويرتضيه ، وهو بلسانه ينكره وينفيه فإنْ حلف برئ وإن لم يحلف حبس حتى يحلف أو غير ذلك من إنفاذ ما يوجبه الخَطُ على من أقر بمضمونه بحسب ما يقتضيه ، وإنه كان الخط بتلك المذاهب نقلا مرسلا غير مضاف قولا لكاتبه ولا مرتضى له مذهبا من قبله ، فبئس من كتب بيده ما هو عرضة للإخلال ، وهو رصد للطعن على الدين بسببه . وهو حقيق بالتحريق والزجر عن مثله . وقد قال تعالى فى قوم أضلوا غيرهم بمكتوبهم :

" فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ " (البقرة : ٧٩) . انتهى

ولا شك أن هذه الاساليب كانت مجدية فى القضاء على الفلسفة ، أو على أقل تقدير الحد من انتشارها . وهكذا بقى المغرب محميا من التيارات المنحرفة عن المنهج السنى . بسبب هذا التشدد ، وبقى المنهج السنى هو السائد فى هذا الصقع من العالم الإسلامى .

---

(١) سبقت ترجمته .

الخاتمة

الخاتمـــــة

النتائج التى توصلت إليها من خلال هذا البحث وهى كثيرة :

لا شك أن قضاء مدة أربع سنوات من البحث والتنقيب فى بطون الكتب والمصادر المختلفه يُكْسِبُ صاحبه معارف كبيرة لا يستهان بها ، وهذا ما تحصلت عليه من خلال رحلتى مع هذا البحث الممتع الذى أكسبنى معرفةً جديدة لم أكن لأحصل عليها لولا هذا البحث .

ولو اقتصرت هذه المعارف على ما اطلعت عليه من مصادر جديدة فى مختلف الموضوعات من مطبوع ومخطوط ومن دوريات لكان فى ذلك فائده كبيرة فكيف والمعارف قد تجاوزت ذلك بمراحل كبيرة ، كما أن هذه المعارف لم تقتصر على الجانب العقدى فقط بل تعدته إلى مجالات مختلفةٍ ومعارف متنوعة ، حيث قادني البحث إلى كتب التاريخ والحديث والتفسير والطبقات والسير وغيرها لمطالعتها واستخراج ما يتعلق ببحثى منها وفى ذلك كله فوائد عظيمه تكون رصيد الى بأذن الله فى مستقبلى العلمى . هذا فيما يخصنى أما ما يتعلق بالنتائج التى توصلت اليها من خلال البحث فهى كثيرة أيضا - فأولى هذه النتائج : أن المغرب الإسلامى فى عهوده الأولى كان على مذهب السلف - رضي الله عنهم - متمسكا بطريقتهم ، ذابا عنها مجاهدا فى سبيلها ضد كل أشكال البدع والانحرافات العقدية ، وهذا هو الذى أبقى المغرب بشكل عام بعيدا عن هذه الانحرافات والبدع سليما من الأفكار البدعية حتى فى عهوده المتأخرة ، بالمقارنةً مع المشرق الإسلامى الذى كان ولايزال يعاني منها .

٢) عرفنا أن تشدد الإمام مالك - رحمه الله - مع المبتدعة ، كان له أثر طيب فى سلامة المغرب من البدع ، بحكم أن المغرب كان موطنا لمذهب مالك ، وليس أدل على هذا التشدد من دعوته إلى الهجرة من البلاد التى يقيم فيها المبتدعه مما جعل أهل المغرب المالكيةً يبتغون كل الوسائل المتاحة لهم للتخلص منهم

أو حصرهم فى زاوية ضيقة يكون تأثيرهم فيها ضعيفا أو منعدما .

٣) لقد عرفنا أيضا أن البدع كانت ردة فعل من أعداء الإسلام الذين أغاظهم وآلمهم سرعة انتشار الإسلام فى الآفاق ودخول الناس فيه أفواجا ، وعلموا أنهم لن يستطيعوا أن يُحَوِّلُوا الناس إلى الكفر الصريح لذلك أحدثوا هذه البدع فى الإسلام لتكون عائقا للمسلم على ممارسة الإسلام الصحيح المنزل من عند الله وأيضا فمن خلال هذه البدع يستطيعون أن يُفَتُّوا فى عضد المسلمين ويحدثوا الشقوق فى صفوفهم، ويفرقوا كلمتهم وكان لهم ماأرادوا .

وهذه البدع كانت تبدأ برجل واحد فيه خبث ودهاء ومقدرة على التأثير ولما كان الناس مطبوعين على حب كل جديد ومبتدع فأنهم سرعان ما تجد هذه البدع طريقها إلى قلوبهم .

٤) لقد رأينا فى هذا البحث أن المبتدعة وأعداء الإسلام لا يظهرون إلا على حين غرة من المسلمين وعلى حين غفلة وفرقة منهم . أما والمسلمون متكاتفون متعاونون كأنهم صف واحد فإنهم لن يستطيع أعداؤهم أن يخترقوهم ، ولذلك يجب على المسلمين اليوم أن يزيلوا كل أسباب الفرقة والخلاف وأن يطهروا قلوبهم من الشحناء والبغضاء حتى يستطيعوا الوقوف فى وجه أعدائهم ، وكذلك من الأسباب التى جعلت المبتدعة يظهرون تساهل أولى الأمر معهم وفتح المجال لهم لنشر انحرافهم .

٥) لقد لفت هذا البحث أنظارنا إلى قضية مهمة وهى قضية ترتيب الموالاه والمعاداه حسب ما يقتضيه الشرع . فالذى يختلف معك فى فرع من فروع الفقه غير الذى يختلف معك فى أصل من أصول الدين ، والذى يختلف معك فى قضية من قضايا العقيدة غير الذى يختلف معك فى أصل الإسلام، ومن هنا رأينا فى بعض المواضع كيف أن علماء المغرب وقفوا مع الإباضية لأنهم من أهل القبلة ضد العبيدين المنسلخين من الدين . وهو ما أصله فيما بعد الإمام الغزالى وغيره ورأينا كيف أن الاختلافات المذهبية التى كانت تثير الحزازات والانقسامات بين

أهل السنه ، ارتفعت وزالت عند ما احدق الخطر بالجميع .

٦) من الواجب اليوم على علماء المسلمين إذا أرادوا أن يجنبوا أبناء المسلمين كل أنواع الانحرافات العقدية والسلوكية أن يكثفوا جهودهم فى نشر الإسلام الصحيح المبني على الكتاب والسنه وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة السلف ـ رضى الله عنه ـ وأن يكون قصدهم ونيتهم من طلب الشرع هو الدعوة إلى الإسلام والتضحية فى سبيل ذلك وليس طلب الدنيا به .

كما ينبغي على الحكومات الإسلاميه الغيورة على الإسلام أن ترصد المساعدات المهمة والحوافز الكبيرة لطلبة العلم الشرعى وأن تكفيهم مؤونة الدنيا حتى يتفرغ هؤلاء لمهمة الدعوة لهذا الدين ومقاومة كل انحراف عنه . كما فعلت الدولة الأموية في الأندلس لمحاربة بدعة التشيع عند ما شجعت نشر السنة، ونشر المذهب المالكى .

وإذا علمنا أن الحركات الهدامة قد زادت وقويت، وأصبحت لها دول تغذيها وتشجعها فأنه من واجب الحكومات الإسلامية وعلمائها ان يكثفوا جهودهم ويطوروا وسائلهم حتى تكون فى مستوى التحديات .

ومن خلال هذا البحث رأينا التعاون بين العلماء والحكومات السنية فى الكشف عن مراكز المبتدعه وضربهم والتشهير بهم فى قضية أبى الخير الإشبيلى والطليطلى .

٧) رأينا أن التساهل مع المبتدعة ومحاولة كسبهم بالحسنى لايجدي معهم شيئا بل الوسيلة المثلى فى ردعهم هو تشديد القبضة عليهم بالسجن والضرب والقتل إذا دعت الضرورة لذلك وأي تساهل معهم تكون عاقبته وخيمة ، وأفضل رادع لهم هو تطبيق أحكام الله فيهم .

٨) يجب العمل على توجية شباب الأمه واستغلال طاقاتهم فيما ينفع الأمه من العلم والجهاد والبناء ، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابته ، فلما قعد المسلمون على الجهاد ظهر فيهم الجدل والبدع وغير ذلك من المنكرات .

الفهـــــارس

* *

فهرس الآيات

السورة : البقرة

فهرس الآيات

السورة : ال عمران

السورة : النساء :

فهرس الايـــات

السـورة : المائدة

فهرس الايات

السورة : الاعراف

فهرس الايـــات

السـورة : التوبـة

سـورة : هـود

فهرس الايات

السورة : يوسف

فهرس الايـــات

السـورة : النحـل

فهرس الايات

السورة : طه

فهرس الايـــات

فهرس الآيات

فهـرس الآيـــــات

فهرس الايات

السورة : فصلت

فهرس الايات

السورة : الفتح

فهرس الآيات

السورة : الحديد

فهرس الايات

السورة : الملك

فهرس الآيات

السورة : الفجر

( )

فهرس الاحاديث

فهرس الاحاديث

فهـرس الاحاديـث

فهرس الاحاديث

فهـرس الاحـاديـث

فهرس الاحاديث

فهرس الاحاديث

** ** **

فهرس الاثار

فهرس الآثار

فهرس الاثار

فهرس الاثـــار

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــــلام

الاعــــــلام	الصفحـــــة
أنس بن مالك بن النضر الأنصارى ، الصحابى	٢٧٥، (٨٨)
الأوزاعي	٣٧، (٤٥)، ٧٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٧، ٢٥٢، ٢٥٦
أبو أيوب الأنصارى	٣٩
ابن باجة ، محمد بن يحيى بن الصائغ أبو بكر السرقسطي	٦٣٩، (٦٤٨)، ٦٤٩، ٦٥٠
الباجى، أحمد بن سليمان بن خلف أبو القاسم	(٣٨٢)
الباجى ، سليمان بن خلف ، أبو الوليد	١٠٥، (١٩٥)، ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٥، ٣٩٧، ٦٠٠، ٦٠٣، ٦١٩.
الباقلانى، محمد بن الطيب، أبو بكر	(٢٠٠)، ٢٠٤، ٢٣٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٣، ٦٠٦، ٦٠٧.
البخارى ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، الإمام	١١٨، (١٣٣)، ١٥١، ٣١٢، ٣٨٨، ٤٧٤ .
بديع الزمان الهمذانى ، أحمد بن الحسين بن يحيى أبو الفضـــل .	(٤٣٣)
البراء بن عازب الأنصارى ، أبو عمارة	(١٣٧)، ١٣٨
البراء بن معـرور، صحابي	١٥٤
البراذعى ، خلف بن أبى القاسم، الأزدى أبو سعيد	(٤٦٢)

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعــــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعــــلام

الاعـــــلام	الصفحـــــة
ابن جرمـــون	٤٥٨
ابن جريج ،عبد الملك بن عبد العـزيزبن جريج أبوخالد	(٥٢)
الجعد بن درهم	(١٤٨)
أبو جعفر الآبلى	
جعفر بن حرب الهمذانى	(٣٤٠)
جعفر بن زياد الأحمر ،أبو عبد الله	(٤٩٦)
جعفر الصادق بن محمد الباقــر بن علي زين العابدين	(٤١٢)، ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٣
جعفر بن أبي طالب بن هاشم،أبو عبد الله	(٤٨٣)، ٥٨٩
جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفــي	(٣٤٠)
أبو جعفر النحــوي	٣٧٠
ابن جلجل ،سليمان بن حسان أبو داود	(٦٤٢)، ٦٤٣
جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل	٤٢٢
الجنيد بن محمد البغدادي ،أبو القاسم	(١٢٣)، ٥٥٩
جهم بن صفوان الراسبي ،أبو محرز	(٥٥)، ١٤٩، ٣٤٠، ٣٤٥
ابن أبي الجواد المعتزلي	(٢٩٢)، ٣٠٠، ٣١٨، ٣٢٤
ابن الجوزي ،عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد أبو الفـــرج	(٦٤)، ١١٤، ١١٨، ٢١٣، ٥٣٨، ٥٥١ .
جولد سيهــر ـ المستشرق اليهودي	١٠٢، ٥٥٩، ٦٢٣ .
الجوهري،نافع بن عباس ،أبو الحسن التنيسي	(٣٨٠)
الجوينى ،عبد الملك بن عبد الله يوسف،أبو المعالــي	(٦٧)، ٦٨، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩٥ .

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــلام

الاعـــلام	الصفحـــة
الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، أبوعبدالله	٢٤ ، (٧) ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٢٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٣٩٧ ، ٤٢٢ ، ٤٣٣ ، ٥٤٧ ، ٦٠٨ ، ٦١٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٨ ،
ذو الخويصـــرة	٥٠٧ .
الرازي ، محمد بن عمر أبو عبد الله ، فخر الدين	(٦٩)
ابن راهوية ، إسحاق بن إبراهيم ، أبو إسحاق	(١٣٠) ، ١٣١ ، ٢٥٢ ، ٣٨٨
رباح بن نصير اللخمى ، أبو عبد اللـه	٤٣
رباح بن يزيد اللخمى ، ابو يزيد	(٥٣٣)
ربعي بن عامر بن خالد	(٣٢)
الربيع بن خيثم	١٨٩
ربيع بن عبد الله الناسك أبو سليمان	(٥٦٧)
ربيع القطـــان	٤٤٥ ، (٤٨٥) ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ .
ربيعة الرأي ، بن أبي عبد الرحمن فروخ القرشي أبو عبد الرحمن .	(١٣٧)
رجـاء بن حيـوة	٢٥
ابن رجب ، عبد الرحمن بن أحمد ، الحنبلي ابو الفرج	(٨١)
ابن رستم ، عبد الرحمن	(٥١٤)
ابن رشد الحفيد ، محمد بن أحمد ، ابو الوليد	٦٤٩

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــلام

الاعـــلام	الصفحـــة

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــــلام

الاعـــــلام	الصفحـــــة
طـــاووس	٢٠
الطبري ،ابن جرير، الإمام المفسر	٢٣، ٢٢٠، (٢٣٦)، ٢٥٢
الطبري ، ابو الفتـح	٦٨
الطـــرزى ، محمد بن محمد بن خالد القيسي ،أبوالقاسم	(٤٥٥)
الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن خلف بن أيوب الفهري	١٨، ٣٧٦، (٥٩٧)، ٥٩٩، ٦٢٤، ٦٢٥
طريف بن مالك ، أبو زرعة المعافري	(٢٨)
أبو الطفيل الصحابي	
ابن الطفيل محمد بن عبد الملك العيسى ، أبو بكر	(٦٣٧)
طلحة بن عبيد الله ، الصحابي	٥٠٧
طلق بن حابان الفارسي	(٣٨)
الطلمنكي ،أحمد بن محمد بن عبد الله ، أبو عمرو	(١٦١)، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٥، ٣٢٠، ٦٠٧
ابن طملوس	٣٠٣، (٣٩٣)، ٦١٦
ابن طولون ، الشمس	٤٢٢
ابن ظفر	(٢٩٢)
عاصم بن جميل	٥١٧
عاصم السد راتى	٥١٥
عاصم بن عدى أخوبنـــي عجـلان	٥٩٣
عامر بن سعد بن أبي وقاص	(١٤٢)
عائشة بنت أبي بكر الصديق زوجة رسول الله صلـــى الله عليه وسلم أم المؤمنين	٢٠، ٤٣، (٨٩)، ٢٧٤، ٢٧٦، ٣١٢، ٤٦٦، ٤٦٧، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٨٦

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــلام

الاعـــلام	الصفحـــة
ابن عبد ربه	٤٣٦
عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد الإقليدي	(٦٥١)
عبد الرحمن بن أنعم	٣٩
عبد الرحمن بن حبيب بن عقبة بن نافع	٤١
عبد الرحمن الداخل صاحب الأندلسي	٣٠
عبد الرحمن بن رافع التنوخي ، أبو الجهم	(٣٩)
عبد الرحمن بن زياد بن أنعم	٤٠
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	(٥٨٥)
عبد الرحمن بن عبد المؤمن المتكلم ، أبو القاسم	١١٧
عبد الرحمن بن عقبة بن نافع	٥١٩
عبد الرحمن بن علي القاري	٤٧٧
عبد الرحمن بن عوف ، أبو محمـــد	٤٨٠ ، (٥٥٨)
عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، أبو عيسى	(١٤٣)
عبد الرحمن الناصر، أمير الأندلس	٤٣٧ ، (٤٥٠) ، ٤٩٨ ، ٦١١ ، ٦١٣
عبد الرحمن بن يحيى الصدفي ، أبو شيبة	٣٧
عبد الرحيم بن غياث التميمى	(٣٧١)
عبد الرحيم المستجاب أبو محمد	(٥٣٥)
عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني	(٥٣)
عبد الصمد الواعظ	
عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن	(٥٧٢) ، ٦٠٩
عبد العزيز بن موسى بن نصير	٣١
عبد القاهر البغدادي	٤٢٢

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــــلام

الاعـــــلام	الصفحـــــة

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــــلام

الاعــــــلام	الصفحـــــة
محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسى الألبيري أبو عبد الله .	(٣٧٥)، ٣٨٩
محمد الرقادي القيرواني	٣٣٥، ٤٦٥
محمد الزاهري	٥٦٤
محمد بن سحنون التنوخي	١٨٢، ١٩٠، (١٩٤)، ١٩٦، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٣٣٠، ٣٣١، ٥٣٦ .
محمد بن سعدون الجريزي التميمي، أبو بكر	(٤٨٦)
محمد بن سعدوي	(٣٧٣)
محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصدفي ، أبوعبد الله	(٥٦٧)
محمد بن سالم بن محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي	٣٧٦
محمد بن أبي سهل الصدفي ، أبو عبد الله	(٥٨٣)
محمد بن سيرين الأنسي البصري، أبو بكر	٢٥٦، (٥٦٠)
محمد بن شجاع الوشقي	(٤٣٠)
محمد الطالبي	٣٣٧، ٣٣٨
محمد بن عبد الرحمن الداخل	١٨٨
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم	(٤٢٨، ٤٣٦.
محمد بن عبد الله الإسكافي ، أبو جعفر	(٣٤٠)
محمد بن عبد الله البجلي ، أبو عبد الله	(٢٥٧)
محمد بن عبد اللهبن خير الأندلسي، أبو عبد الله	(٥٧١)، ٦٠٩
محمد بن عبد الوهاب	٨
محمد بن عمر بن لبابة، أبو عبد الله	(١٩٠)
محمد بن عيسى الصوفي الألبيري	٤٠٢

فهرس الاعــــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعـــلام

فهرس الاعــلام

فهرس الاعـــلام

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

الفرق والامم : — **الصفحة**

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

الفرق والامم :	الصفحة
خراسان	١٨١
الخوارج .	٣ ، ٥ ، ٥٠ ، ١٠٨ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٨٣ ، ٢١٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦ ، ٣٣٤ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٠ ، ٣٦٢ ، ٤٠٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ .
دار النحر .	٤٥٢ .
الدفة .	٤٩٨ .
دمشق .	٣١ ، ٤٨ ، ٣٦٧ ، ٦٠١ .
الدهرية .	١٧٤ ، ٢٦٨ .
ذات السلاسل .	٤٨٢ .
ذو أوان .	٥٩٣ .
ذو الخليفة .	٩٦ .
الرافضة ، الروافض .	١٠١ ، ١٠٩ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٨٨ ، ٤١٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٤ ، ٤٨٧ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .
الرجعة .	١٠١ ، ١٠٢ .
رقادة .	٤٤٣ ، ٦٣٨ ، ٦٤٩ .
الروم .	١٦ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ .
الزنادقة .	١١٤ ، ١٧٤ ، ٣٢٣ ، ٣٣٩ ، ٤٣٩ .
الزهراء .	٣٠ ، ٦١١ .
السبئية .	١٠١ .
سبتة .	٢٨ ، ٢٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ .
سبيطلة .	٢٠ .
سرقسطة .	١٧ ، ٢٠٦ ، ٦٤٦ .
سطيف .	٤٢٠ .

﴿ فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات ﴾

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

* فهرس الامم والمواضع والبلدان والمصطلحات *

فهرس المراجع

- ابن حزم وموقفه من الالهيات - للدكتور أحمد بن ناصر الحمد .

طبع على نفقة مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى بمكة - الطبعة الاولى (١٤٠٦)

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء .

تأليف : تقى الدين أحمد بن على المقريزي .

تحقيق : الدكتور جمال الدين الشيال - طبع : دار الفكر العربى (١٣٦٧/١٩٤٨)

- الآثار الاندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال .

تأليف : محمد عبد الله عنان - طبع : مؤسسة الخانجي بالقاهرة

الطبعه الثانية (١٣٨١/١٩٦١)

- الأثر السياسى والحضاري للمالكية فى شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين

للدكتور / محمد أبو العزم داود - طبع : المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة

(١٤٠٥ - ١٩٨٥)

- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .

تأليف : ابن قيم الجوزية

طبع : دار الكتب العلمية لبنان - الطبعه الاولى (١٤٠٤)

- الإحاطة في أخبار غرناطة .

تأليف : لسان الدين بن الخطيب - تحقيق محمد عبد الله عنان .

طبع : مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الثانية (١٣٩٣ / ١٩٧٣)

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم .

تأليف : المقدسي المعروف بالبشارى - طبع : مطبعة بريل (ليدن - هولندا)

(الطبعة الثانية - ١٩٠٩)

- إحياء علوم الدين .

تأليف : الشيخ أبي حامد الغزالى (ت ٥٠٥)

طبع : دار الشعب (القاهرة)

المراجـــــــع

- أخبـار الدول المنقطعـــة .

تأليف : جمال الدين على ابن ظافـر

تحقيق : اندريه فريـه

طبـع : المعهـد العلمي الفرنسى للاثار الشرقية بالقاهرة (سنه ١٩٧٣)

- أخبار مجموعه في فتح الأندلس وذكر أمرائهــا - مؤلفه مجهول

طبعة مجـريط (١٨٦٧)

- أراء أبي بكر العربى الكلامية (العـواصم من القواصم)

تأليف : أبو بكر ابن العربى

تحقيق : عمار طالبـى

طبع : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - (١٣٩٤ / ١٩٧٤)

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد .

تأليف : ابى المعالى الجوينى

تحقيق : الدكتور محمد يوسف موسى وعلى عبد المنعم عبد الحميد .

طبع : مكتبة الخانجى (سنه ١٣٦٩ / ١٩٥٠)

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري .

تأليف : أحمد بن محمد القسطلانى - طبع : المطبعة الاميرية ببولاق

الطبعة السادسة (١٣٠٥)

- أزهار الرياض فى اخبار عياض - لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمسانـــى

اشرف على طباعته : اللجنه المشتركه لنشر التراث الاسلامى بين المغرب والإمارات

بالرباط (١٣٩٨ / ١٩٧٨)

- أسباب النزول - تأليف : ابى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت ٤٦٨)

تحقيق : سيد أحمد صقـر - طبع القبلة بجـدة - الطبعة الثالثه (١٤٠٧/١٩٨٧)

المراجـــــع

- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف ابن عبد البر القرطبي
تحقيق : علي النجدي ناصف، نشر : المجلس الاعلى
للشئون الاسلامية بالقاهرة (١٩٧٠)

- الاستقامه، للامام شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : الدكتورمحمد رشاد سالم
طبع على نفقة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية
(الرياض) الطبعة الاولى (١٤٠٤ / ١٩٨٤)

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف : ابن الاثير الحزرى (ت ٦٣٠) طبع
مطبعة الشعب بالقاهرة (١٩٧٠)

- الإسلام والمذاهب الفلسفية، للدكتور : مصطفى حلمي، طبع : دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع (الاسكندرية) الطبعة الاولى
(١٤٠٥ / ١٩٨٥).

- الأسماء والصفات، تأليف الإمام البيهقي، تحقيق : محمد بن زاهد الكوثرى
طبع : دار احياء التراث العربى بدون تاريخ

- الاصابه فى تمييز الصحابة وبهامشة الاستيعاب - لابن عبد البر - تأليف : الحافظ
ابن حجر العسقلاني - طبع : دار الكتاب العربي
(. بيروت).

- أصول السنة - تأليف : ابن ابي رمنين (مخطوط)

- أضواء جديدة على المرابطيين، تأليف : الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندس
طبع: دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الاولى
(١٩٩١)

- أطلس تاريخ الإسلامي، للدكتور / حسين مؤنس، طبع مؤسسة الزهراء للاعلام
العربي الطبعة الاولى (١٤٠٧ / ١٩٨٧)

- الاعتصام، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق : الشيخ محمد
رشيد رضا، طبع مكتبة الرياض الحديثة (الرياض) بدون تاريخ

مراجـــــــع

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، تأليف : أحمد بن الحسين البيهقـي (ت ٤٥٨) ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، طبـع دار الافاق الجديدة (بيروت الطبعة الاولى ١٤٠١ / ١٩٨١)
- الأعلام ، تأليف : خير الدين الزركلى ، طبع : دار العلم للملايين (بيـروت) الطبعة الخامسة (١٩٨٠)
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، تأليف : العباس بن إبراهيم ، طبـع المطبعة الملكية بالرباط (١٩٧٤ م)
- أعلام المغرب العربي ، تأليف : عبد الوهاب بن منصور ، طبع : المطبعة الملكية بالرباط (١٣٩٨ / ١٩٧٨) .
- الإعلام بنوازل الأحكام وفقر من سير القضاة والحكام ، تأليف : ابن سهـل تحقيق : فرحات الدشراوى ، نشر فى مجلة حوليات الجامعة التونسية الجزء الاول من سنه ١٩٦٤ - ضمن سلسلـة " نصوص ودراسات فى تاريخ إفريقية والمغرب " .
- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تأليف : شمس الدين السخاوى (ت ٦٠٢) — نشره : القدسى - دار الكتاب العربى (١٣٩٩/١٩٧٩)
- اعمال الاعلام - تأليف

تحقيق : الدكتور احمد مختار العبادى و محمد إبراهيـم الكتانى ، طبع : دار الكتاب (الدار البيضاء بالمغـرب) (سنه ١٩٦٤) .
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تأليف : ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمـد حامد الفقى ، طبع دار الكتب العلمية (بيروت) الطبعـه الاولى (١٤٠٧ / ١٩٨٦) ح
- الافادات والانشاءات ، تأليف : أبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠) ، تحقيـق محمد أبي الأجفان ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولـى (١٤٠٣ / ١٩٨٣)

المراجـــــــع

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف الإمام ابن تيمية، تحقيق د . ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الاولى (١٤٠٤) .

- الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثه الخلفاء، تأليف : سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤)، تحقيق : مصطفى عبد الواحد طبع : مكتبة الخانجي بالقاهرة (١٩٦٨/١٣٨٧)

- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف، تأليف : الحافظ ابن ماكولا (ت٤٧٥) تحقيق : الشيخ المعلمي اليماني، طبع : محمد أمين دمج (بيروت) .

- الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، تأليف : محمد السيد الجليند طبع: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (القاهرة) (١٣٩٣ / ١٩٧٣)

- الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة، تأليف : صالح بن أحمد الصوافي طبع : وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان (١٤٠٢ / ١٩٨٣) .

- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، تأليف : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١) تحقيق : مشهور حسن سلمان، طبع دار ابن القيم الطبعة الاولى " ١٤١٠ / ١٩٩٠ " .

- إنباء الغمر بأبناء العمر، تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق د . محمد عبد المجيد خان، طبع : دار الكتاب العلمية ببيروت - الطبعة الثانية (١٤٠٦ / ١٩٨٦)

- الانتقاد والرد على أهل الزيغ والالحاد، تأليف : محمد بن عبدون الحنفي (مخطوط) .

المراجـــــع

- الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، تأليف : ابن عبد البر القرطبي
تحقيق محمد بن زاهد الكوثرى ، طبع : دار الكتب
العلمية ببيروت .

- الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، عصر الطوائف الثاني
(٥١٠ - ٥٤٦) ، تأليف : الدكتورة : عصمت عبد
اللطيف دندش ، دار الغرب الإسلامى (بيروت) الطبعة
الاولى (١٤٠٨ / ١٩٨٨) .

- الإنسان فى فكر إخوان الصفا ، تأليف : عبد اللطيف محمد العبد ، نشر مكتبة
الأنجلو المصرية - بالقاهرة .

- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل ، تأليف : القاضى ابى بكر بن
الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣) ، تحقيق : محمد بن
زاهد الكوثرى ، طبع : مؤسسة الخانجى (١٣٨٢ / ١٩٦٢)

- الإيمان - تأليف : شيخ الاسلام ابن تيمية ، طبع : المكتب الاسلامى
الطبعة الثالثة : (١٣٩٩) .

- البداية والنهاية ، تأليف : الحافظ ابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤) تحقيق
مجموعه من الاساتذه ، طبع : دار الكتب العلمية
(الطبعة الاولى ١٤٠٥ / ١٩٨٥) .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع - تأليف : محمد بن على الشوكانى
(ت ١٢٥٠ هـ) - طبع مطبعة السعادة بالقاهرة
الطبعة الاولى (ت ١٣٤٨ هـ) .

- البدع والنهى عنها ، تأليف محمد بن وضاح القرطبي ، تحقيق : محمد أحمد دهمان
طبع : دار البصائر (دمشق) ، الطبعه الثانية
(١٤٠٢ / ١٩٨٠) .

المراجـــــــــــع

- برنامج المجاري ـ تأليف : ابو عبد الله محمد المجاري الأندلسي (ت٨٦٢) ـــ تحقيق : محمد أبو الاجفان ، طبع : دار الغرب الاسلامى (بيروت) الطبعـة الاولى (١٩٨٢) .

- برنامج الوادي آشي ، تأليف : محمد بن جابر الوادى آشي ، تحقيق : محمـــد محفوظ ، طبع : دار الغرب الاسلامى (بيروت) الطبعـة الاولى (١٤٠٠/١٩٨٠) .

- البرهان فى أصول الفقه ، تأليف : أبـي المعالي الجويني ، تحقيق الدكتـور عبد العظيم الديب ، طبع وزارة الأوقاف بقطر ـ الطبعة الاولى (سنه ١٣٩٩ هـ)

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، تأليف : أحمد بن يحيى الضبـي طبعة : مدريد (١٨٨٤ م) .

- بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية ، للإمام أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية صححه وعلق عليه ، محمد بن عبد الرحمـن بن قاسم ، طبع : مطبعة الحكومة ـ مكة المكرمة الطبعـة الاولى (١٣٩٢ هـ) .

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تأليف : ابن عذارى المراكـــشي تحقيق : ليفى بروفنسال ، طبع دار الثقافة (بيـروت)

- البيان والتبيين ، تأليف : ابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : عبـــد السلام هارون ، طبع : مؤسسة الخانجى بالقاهـرة

- بيوتات فاس الكبرى ، تأليف : إسماعيل ابن الأحمر ، طبع : دار المنصور للطباعـة والوراقة بالرباط (المغرب سنه ١٩٧٢) .

- تاج التراجم في طبقات الحنفية ، تأليف : زين الدين قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩) طبع على نفقه مكتبة المتنبى ببغداد (١٩٦٢) .

- تاج العروس ـ تأليف : الزبيدى ، طبع المطبعة الخيرية (١٣٠٦) .

المراجـــــــع

التاج المكلل من جواهر ناثر الطراز الآخر والاول ، تأليف: صديق بن حسـن القنوجي ،تحقيق : عبد الحكيم شرف الدين ،طبـع المطبعة الهندية العربية ،الطبعة الثانية (١٣٨٣ / ١٩٦٣)

- تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة - للدكتور: احسان عباس - طبـع دار الثقافه (بيروت - لبنان) الطبعة السابعـه (١٩٨٥) .

- تاريخ ابن خلدون : تأليف : عبد الرحمن بن خلدون - طبع: دار الكتـاب اللبناني (بيروت) (١٩٨١) .

- تاريخ بغداد - تأليف : الخطيب البغدادى - طبع دار الكتاب العربى (بيروت)

- تاريخ التراث العربي - للدكتور : فؤاد سزكين - نقلة إلى العربية : محمـود فهمي حجازى - طبع : جامعة الامام محمد بن سعـود الإسلامية - بالرياض - (١٤٠٣ - ١٩٨٣) .

- تاريخ الجزائر فى القديم والحديث - تأليف : مبارك الميلى - تحقيق : محمـد الميلى - طبع : دار الغرب الاسلامى (١٩٩٠) .

- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - تأليف : الداعى إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢) تحقيق : محمد اليعلاوى - طبع : دار الغرب الاسلامى الطبعة الاولـى (١٩٨٥) .

- تاريخ خليفة بن خياط - تأليف : خليفة بن خياط العصفرى (ت ٢٤٠) - تحقيق سهيل زكار - طبع بمطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي (١٩٦٧) .

- تاريخ الرسل والملـوك - تأليف : ابى جعفر محمد بن جريز الطبرى (ت ٣١٠) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - طبع : دار المعارف بالقاهرة - الطبعة الرابعة (١٩٧٩) .

- تاريخ علماء المغرب - لابى الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن القرضـي (ت ٤٠٣) - طبع : الدار المصرية للتأليف والترجمة (سنة ١٩٦٦) .

المراجــــــع

- تاريخ فلسفة الإسلام ـ فى القارة الافريقية (الجزء الاول) ـ للدكتور : يحيــى هويدى ـ طبع : مكتبة النهضة المصرية (القاهــــرة) (١٩٦٦) .

- تاريخ الفكر الأندلسى ـ تأليف : انخل جنثالث بالنتيا ـ ترجمة : الدكتـــور حسين مؤنس ـ طبع : دار النهضة المصرية ـ الطبعـــة الاولــى (١٩٥٥) .

- تاريخ قضاة الأندلس ـ تأليف : ابو الحسن بن عبد الله النباهي المالقـــي الأندلسى ـ تحقيق : لجنة احياء التراث العربى ـ طبــع دار الافاق الجديدة (بيروت) " ١٤٠٠ / ١٩٨٠ " .

- التاريخ الكبير ـ تأليف : الإمام أبي عبد الله إسماعيل بن ابراهيم البخــــارى (ت ٢٥٦) طبع : المكتبة الاسلامية بتركيا .

- التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ـ للإمام : أبـــي المظفر الاسفراييني (ت ٤٧١) تحقيق : الشيـــخ محمد بن زاهد الكوثرى ـ طبع : مطبعة الانوار (القاهرة) الطبعة الاولى (١٣٥٩) .

- التبيان فى آداب حملة القران ـ تأليف : الإمام النووى ـ تحقيق : عبد القــادر الأرناؤوط ـ مكتبة دارالبيان (دمشق) الطبعة الأولــى (١٤٠٥ / ١٩٨٥) .

- تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ـ ابى الحسن الأشعري ـ للامام ابـــن عساكر الدمشقى (ت ٥٧١) تحقيق : محمد بن زاهــد الكوثرى ـ طبع : دار الكتاب العربى (بيروت ـ لبنــان) (١٣٩٩ / ١٩٧٩) .

- تحفة القــادم ـ تأليف : ابن الابار ـ تحقيق : احسان عباس ـ طبع دار ـــ الغرب الاسلامى (١٤٠٦) .

المراجـــــــــع

- التحف فى مذاهب السلف ـ تأليف : الامام الشوكانى ـ طبعت ضمن المجموعـه المنيريـــة .

- التحف فى مذاهب السلف ـ تأليف : الامام الشوكانى ـ تحقيق : سيد عاصم على ـ طبع : دار الصحابة للتراث .

- تذكرة الحفاظ ـ تأليف : الإمام الذهبى ـ طبع دار إحياء التراث العربى .

- تذكرة الموضوعات ـ تأليف : طاهر بن علي الهندى ـ مصورة عن الطبعة الاولى (١٩٥٩) مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

- تراجم أغلبية ـ تأليف : القاضى عياض ـ تحقيق : د . محمد الطالبى طبع : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية (١٩٦٨) .

- تراجم المؤلفين التونسيين ـ تأليف : محمد محفوظ ـ طبع : دار الغرب الاسلامى ـ الطبعة الاولى (١٩٨٢) .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك ـ لمعرفة أعلام مذهب مالك ـ تأليف : القاضى عياض (ت٥٤٤) تحقيق : د . احمد بكير محمود ـ طبع دار مكتبة الحياة (بيروت ـ ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧) .

- التصوف ـ المنشأ والمصادر ـ د . احسان الهى ظهير ـ طبع ادارة ترجمان السنة (لاهور ـ باكستان) الطبعة الاولى (١٤٠٦/ ١٩٨٦)

- تفسير الطبرى المسمى : جامع البيان عن تأويل اى القران ـ تأليف : الامام ابن جرير الطبرى ـ جمع : مطبعة البابى الحلبى بمصر الطبعة الثالثة (١٣٨٨) .

- تفسير الطبرى ـ تأليف : ابن جرير الطبرى ـ تحقيق : احمد ومحمود شاكر طبع : دار المعارف بمصر .

- تفسير القران العظيم ـ تأليف : الامام الحافظ ابن كثير الدمشقى (ت٧٧٤) ـ تحقيق حسين بن ابراهيم زهران ـ طبع دار الفكر (بيروت) الطبعة الثانية (١٤٠٨ / ١٩٨٨) .

المراجـــــــــع

- تفسير القرطبى * تأليف : الامام القرطبى - طبع :مطبعة وزارة الثقافه المصريــــه (سنه ١٣٨٧ / ١٩٦٧) .
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - تأليف : الإمام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦) طبع دار الفكر (بيروت) الطبعة الثالثة (١٤٠٥ / ١٩٨٥)
- تقريب التهذيب - تأليف : ابن حجر العسقلاني - تحقيق : محمد عوامـــــــة طبع دار الرشيد بحلب " سوريا " الطبعة الاولى (١٤٠٦/١٩٨٦)
- تكملة الصلة - تأليف ابن الأبار- تحقيق : السيد عزت العطار الحسيني - نشــر مكتب الثقافة الاسلامية - القاهرة (١٣٧٥- ١٩٥٦) .
- تلبيس إبليس - تأليف عبد الرحمن بن الجوزي - نشرة إدارة الطباعة المنيريـــــة (سنه ١٣٦٨) طبع : دار الفكر .
- تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير - تأليف : ابن حجر العسقلانى تحقيق : شعبان محمد إسماعيل - طبع : مكتبه الكليـــات الأزهرية (١٣٩٩) .
- التمهيد لما فى الموطإ من المعاني والأسانيد - تأليف : ابن عبد البر القرطبـــى تحقيق : مجموعة من الأساتذه - طبع وزارة الاوقـــــاف والشئون الإسلامية بالمغرب - الطبعة الثانية (١٤٠٢ /١٩٨٢)
- تهذيب الأسماء واللغات - تأليف : محيى الدين بن شرف النووى (ت ٦٧٦) طبع دار الكتب العلمية (بيروت) .
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر - تهذيب: الشيخ عبد القادر بـــــدران الطبعة الثانية (١٣٩٩/١٩٧٩) ، دار المسيرة (بيروت)
- تهذيب التهذيب - تأليف : ابن حجر العسقلانى - طبع دار صادر (بيـــروت) الطبعة الاولى (١٣٣٥) .
- تهذيب اللغة - تأليف : الأزهري - تحقيق عبد السلام هارون - نشر : الـــدار المصرية للتأليف والنشر (١٣٨٤/١٩٦٤) .

المراجـــــع

- تهذيب مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية ـ هذبه : عبد المنعم صالح العلي العزي ـ طبع : المكتبة العلمية (سنه ١٤٠٢هـ)

- جامع الأصول فى أحاديث الرسول ـ تأليف : ابن الأثير الجزرى (ت ٦٠٦) ـ تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط (طبع : مكتبه الحلوانى) (١٣٨٩ / ١٩٦٩) .

- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله ـ تأليف : ابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣) طبع : دار الفكر بيروت .

- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام ـ مدينه فاس ـ تأليف : احمد بن القاضى المكناسي ـ طبع : دار المنصور للطباعه والوراقة الرباط (١٩٧٣) .

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، تأليف : ابى نصر فتوح بن عبد الله الحميدى (ت ٤٨٨) طبع : الدار المصرية للتأليف والترجمة (١٩٦٦) .

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية طبع: مطابع المجد التجارية .

- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى او عصر النهضة فى الاسلام ، تأليف آدم متز ـ نقله إلى العربية : محمد عبد الهادى ابو ريدة ـ طبع : مكتبة الخانجي القاهرة ـ الطبعة الرابعة (١٣٨٧ / ١٩٦٧) .

- حكم بدعة الاجتماع فى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ـ تأليف : أبي الوليد الباحي ـ نشرت فى مجلة الإصلاح المصرية ـ المجلد الاول / العدد الخامس .

المراجـــــــع

- الحلة السـيراء - لابن الأبار ، محمد بن عبد الله بن ابى بكر القضاعـى (ت ٦٥٨) - تحقيق : الدكتور حسين مؤنس - طبـع الشركة العربية للطباعه والنشر (القاهرة) الطبعـة الأولـى (١٩٦٣ م) .
- الحلل السندسية فى الأخبار التونسية - تأليف : محمد بن محمد الاندلسـى الوزير السراج (ت١١٤٩) تحقيق : د . محمد الحبيب الهيلة - طبع : دار الغرب الاسلامى - الطبعـة الاولى (١٩٨٥) .
- حلية الاولياء وطبقات الأصفياء - تأليف : الحافظ أبي نعيم الأصبهانى (ت٤٣٠) طبع : دار الفكـر (بيـروت) .
- حوليات الجامعة التونسيـة.مجلةتصدرها كلية الاداب والعلوم الانسانية بتونـس
- الحياة العلمية فى إفريقية (تونس) من إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامـس الهجرى - تأليف : يوسف أحمد حوالة - رسالة مقدمـة لنيل درجة الدكتوراة فى التاريخ الإسلامى من جامعـة أم القرى (١٤٠٥ / ١٩٨٥) .
- الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف - تأليف : سعد عبد الله البشـرى رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بجامعه ام القـرى فى التاريخ الاسلامى (١٤٠٥ / ١٩٨٥) .
- خريدة القصر وجريده العصر - تأليف : العماد الاصفهاني مجموعة من المحققين - طبع الدار التونسية للنشر (١٩٦٦) .
- خطط المقريزى - تأليف - تقى الدين احمد بن على المقريزى - طبع دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة دار بولاق (سنة ١٢٧٠) .

المراجـــــع

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادى عشر - تأليف : المحبى : طبع : دار صادر (بيروت) .

- الخلافة والخوارج فى المغرب العربي - تأليف : رفعت فوزى عبد المطلب الطبعة الاولى (١٣٩٣ / ١٩٧٣) .

- الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، تأليف : د . محمود إسماعيل عبد الرزاق - طبع دار الثقافه بالدار البيضاء الطبعة الثانية (١٤٠٦) .

- الخوارج : تاريخهم وآرائهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها - تأليف : غالب بن على عواجى - رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى .

- دائرة المعارف الإسلامية - تأليف : مجموعه من المستشرقين - نقلها الى العربية : مجموعه من الباحثين .

- دراسات فى تاريخ افريقية فى الحضارة الاسلامية فى العصر الوسيط - تأليف محمد الطالبى - طبع : المطبعه الرسمية للجمهورية التونسية (١٩٨٢) .

- دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين - تأليف : الدكتور احمد محمد احمد جلى طبع : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية الطبعة الاولى (سنه ١٤٠٦ / ١٩٨٦) .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢) تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، طبع دار الكتب الحديثة - القاهرة - بدون تاريخ .

- الدرة فيما يجب اعتقاده - تأليف : ابو محمد بن حزم الاندلسى - تحقيق د . احمد بن ناصر الحمد ، سعيد بن عبد الرحمن القزقي طبع: مطبعة المدني بمصر - الطبعة الاولى (١٤٠٨/ ١٩٨٨)

المراجـــــــــع

- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور - تأليف : جلال الدين السيوطى - طبع دار - الفكر - الطبعة الاولى (١٤٠٣ / ١٩٨٣) .

- درئ تعارض العقل والنقل - تأليف : الامام ابن تيمية - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الطبعة الاولى (١٣٩٩/١٩٧٩) .

- دولة الاسلام فى الاندلس - تأليف : د . محمد عبد الله عنان - طبع مكتبة الخانجى بالقاهرة - الطبعة الرابعة (١٣٨٩/١٩٦٩)

- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب - تأليف : ابن فرحون المالكى (ت ٧٩٩) تحقيق : د . محمد الاحمدى ابو النور دار التراث للطبع والنشر القاهرة .

- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت - تحقيق : نعمان أمين طه - طبع مطبعة مصطفى البابى الحلبى - ديوان ابن هانى الأندلسي - طبع : دار بيروت (١٤٠٠/ ١٩٨٠) .

- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة - تأليف : د . على بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢) تحقيق : د . احسان عباس - طبع دار الثقافه (بيروت) (١٣٩٩/١٩٧٩) .

- ذكر أخبار ، صبهان - تأليف : أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠) نشر : الدار العلمية بالهند - الطبعة الثانية (١٤٠٥/١٩٨٥) .

- الذهبى ومنهجه فى كتاب تاريخ الاسلام - تأليف الدكتور بشار عواد معروف طبع دار احياء الكتب العربية القاهرة - الطبعه الاولى (١٩٧٦) .

المراجـــــــع

- الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصله - لابى عبد الله بن عبد الملك المراكشي تحقيق : احسان عباس ومحمد بن شريفه - طبع : دار الثقافة (بيروت - لبنان) الطبعة الاولى (١٩٧٣ م)
- رحلة ابن جبير - لابى الحسين محمد بن جبير الكنانى الاندلسى - طبع دار الكتاب اللبنانى (بيروت) ودار الكتاب المصرى (القاهرة) .
- الرد على الرافضة - تأليف : ابى حامد محمد المقدسى (ت ٨٨٨) تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن ، طبعه : دار السلفيه بالهند (الطبعة الاولى (١٤٠٣) .
- رساله افتتاح الدعوة - تأليف القاضى النعمان - تحقيق : وداد القاضى - طبع دار الثقافة " بيروت " الطبعة الاولى (سنه ١٩٧٠) .
- رسالة ابن سعيد فى التذبيل على رساله ابن حزم - تأليف : ابن سعيد - تحقيق صلاح الدين المنجد - طبع : دار الكتاب الجديد (١٣٨٧ / ١٩٦٨) .
- رسالة العبودية - تأليف : الامام ابن تيمية - تحقيق محمد حامد الفقى . طبع :
- الرسالة الفقهية - للامام ابن ابى زيد القيروانى - (ت ٣٨٦) - تحقيق الدكتور/ الهادى حمو والدكتور محمد ابو الاجفان طبع : دار الغرب الاسلامى (بيروت - لبنان) الطبعة الاولى (١٤٠٦ / ١٩٨٦) .
- رساله فى الرد على الرافضة - تأليف : الشيخ ابى حامد محمد المقدس (ت ٨٨٨) تحقيق : عبد الوهاب خليل الرحمن - الطبعة الاولى (١٤٠٣ / ١٩٨٣) .

المراجـــــع

الرسالة القشـــرية ـ تأليف ابى القاسم عبد الكريم القشيرى ـ تحقيق : الدكتـــور عبد الحليم محمود ، محمود بن الشريف ـ طبـــــع دار الكتب الحديثة ـ القاهرة .

ـ الرساله المستطرفة لبيان مشهور كتاب السنة المشرفة ـ تأليف : محمد بن جعفـر الكتانى ـ طبع : دار الكتب العلمية ـ الطبعة الثانيـــة (١٤٠٠) .

ـ رسائل ابن حزم الاندلسى ـ تأليف : ابن حزم الاندلسى ـ تحقيق : الدكتـور احسان عباس ـ طبع : المؤسسه العربية للدراســـات والنشـر ـ الطبعة الاولى (١٤٠١/١٩٨٠) .

ـ الروض المعطار فى خبر الأقطار ـ تأليف : محمد بن عبد المنعم الحميـــــرى تحقيق : د . إحسان عباس ـ طبع : مكتبة لبنـــــان (بيروت ـ ١٩٧٥) .

ـ الروضتين فى أخبار الدولتين ـ تأليف : الحافظ أبو شامه ، تحقيق : محمـــــد حلمى محمد أحمد ـ نشر : المؤسسة المصرية العامـــة للتأليف والنشر ـ القاهرة (١٩٦٢) .

ـ رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية ـ تأليف : ابى بكر عبد الله بـــــن محمد المالكى ـ تحقيق : بشير البكوش ـ طبـــــع دار الغرب الإسلامى (١٤٠٣ / ١٩٨٣) .

ـ رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان ـ تأليف : أبى بكر عبد الله بن ابى بكـــر المالكى ـ تحقيق : حسين مؤنس ـ طبع : مكتبة النهضة المصرية (القاهرة) الطبعة الاولى (١٩٥١) .

ـ زاد المعاد فى هدي خير العباد ـ تأليف : ابن قيم الجوزية ـ تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ـ طبع : مؤسسة الرسالة (بيروت) الطبعة الاولـى .

المراجــــع

- السنة - تأليف : ابى بكر عمر بن ابى عاصم - تحقيق : الشيخ محمد ناصـــر الدين الالبانى - طبع المكتب الاسلامى - الطبعة الاولى

- سنن ابن ماجه - للامام ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجة (ت ٢٧٥) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - طبع: دار الفكــــر للطباعه والنشر والتوزيع (بيروت) .

- سنن ابى داود - تأليف ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى - تحقيـــق محمد محيى الدين عبد الحميد - طبع دار الفكر .

- سنن الترمذى (الجامع الصحيح) تأليف : محمد بن عيسى بن سورة الترمـــذى (ت٢٧٩) تحقيق : الشيخ احمد محمد شاكـــــر طبع : مطبعة مصطفى البابى الحلبى - الطبعه الاولـــى (١٣٥٦ / ١٩٣٧) .

- سنن الدارمى - تأليف : عبد الـــله بن عبد الرحمن الدارمى (ت ٢٥٥) - تحقيق : محمد احمد دهمان - طبع : دار احيــــاء السنه النبوية (بيروت) .

- سنن النسائى (المجتبى) - تأليف الحافظ ابى عبد الرحمن بن شعيـــــب النسائى (ت ٣٠٣) طبع : مطبعة مصطفى البابـــى الحلبى القاهرة - الطبعة الأولى (١٣٨٣/١٩٦٤) .

- سفر السعادة - تأليف محمد بن يعقوب الفيروزابادى (ت٨٢٨) اشرف علـــى طباعته عبد الله بن إبراهيم الانصارى - ادارة الشئـــون الدينية بقطر - مطابع دار الثقافة (الدوحة - قطـــر) (١٤٠٢ / ١٩٨٢) .

- سير أعلام النبلاء - تأليف: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى - تحقيـــق مجموعه من الباحثين - طبع مؤسسه الرساله (بيـــــروت) الطبعة الثانية (١٤٠٢ / ١٩٨٢) .

المراجــــــــع

- سيرة عمر بن عبد العزيز - لامام ابى الفرج عبد الرحمن بن الجورى - طبــــع دار الفكر (بيـروت) .

- السيرة النبوية - تأليف : ابن هشام - تحقيق : مصطفى السقا وابراهيـــم الأبيارى - طبع : مطبعه مصطفى البابى الحلبــى الطبعة الثانية (١٩٥٥/١٣٧٥)

- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية - تأليف : محمد بن محمد مخلوف - طبــع دار الكتاب العربى (بيروت) .

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - تأليف : ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩) طبع دار الافاق الجديدة .

- شرح أصول اعتقاد اهل السنه والجماعه من الكتاب والسنه وإجماع الصحابــــة تأليف : ابى القاسم هبة الله اللالكائى : تحقيــق د . احمد سعد حمدان - طبع : دار طيبه للنشر والتوزيع .

- شرح الأصول الخمسة - تأليف : القاضى عبد الجبار المعتزلى - تحقيــــــق د . عبد الكريم عثمان - طبع : مكتبه وهبة بمصـــر الطبعة الاولى (١٣٨٤) .

- شرح رسالة ابن زيد القيروانى - تأليف : الفاكهانى - مخطوط بمركز البحث العلمى بجامعة امالقرى .

- شرح السنة - تأليف : الامام البغوى - تحقيق : زهير شاويش وشعيب الأرناؤوط — طبع : المكتب الاسلامى - الطبعة الاولى (١٣٩٠ـ ١٩٧١) .

- شرح صحيح البخارى - تأليف : ابن بطال - مخطوط بمركز البحث العلمى — بجامعه ام القرى .

المراجـــــــــع

- شرح العقيدة الطحاوية ـ تأليف : ابن ابى العز الحنفي ـ خرج احاديثها ناصر الدين الالبانى ـ طبع المكتب الاسلامى .

- شرح مختصر خليل ـ تأليف : محمد الخرشى ـ طبع دار صادر (بيروت) .

- الشريعة ـ تأليف : ابى بكر محمد بن الحسين الآجرى ـ تأليف : محمد حامد فقى ـ طبع : مطبعة السنة المحمدية (١٣٦٩)

- الصارم المسلول على شاتم الرسول ـ تأليف : الإمام ابن تيمية ـ تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ـ طبع: مكتبة تاج بطنطا الطبعة الاولى (١٣٧٩ / ١٩٦٠)

- صبح الأعشى فى صناعة الانشا ـ تأليف : احمد بن على القلقشندى (ت ٨٢١) نشر وزارة الثقافه والارشاد القومى بمصر .

- صحيح مسلم ـ تأليف : الامام مسلم بن الحجاج القشيرى بشرح الامام النووى تحقيق : عبد الله احمد ابو زيته ـ طبع : مطبعة الشعب القاهرة .

- صحيح مسلم ـ تأليف : الإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ـ طبع : دار احياء الكتب العربية القاهرة ـ الطبعه الاولى (١٣٧٤- ١٩٥٥)

- صحيفه المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد (المجلد الثانى) ١٩٥٤ العدد (١ - ٢) عدد (٥) سنه ١٩٦٦ .

- الصراع العقائدى فى الفلسفه الاسلامية ـ مجموعة : محاضرات القيت فى ملتقى الامام المارزى (تونس ـ الدار التونسية للطبع) سنه ١٩٧٨ .

- الصراع المذهبى بإفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية ـ للدكتور : عبد العزيز المجذوب ـ طبع : الدار التونسية للنشر (١٣٩٥/١٩٧٥)

المراجـــــع

- صفة جزيرة الاندلس ـ تأليف : محمد بن عبد الله الحميرى (ت٨٦٦) تحقيق ليفى بروفنصال ومحمد فؤاد عبد الباقى ـ طبع مطبعة لجنة التأليف والتراجم ـ القاهرة ـ (١٩٣٧)

- صفة الصفوه ـ تأليف : جمال الدين ابى الفرج ابن الجوزى ـ تحقيق ـ محمود فاخورى ومحمد رواس قلعه جي ـ طبع : دار الوعي بحلب (سوريا) الطبعة الاولى (١٣٨٩/١٩٦٩)

- الصلة ـ لابى القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت ٥٧٨) طبع : الدار المصرية للتأليف والترجمة (سنه ١٩٦٦) .

- الصلة بين المعتزله ومذهب الإباضية المقيمين في إفريقية الشمالية ـ طبعة دار النهضة المصرية ـ الطبعة الثالثة (سنة ١٩٦٥) .

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ـ تأليف : جلال الدين السيوطى تحقيق : على سامى النشار ـ دار الكتب العلمية (بيروت) .

- صيد الخاطر ـ تأليف : ابن الجوزى ـ تحقيق على الطنطاوى وناجى الطنطاوى طبع : دار الفكر ـ بيروت .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ـ تأليف : الإمام السخاوى ـ طبع دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

- طبقات الامم ـ تأليف : صاعد الأندلس (مخطوط) .

- طبقات الأطباء والحكماء ـ تأيف : ابن جلجل ـ تحقيق : فؤاد السيد ـ طبع المعهد العلمى الفرنسى للاثار الشرقية بالقاهرة (سنه ١٩٥٥) .

- طبقات الشافعية الكبرى ـ تأليف : تاج الدين السبكى ـ تحقيق : محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو ـ طبع : مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه الطبعه الاولى (١٣٨٣ ١٩٦٤) .

المراجـــــــــع

- طبقات الصوفية - تأليف : أبى عبد الرحمن السلمى (ت ٤١٢) تحقيـــــــق نور الدين شريبة - طبع جماعة الازهر للنشــــــر والتأليف - الطبعة الاولى (١٣٧٢/١٩٥٣) .

- الطبقات الكبرى - تأليف : محمد بن سعد - طبع : دار صادر (بيروت) .

- طبقات المفسرين - تأليف : شمس الدين الذهبى - تحقيق على محمد عمـــــر طبع مكتبة وهبة القاهرة - الطبعه الاولـــــــى (١٣٩٢ / ١٩٧٢) .

ظاهـرة الإرجاء
- تأليف : الدكتور سفر الحوالى - رساله مقدمه لنيل درجة الدكتوراه - بجامعـــــه ام القرى بمكه المكرمه .

- العبر فى خبر من غبر - تأليف : الإمام الذهبى (ت ٧٤٨) تحقيق : أبـــــو هاجر محمد السعيد زغلول - طبع : دار الكتـــــب العلمية (بيروت) الطبعة الاولى (١٤٠٥/ ١٩٨٥) .

- عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس - تأليف : الدكتور عبد اللـــــه عنان - طبع : مطبعه لجنة التأليف والترجمـــــه والنشر - القاهرة - الطبعة الاولى (١٣٨٣ / ١٩٦٤) .

- عصر هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥) تأليف : عبد المجيد محمد صالـــــح الكبيسى - طبع سلمان الاعظمى (بغداد) ١٩٧٥ .

- عقيدة الامام ابن عبد البر فى التوحيد والإيمان - رسالة أعدها الطالب سليمـــان بن صالح بن عبد العزيز الغصن لنيل درجـــــة الماجستير - بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية سنه ١٤٠٩ - ولا تزال مخطوطة .

- عيون الأنباء فى طبقات الاطباء - تأليف - ابن ابى اصيبعه - تحقيق الدكتـــــور نزار رضا - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

المراجـــــــــع

- الغنية - فهرست شيوخ القاضي عياض - تأليف : القاضي عياض - تحقيق ماهر زهير جرار - طبع: دار الغرب الإسلامي (بيروت) الطبعة الاولى (١٤٠٢/١٩٨٢) .
- فتاوى ابن رشد - تأليف: ابى الوليد ابن رشد (ت ٥٢٠) تحقيق : دكتور المختار بن الطاهر التليلي - طبع : دار الغرب الاسلامى - الطبعة (١٤٠٧-١٩٨٧) .
- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير - تأليف: محمد بن على الشوكانى - طبع : دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع .
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلاني علق عليه : الشيخ عبد الله بن باز - طبع : رئاسة ادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد - بالمملكة العربية السعودية .
- الفتح المبين فى طبقات الأصوليين - تأليف : الشيخ عبد الله مصطفى المراغى طبع: محمد امين دمج وشركاه (بيروت) الطبعة الثانية (١٣٩٤ / ١٩٧٤) .
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى - تأليف : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت ٩٠٣) - تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان - طبع : مطبعة العاصمة (القاهرة) (١٣٨٩/١٩٦٩) .
- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقى - تأليف: المستشرق ألفرد بل - ترجمة د . عبد الرحمن بدوى - طبع دار الغرب الإسلامي الطبعة الثانية (١٩٨١) .

المراجــــــع

- الفرق بين الفرق - تأليف : عبد القاهر بن طاهر البغدادي - تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد - طبع : دار المعرفة (بيروت) .

- الفصل فى الملل والاهواء والنحل - تأليف : ابن حزم الظاهرى - طبع دار المعرفة (بيروت - الطبعة الثانية) - (١٣٩٥ / ١٩٧٥) .

- فضائل الصحابة - تأليف : الامام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) تحقيق : وصى الله بن محمد عباس - جامعة أم القرى بمكه المكرمه مركز البحث العلمى - الطبعة الاولى (١٤٠٣ - ١٩٨٣) .

- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - تأليف : القاضى عبد الجبار المعتزلى تحقيق : فؤاد السيد - طبع : الدار التونسية للنشر (١٣٩٣) .

- فضل علم السلف على الخلف - تأليف : ابن رجب الحنبلى - طبع: إدارة الطباعة المنيرية - الطبعة الثالثة (١٤٠٤) .

- الفكر السامي فى تاريخ الفقه الإسلامى - تأليف محمد بن الحسن الحجوى تخريج : عبد العزيز القارى - طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - الطبعة الأولى (١٣٩٦) .

- فهرس ابن عطية - للامام ابي محمد عبد الحق بن عطية المجازى الأندلسى (المتوفى سنه ٥٤١) تحقيق : محمد ابو الاجفان ومحمد الزاهى - طبع : دار الغرب الاسلامى (بيروت - لبنان) الطبعه الثانية (١٩٨٣) .

المراجـــــــــع

- فهرسة ابن خير الاشبيلى ـ تأليف : ابى بكر محمد بن خير بن عمر الإشبيلـــي طبع : مؤسسة الخانجى ، ومكتبة المثنى ـ الطبعـــة الثانية ـ) (١٣٨٢ / ١٩٦٣) .
- فهرس الفهارس والاثبات ـ تــأليف : عبد الحي الكتانى ـ تحقيق : الدكتـــور إحسان عباس دار الغرب الاسلامى ـ (بيـــروت) الطبعة الثانية (١٤٠٢ / ١٩٨٢) .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ تأليف : العلامة المناوى ـ طبع : دار المعرفة (بيروت (١٣٩١ / ١٩٧٢) .
- فى ظلال القرآن ـ تأليف : الشهيد سيد قطب ـ طبع : دار الشروق (بيروت) الطبعة السابعة (١٣٩٨ / ١٩٧٨) .
- قانون التأويل ـ للقاضى أبي بكر بن العربى (ت ٥٤٣) تحقيق : محمـــد السليماني ـ طبع : دار القبلة للثقافة الاسلاميـــة بجدة ـ الطبعة الاولى (١٤٠٦ / ١٩٨٦) .
- قضاة قرطبة وعلماء افريقية ـ تأليف : محمد بن حارث الخشنى ـ تحقيق : السيد عزت العطار الحسيني ـ طبع : مكتبة الخانجـــي ومكتبة المثنى (سنه ١٣٧٢) .
- قلائد العقيـــان فى محاسن الأعيان ـ تأليف : الفتح بن خاقان ـ تحقيـــق محمد العنابى ـ طبع المكتبة العتيقة بتونس .
- القوى السنية فى المغرب ـ من قيام الدوله الفاطمية إلى قيام الدولة الزيريـــة (٢٩٦ ـ ٣٦١) ـ للدكتور : محمد أحمد عبـــد المولى ـ طبع : دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية) (الطبعة الاولى ـ ١٩٨٥) .

المراجع

- الكافى فى فقه أهل المدينة المالكى - تأليف : أبى عمر ابن عبد البر - تحقيق محمد محمد احيد ولد ماديك - طبع : مكتبة الرياض الحديثة - الطبعة الاولى (١٣٩٨) .
- الكامل فى التاريخ - تأليف : ابن الاثير - طبع : دار صادر بيروت (١٣٨٥/١٩٦٥) .
- كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والسحر والنارنجات للقاضى ابى بكر محمد الطيب بن الباقلانى - تحقيق الاب رتشرد يوسف مكارثى اليسوعى - وهو من منشورات دار الحكمة فى بغداد - طبع المكتبة الشرقية (بيروت) سنه ١٩٥٨ .
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل - تأليف : محمد بن إسحاق بن خزيمة تحقيق : محمد خليل هراس - طبع : مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - (١٣٨٧ / ١٩٦٨)
- كتاب الجامع فى السنن والاداب - والمغازى والتاريخ - للامام ابن أبى زيد القيروانى تحقيق : محمد أبو الاجفان وعثمان بطيخ - طبع مؤسسة الرسالة (بيروت - لبنان) الطبعه الثانية (١٤٠٣ / ١٩٨٣) .
- كتاب سير الائمة وأخبارهم - تأليف : أبى زكريا يحيى بن ابى بكر - تحقيق إسماعيل العربى - طبع دار الغرب الإسلامى (بيروت) الطبعة الثانية (١٤٠٢ / ١٩٨٢) .
- كتاب صورة الأرض - تأليف : محمد بن موسى الخوارزمى - تحقيق : هانس فورفريك - طبع : مطبعة ادولف هولز هوزن (بفينا) (١٣٤٥ - ١٩٢٦) .
- كتاب فى صفات الله - تأليف : الإمام القرطبى (مخطوط) .

المراجـــــــع

- كتاب المحن - تأليف : محمد بن احمد بن ابى العرب التميمى (ت٣٣٣) تحقيق الدكتور/ يحيى وهيب الجبورى - طبع : دار الغرب الاسلامى - الطبعة الاولى (١٤٠٣/١٩٨٣) .
- كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا - تأليف : ياقوت الحموى - طبع : مكتبة المثنى (بغداد) .
- الكشاف - تأليف : جار الله الزمخشرى - طبع : المكتبة التجارية الكبرى بمصر (سنه ١٣٥٤) .
- كشاف اصطلاحات الفنون - تأليف : التهانوى - طبع : شركة خياط للكتب والنشر - بيروت .
- كشف الظنون من اسامى الكتب والفنون - تأليف : حاجى خليفة - طبع مكتبة المثنى ببغداد .
- الكواكب الدرية فى السيرة النورية - تأليف : بدر الدين بن قاضى شهبة تحقيق : الدكتور محمد زايد - طبع دار الكتاب - الجديد (بيروت) (١٩٧١) .
- اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة - تأليف : جلال الدين السيوطى (ت٩١١) طبع : المكتبة التجارية الكبرى (بمصر) .
- لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام - تأليف : أبى علي السكوني - نشر فى مجله الحوليات الجامعة التونسية (عدد ١٢ سنه ١٩٧٥) تحقيق : سعد غراب .
- لسان العرب المحيط - تأليف - ابن منظور - طبع : دار صادر بيروت .
- لسان الميزان - تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلانى - طبع : مؤسسة الأعلمى للمطبوعات (بيروت) الطبعة الثانية (١٩٧١ / ١٣٩٠ هـ)
- مباحث فى علم الكلام والفلسفة - تأليف : علي الشابى - طبع دار أبو سلامة تونس (١٩٧٧) .

المراجـــــــع

- مجلة الاصاله الجزائرية ـ تصدرها وزارة التعليم الاصلى والشئون الدينيه بالجزائر
- المجلة الريتونيـــة .
- مجلة الشهاب الجزائرية (الجزء التاسع ١٩٣١) .
- مجلة الفكر التونسية ـ تصدرها المدرسة القومية للادارة تونس .
- مجلة كلية اداب الاسكندرية ـ تصدرها جامعة الاسكندرية .
- مجلة كلية اداب القاهرة ـ تصدرها جامعة فؤاد الاول القاهرة .

مجلة المناهل المغربية ـ تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية الرباط ـ المغرب .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ تأليف : نور الدين الهيثمى (ت ٨٠٧) طبـــع مؤسسة المعارف (بيروت) .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ـ تأليف ـ الإمام ابن تيمية ـ جمع وترتيـــب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدى ـ طبـــع مطابع دار العربية ـ بيروت ـ ١٣٩٨ .
- مجموعة الرسائل المنيرية ـ طبع : دار إحياء التراث العربى (بيروت) .
- مجموعه الرسائل والمسائل ـ للامام ابن تيمية ـ تحقيق : الشيخ محمد رشيد رضا طبع دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان) الطبعه الاولى (١٤٠٣ - ١٩٨٣) .
- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ـ لابى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى (ت٥٤٦) تحقيق : المجلس العلمـــى بفاس (المغرب) طبع : وزارة الاوقاف والشئـــون الاسلامية بالمغرب (١٣٩٥/١٩٧٥) .
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ـ تأليف : فخر الدين الرازى ـ تعليق : طه عبد الرؤوف سعـــد طبع دار الكتاب العربى ـ الطبعه الاولى (١٤٠٤)

المراجع

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - تأليف : ابن قيم الجوزية اختصار : محمد الموصلى - طبع : مكتبة الرياض الحديثة .
- مختصر العلو للعلى الغفار للحافظ الذهبى - اختصره : الشيخ الالبانى - طبع المكتب الاسلامى بدمشق - الطبعه الاولى (١٤٠١)
- مختصر الفتاوى المصرية - تأليف : شيخ الإسلام ابن تيمية - تحقيق : محمد حامد الفقى - طبع : دار ابن القيم - الطبعة الثانية (١٤٠٦ - ١٩٨٦) .
- مختصر فى فضل الجهاد - تأليف : ابن جماعة الحموى - تحقيق : اسامه النقشبندى - طبع: وزارة الاعلام العراقية (١٩٨٣)
- المدارس الكلامية بإفريقيه الى ظهور الاشعرية - للدكتور : عبد المجيد بن حمده طبع : مطبعه دار العرب بتونس - الطبعة الاولى (١٤٠٦ / ١٩٨٦) .
- المدخل - تأليف : ابن الحاج - نشر دار الفكر .
- مدرسة التفسير فى الاندلس - تأليف : مصطفى ابراهيم المشنى - مؤسسة الرساله (بيروت) الطبعة الاولى (١٤٠٦ / ١٩٨٦)
- المستدرك على الصحيحين فى الحديث وفى ذيله تلخيص المستدرك للذهبى تأليف : الحاكم ابو عبد الله النيسابورى - طبع مكتبة النصر الحديثة - الرياض .
- المسند - تأليف : الإمام احمد بن حنبل (ت ٢٤١) تحقيق : الشيخ احمد محمد شاكر - طبع: دار المعارف بمصر - الطبعه الثالثه (١٣٦٨ / ١٩٤٩) .
- مسند الامام احمد - تأليف - الامام احمد بن حنبل - الطبعة الثانية (١٣٩٨ / ١٩٧٨) دار الكتب العلمية (بيروت) .

المراجـــــع

- مسند الحميدى - تأليف : عبد الله بن الزبير الحميدى (ت٢١٦) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى - طبع : عالم الكتب - بيروت.
- المصنف - تأليف : ابن ابى شيبة - تحقيق : عامر العمرى الأعظمى - طبع: الدار السلفية (الهند) .
- المصنف - تأليف عبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت٢١١) تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمى - طبع المكتب الاسلامى (بيروت) .
- المطالب العاليه بزوائد المسانيد الثمانية - تأليف : الحافظ ابن حجر العسقلانى تحقيق : حبيب الرحمن الاعظمى - طبع : دار الكتب العلمية (بيروت) .
- المعارف - تأليف : ابو محمد عبد بن مسلم بن قتيبه (ت٢٧٦) تحقيق : الدكتور ثروت عكاشة - طبع دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية (١٩٦٩) .
- معالم الإيمان فى معرفه أهل القيروان - تأليف : عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الدباغ (ت٦٩٦) تحقيق إبراهيم سبوح - طبع مكتبة الخانجي بمصر - الطبعة الثانية (١٣٨٨ / ١٩٦٨)
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب - تأليف : عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧) تحقيق : محمد سعيد العريان - طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية (لجنه احياء التراث - بالقاهرة) (١٣٨٣/١٩٦٣) .
- معجم الأدباء - تأليف : ياقوت الحموى - طبع مكتبة عيسى البابى الحلبى وشركاه الطبعة الثانية - بدون تاريخ .
- معجم البلدان - تأليف : ياقوت الحموى (ت ٦٢٦) - طبع دار الكتاب العربى (بيروت) .

المراجــــــــع

- المعجم فى أصحاب القاضى الامام ابى على الصدفي ـ للامام محمد بن عبدالله بن ابى بكر القضاعى المعروف بابن الابار (ت ٦٥٨) طبع فى مدينه مدريد بمطبعة روخسى (سنه ١٨٨٥م)

- المعجم الكبير ـ تأليف : سليمان بن أحمد الطبرانى (ت ٣٦٠) تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى ـ طبع بمطبعة الزهراء الحديثة بالموصل ـ الطبعة الثانية .

- المعجم المفهرس لالفاظ الحديث ـ تأليف : الدكتور أى.ونسنك ـ طبع : مكتبة بريل فى مدينة ليون ـ سنة ١٩٣٦ .

- المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم ـ للشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ـ طبع دار احياء التراث العربى (بيروت ـ لبنان) .

- معجم المؤلفين ـ تأليف : عمر رضا كحالة ـ طبع : مكتبة المثنى (بيروت) .

- المعجم الوسيط ـ لمجموعة من الأساتذه ـ تشره : الشيخ عبد الله بن ابراهيم الانصارى ـ طبع جـ ادارة احياء التراث الاسلامى بدولة قطر (سنه ١٩٨٥) .

- معرفه القراء الكبار على الطبقات والأعصار ـ تأليف : الإمام الذهبى ـ تحقيق : بشار عواد معروف ـ وشعيب الأرناؤوط صالح مهدى عباس مؤسسة الرسالة : الطبعة الاولى (١٤٠٤ / ١٩٨٤)

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ـ تأليف أحمد بن يحيى الونشريسي (ت٩١٤) حققه جماعه من العلماء ـ طبع دار الغرب الإسلامى ـ بيروت (١٤٠١ / ١٩٨١) .

- المغرب فى حلى المغرب ـ لمجموعة من العلماء الاندلسيين ـ تحقيق : الدكتور شوقى ضيف ـ طبعة دار المعارف (القاهرة) الطبعة الثانية (١٩٦٤) .

المراجـــــع

- مفرج الكروب ـ تأليف : جمال الدين محمد بن سالم ابن واصل (ت٦٩٧) تحقيق جمال الدين الشيال ـ طبع : المطبعة الاميرية بالقاهرة (سنة ١٩٥٧) .

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ـ تأليف : الإمام ابى الحسن الأشعرى (ت٣٣٠) تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد طبع: مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعه الثانية (١٣٨٩ / ١٩٦٩)

- المقدمات الخمس والعشرين فى اثبات وجود الله ووحدانيته وتنزهه ـ تأليف : ابى عمران موسى بن ميمون ـ تحقيق : محمد بن زاهد الكوثرى (١٣٦٩) .

- المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الاحكام والشرعيات للامام ابى الوليد محمد بن احمد بن رشد (ت ٥٢٠) ـ تحقيق : الاستاذ سعيد أحمد اعراب ـ طبع دار الغرب الاسلامى " بيروت ـ لبنان " الطبعة الاولى (١٤٠٨ / ١٩٨٨) .

- المقدمة ـ تأليف : ابن خلدون ـ تحقيق : على عبد الواحد وافى ـ طبع: لجنة البيان العربى (القاهرة) الطبعة الاولى (١٣٧٦ / ١٩٥٧) .

- ملتقى الامام محمد بن عرفة ـ مجموعه من البحوث والمحاضرات ـ طبع وزارة الشئون الثقافية (تونس) (١٩٧٧) .

- الملل والنحل ـ تأليف : محمد بن عبد الكريم الشهرستانى (ت٥٤٨) تحقيق محمد سيد كيلانى ـ جمع : مصطفى البابى الحلبى بمصر (١٣٨٧/١٩٦٧) .

المراجـــــــع

مناقب الإمام احمد بن حنبل ـ للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ـ تحقيـــق عبد الله التركى ـ تصحيح : محمد امين الخانجـــى
طبع : مكتبة الخانجى بالقاهرة (مصر) .

ـ مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ تأليف : ابن الجوزى ـ طبع : دار الكتــب العلمية ببيروت .

ـ مناقب الشافعى ـ تأليف : ابن ابى حاتم الرازى ـ تحقيق : محمد زاهد الكوثرى
طبع مكتبة التراث الاسلامى (سوريا) .

ـ مناقب الشافعي ـ تأليف : أحمد بن الحسين البيهقى (ت٤٥٨) تحقيق : سيد أحمد صقر ـ طبع مكتبة دار التراث ـ الطبعـــــة الاولى (١٣٩١ / ١٩٧١) .

ـ منهاج السنه النبوية فى تقض كلام الشيعة القدرية ـ للامام ابى العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ـ تحقيق : الدكتـور محمد رشاد سالم ـ طبع : ادارة الثقافه والنشـــر بجامعة محمد بن سعود الاسلامية ـ الطبعـــــة الاولى (١٤٠٦ / ١٩٨٦) .

ـ منهج ابن عطية فى تفسير القران الكريم ـ للدكتور : عبد الوهاب عبد الوهـــاب فايد ـ طبع : الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية (١٣٩٣ / ١٩٧٣)

ـ المهدى ابن تومرت ـ حياته ـ وأراؤه ـ تأليف : د . عبد المجيد النجـــــار
طبع : دار المغرب الإسلامى ـ الطبعة الاولـــى (١٤٠٣ / ١٩٨٣) .

ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ـ تأليف : الإمام ابن تيمية ـ تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ـ محمد حامد فقى ـ طبـع مطبعه السنة المحمدية (مصر) (١٣٧٠/١٩٥١)

المراجـــــــع

- المواقـف ـ تأليف : الايجـــى ـ طبع : مطبعة السعادة .

- الموطــأ ـ للامام مالك بن انس ـ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ـ طبع : دار إحياء الكتب العربية (القاهرة)

- مؤلفـات الغزالـى ـ تأليف : عبد الرحمن بدوى ـ طبع المجلس الأعلى لرعايـة الفنون والآداب بالقاهرة (سنة ١٩٦٠) .

- المؤنس فى أخبار إفريقيا وتونس ـ تأليف : ابن ابى دينار ـ تحقيق : محمــد شمام ـ طبع : المكتبة العتيقة بتونس ـ الطبعـة الثانية (١٩٦٧) .

- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ـ تأليف : محمد احمد بن عثمان الذهبى (ت٧٤٧) تحقيق على محمد البجاوى ـ طبع: دار احياء الكتب القاهرة ـ الطبعة الاولى (١٣٨٢/١٩٦٣) .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ تأليف: جمال الدين ابى المحاســن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى (ت ٨٧٤) . طبع وزارة الثقافه والارشاد القومى (مصر) .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ـ تأليف احمد بن محمد المقرى التلمسانى تحقيق : الدكتور احسان عباس ـ طبع دار صـادر بيروت ـ (١٣٨٨/ ١٩٦٨) .

- نصارى العراق فى العصر الاموى (٤٠ ـ ١٣٢) تأليف : جاسم صكبان علـى الربيع ـ رساله مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة بغداد سنه ١٩٧٤ .

- النهاية فى غريب الحديث والأثر ـ تأليف : ابن الاثير ـ تحقيق : محمود محمد الطناحى ـ طبع المكتبة الاسلامية .

المراجـــــــع

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - تأليف : اسماعيل باشا البغدادي - طبع: وكالة المعارف باستانبول ١٩٥٥ .

- الوافي بالوفيات - تأليف : صلاح الدين بن ايبك الصفدي - تحقيق : هلموت ريتر - طبع دار النشر فرانز ستايز (المانيا) - (١٣٨١ / ١٩٦٢) .

- ورقات من الحضارة العربية الاسلامية بتونس - تأليف : حسن حسني عبد الوهاب طبع : مكتبة المنار (تونس) سنه ١٩٦٥) .

- وصف افريقيا - تأليف : الحسن محمد الوزان الفاسي - المعروف بليون الافريقي ترجمة عن الفرنسيه : محمد حجي ومحمد الاخضر طبع دار الغرب الاسلامي (بيروت) الطبعة الثانية (١٩٨٣) .

- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان - تأليف : احمد محمد بن خلكان (ت ٦٨١) تحقيق : الدكتور إحسان عباس - طبع : دار صادر (١٣٩٨ / ١٩٧٨) .

فهرس الرسائل

الرسائـــــــــل

الرسائـــــــــل

الرسائـــــــــل

الرسائـــــــــل

فهـــرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

فهــــرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

فهـــــرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

الموضــــوع	الصفحـــة

فهـــرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحـــــة

فهـــرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات